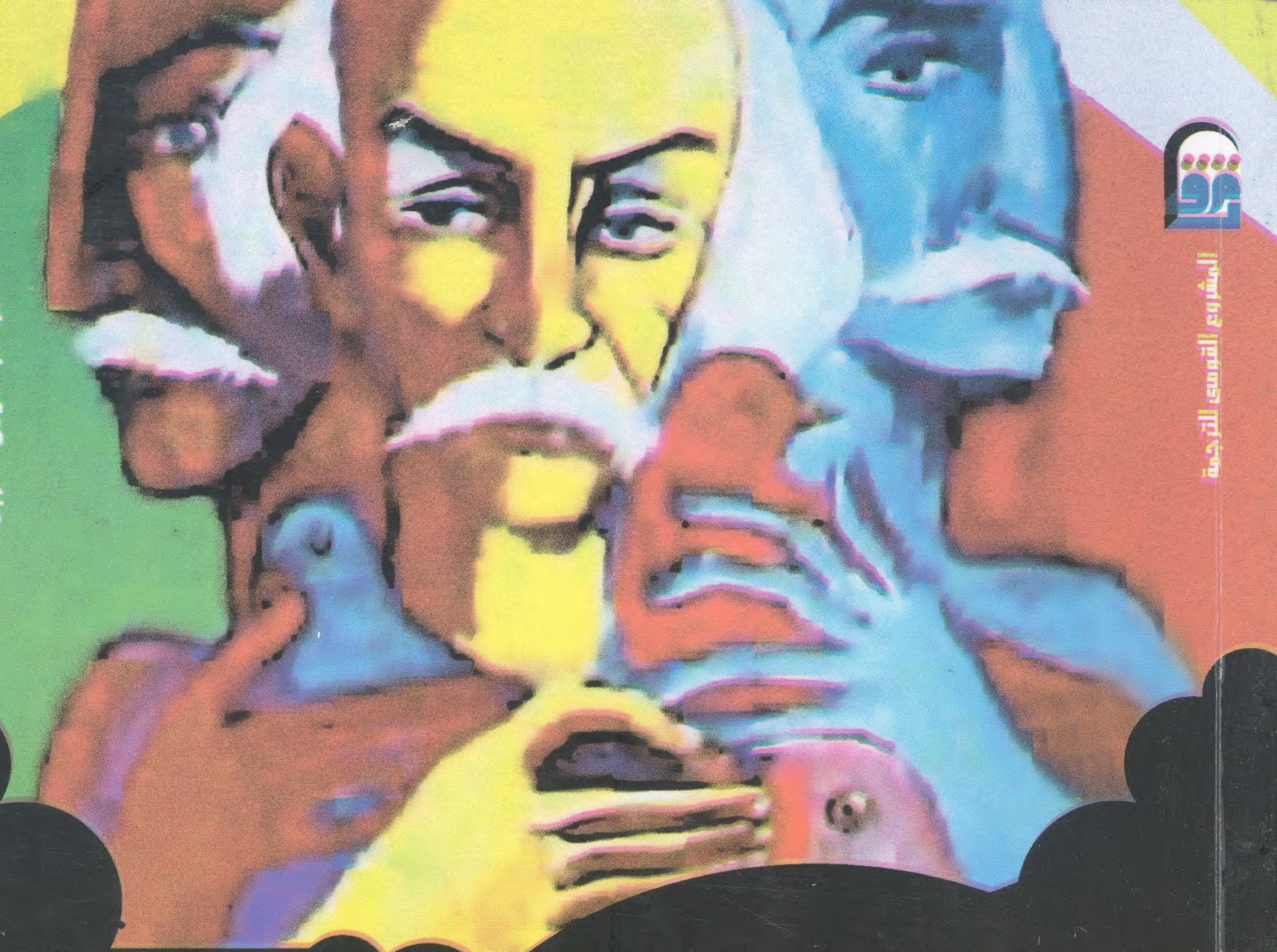

المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

مختارات من أشعار

نيما يوشيج

ترجمة: رملة محمود غانم

مراجعة وتقديم: بديع محمد جمعة

سلسلة الشعر

1256

مختـارات من أشعـار

نيما يوشيج

المركز القومي للترجمة

إشراف: جابر عصفور

سلسلة الشعر

المشرف على السلسلة : فاطمة قنديل

- العدد : ١٢٥٦
- روائع من أشعار نيما يوشيج
- نيما يوشيج
- رملة محمود غانم
- بديع محمد جمعة
- الطبعة الأولى ٢٠٠٨

هذه ترجمة لمختارات من أشعار

الشاعر الكبير نيما يوشيج

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة .

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

e.Mail:egyptcouncil@yahoo.com **Tel.:** 27354524 - 27354526 **Fax:** 27354554

مختارات من أشعار نيما يوشيج

ترجمة

رملة محمود غانم

مراجعة وتقديم

بديع محمد جمعة

٢٠٠٨

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

يوشيج ، نيما

روائــع من أشعـار نيما يوشيج ، ترجمة رملة محمـود غـانم ،

مراجعة وتقديم بديع محمد جمعة .

ط ١- القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠٠٨

٦١٦ ص ، ٢٤ سم .

١ - الشعر الإيرانى .

(أ) غانم ، رملة محمود (مترجم)

(ب) جمعة ، بديع محمد (مراجع)

(جـ) العنوان ٨٩١,٥١

رقم الإيداع : ٩٦-٢١/٢٠٠٨

الترقيم الدولى : 977-437-943-8

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

الفهرس

تقديم المراجع	11
المقدمة	15
١- ينساب ضوء القمر	59
٢- واهًا علىّ	61
٣- بومة عجوز	63
٤- أكلو الجيف	64
٥- ليلة الممنوع	66
٦- إننى أصرخ	68
٧- تعالوا أيها الناس	71
٨- كسير الجناح	74
٩- فى أولى ساعات الليل	76
١٠- الغارقون فى الموت	79
١١- ملك الفتح	82
١٢- على الجدران المهدمة	92
١٣- ظالم فى الطريق	96
١٤- أمطار عجيبة	101

١٥- الرياح تدور 103
١٦- فى ليلة شتاء باردة 105
١٧- على الميناء 107
١٨- هو فى رؤياه 109
١٩- أنا بسمة 112
٢٠- فى طريق خفى 116
٢١- من يضحك ومن باكٍ ؟ 119
٢٢- الجليد 122
٢٣- ظله 124
٢٤- نزيف الدم 126
٢٥- قلبى الفولاذى 128
٢٦- أغلقت الباب 131
٢٧- من يبكى 134
٢٨- الغراب 137
٢٩- طائر القنقنوس 140
٣٠- طائر الحزن 144
٨١- طائر الحق 148
٨٣- عمل حارس الليل 150
٨٤- أم وغلام 159
٨٥- رسالة إلى سجين 170
٨٦- الديك يؤذن 187

٨٧- أمل الشـرير 191

٨٨- السـيـد توكـا 197

٨٩- خفاش السـاحل 201

٩٠- تـى تيـك 203

٩١- كك كـى 206

٩٢- على ضـفاف النهر 207

٩٣- طائر التصديق 209

٩٤- حقـد الليل 219

٩٥- الليل 222

٩٦- الطريق سـاكن 223

٩٧- أضـواء الليل 225

٩٨- الليل الحـزين 226

٩٩- حتى الصـبـاح 233

١٠٠- الصباح المدنس 235

١٠١- بيتى ملبد بالغيوم 237

١٠٢- حـينمـا 239

١٠٣- المصـبـاح 241

١٠٤- شـمـعة فى قارب 244

١٠٥- فى مقدمة قاربه 247

١٠٦- حـقلى 248

١٠٧- أعلى الأدخنة 249

١٠٨- الحداد 251

١٠٩- الهـادى 253

١١٠- نطفة الأيام 257

١١١- غنِّ مـعى يا رفـيق السـفر 260

١١٢- ناده 264

١١٣- نحو المدينة الصامتة 268

١١٤- الناقـوس 280

١١٥- الجميلات 300

١١٦- أبى 310

١١٧- من عمارة أبى 315

١١٨- إلى الملكة 317

١١٩- فى (فـرويند) 342

١٢٠- تمثـال الطائر.. 345

١٢١- كل ليـلة 347

١٢٢- ذكـرى 349

١٢٣- ضيائى 351

١٢٤- مـاخ اولا 352

١٢٥- الجـدول يبـكى 354

١٢٦- من بعيد 355

١٢٧- الحـبـاب 357

١٢٨- المفقودون 359

١٢٩- قصة قديمة	361
١٣٠- ضحكة باردة	363
١٣١- جيران النار	365
١٣٢- رى را	367
١٣٣- العشب	369
١٣٤- قطع من الليل	371
١٣٥- إنه الليل	372
١٣٦- مع قطار الليل والنهار	373
١٣٧ـ زهرة نور القمر	375
١٣٨- مع غروبه	379
١٣٩- أنا عين لك	381
١٤٠- موت عصفور	382
١٤١- البجعة	384
١٤٢- يضحك	388
١٤٣- الجبل العظيم	390
١٤٤- الموقد البارد	393
١٤٥- الجمال	395
١٤٦- العود	396
١٤٧- صوت العود	398
١٤٨- مانلى	399
١٤٩- بيت " سريفيلى "	459

١٥٠- الرباعيات	510
- **متفرقات**	527
١٥١- الأسطورة	529
١٥٢- أيها الليل	567
١٥٣- منة الأدنياء	571
١٥٤- الابن	572
١٥٥- عبد الله بن طاهر والجارية	574
١٥٦- العين الصغيرة	577
١٥٧- عنزة الملاّ حسن	581
١٥٨- الزهرة مبكرة النمو	584
١٥٩- الثعلب والديك	585
١٦٠- دودة القز	588
١٦١- بشرى	590
١٦٢- ذكرى وطني	592
١٦٣- ذكرى	596
١٦٤- المستسلم	599
١٦٥- الذئب	601
١٦٧- الأسد	603
١٦٨- الفضاء الرحب	608
١٦٩- الصباح	610
١٧٠- الدخان	612

تقديم المراجع

تابعت الابنة الفاضلة " رملة محمود غانم " طوال سنى الدراسة بقسم اللغات الشرقية ، فكانت نعم الطالبة الدءوب الحريصة على التميز والتفرد العلمى بين أقرانها؛ إذ كانت الأولى فى ترتيب الناجحين دائمًا .

ولما تخرجت وعملت معيدة بالقسم، وبدأت مسيرة الدراسات العليا ، حرصت على متابعة خطواتها باستمرار، واتفقنا على أن يكون تخصصها الدقيق فى مضمار الأدب الفارسى الحديث والمعاصر ، وبخاصة فى مجال الشعر ، وكان الشعر الفارسى خلال القرن العشرين – ومازال حتى اليوم – يضم مدرستين : أولاهما مدرسة الشعر العمودى ورائدها ملك الشعراء " محمد تقى بهار " المتوفى عام ١٩٥٢م ، والثانية مدرسة الشعر الحر ورائدها ومُنظرها الشاعر " نيما يوشيج " ، وقد آثرت الدارسة والباحثة " رملة " أن تكون رسالتها لنيل درجة الماجستير فى شعر رائد المدرسة الأولى، فاختارت من ديوانه منظومة (كارنامه اى زندان) أى (خواطر سجين) ، والتى نظمها بهار على غرار (كارنامه اى بلخ) للشاعر الإيرانى الكبير " سنائى " المتوفى ٥٤٥ هـ، فأجادت دراستها وترجمتها إلى العربية. أما رسالة الدكتوراه فقد خصتها بدراسة شعر رائد حركة الشعر الحر الشاعر " نيما يوشيج " ، فأجادت كعادتها الإحاطة بكل مقومات المدرســة الشعرية الجديدة، وترجمت العديد والعديد من روائع " نيما يوشيج " .

وهكذا أحاطت الدكتورة " رملة " بأبعاد واتجاهات المدرستين معًا ، مما يمكنها من حسن التعامل مع كل أنماط الشعر الحديث والمعاصر بشقيه التقليدى والتجديدى .

أما عن "نيما يوشيج" وأشعاره – وهو لب هذا العمل – فيكفينى أن أقدم فى ذلك شهادة ناقد كبير ، وهو أستاذنا المرحوم الدكتور " عز الدين إسماعيل " ، فقد آثرت عندما أنجزت الطالبة رسالتها ، وبدأنا نشكل لجنة المناقشة أن أذهب إلى الدكتور "عز الدين إسماعيل " – وكان عميداً للكلية آنذاك – وعرضت عليه رئاسة لجنة المناقشة ، ولكنه اعتذر فى البداية قائلاً : ما صلتى بالأدب الفارسى حتى أناقش هذه الرسالة ؟ ولكننى أقنعته بأنها رسالة فى الشعر الحر، وأنه من أكبر المهتمين به ، وأن " نيما يوشيج " لا يقل مكانة أو قدرة عن شاعرنا الكبير " صلاح عبد الصبور " ، فوافق أخيراً . وبعد حوالى شهر تحدد موعد المناقشة ، وكانت فى السادسة مساء .

حضرت الطالبة، وحضر عضوا المناقشة ، وحضر الجمهور ، ولم يخرج بعد الدكتور " عز الدين " من مكتبه لنبدأ المناقشة ، فذهبت إلى سيادته أذكره بموعد المناقشة ، فوجدته يقلب صفحات الرسالة ويطلب الانتظار ساعة أخرى . وبعد هذه الساعة جاء إلى قاعة المناقشة وبدأ مناقشته قائلاً : « لقد استمتعت بشعر " نيما " هذا أيما استمتاع ، ولم أكن أتصور أن فى إيران شاعراً كبيراً يفوق فى مكانته وإمكاناته الفنية العديد من دعاة التجديد فى الشعر العربى ، لقد ترددت كثيراً فى قبول المشاركة فى هذه اللجنة العلمية ، لكننى أقولها الآن صريحة : لقد قدم لى قسم اللغات الشرقية هدية أعتز بها؛ إذ جعلنى أتعرف على شاعر كبير له مكانته لا فى الشعر الفارسى وحده ، بل فى حركة الشعر العالمى ».

ثم تجاوز أعراف المناقشة قائلاً : « إننى أهنئ الدكتورة رملة على اختيارها لهذا الموضوع ونجاحها فى تقديم دراسة متميزة لشاعر أكثر من متميز وتوفيقها فى ترجمة العديد من نماذجه الشعرية بلغة عربية سليمة ».

وأمام هذا التميز والتفرد الذى حازه شعر " نيما " خلال سنى القرن العشرين وحتى اليوم ، ونتيجة لما أبدعته الزميلة الأستاذة الدكتورة " رملة غانم " فى ترجمة أشعاره ودراستها ، فقد طالبتها بترجمة المزيد من روائع أشعار " نيما " وتقديمها

إلى المركز القومى للترجمة ليكون عملها هذا أول عمل متكامل لتقديم نماذج منتقاة ومختارة من أشعار " نيما " وحده ، لا كتلك المحاولات التى قُدِّمت فيها قصيدة أو قصيدتان من أشعار " نيما " ضمن عمل أو بحث يقدم مختارات لعدد كبير من الشعراء ، مما لا يتفق ومكانة هذا الشاعر الكبير .

وأتمنى أن تحظى هذه الروائع المترجمة بالتوفيق والتقدير ، وتكون نافذة مفتوحة لتعرف القدرات الفنية والفكرية لهذا الشاعر الكبير والاستمتاع بها .

أ . د . بديع محمد جمعة

المقدمـــة

هناك ، فى إحـدى قـرى شـمـال إيران البـاردة، وفى عـام ١٨٩٦م ، ولد "على" الطفل الأول لأبيه " إبراهيم نورى " وأمـه " طوبى " . ولم يكن والده القروى البسيط يعلم أن ابنه هذا سيمـلأ سمع الدنيا بعد سنوات حين يقوم بثورة فى عـالم الشـعـر الفارسى لم يكن لها مثيل منذ بدأ نظمه فى القرن الثالث الهجرى .

نشـأ " على " مع إخوته الأربعة: " لادبن " و " بهجت " و" ثريا " و "ناكيتا " فى قريتـهم (يوش) ، وهى إحدى قـرى إقليم (مـازندران) الواقع على بحر (قـزوين) شمـالى إيران ، وتشكل سلسلة جبال (ألبرز) قوسـاً عظيمًا حولها ، وتكوِّن أمطارها الغزيرة أنهارًا تنبع من الجبال وتصب فى البحر، فتستخدم مياهها فى زراعة الوديان ؛ لذا تكثر بها زراعة الأرز وأشجار الفاكهة والغابات الكثيفة .

وقد ارتبط " علىّ " بقريتـه ارتباطًا نفسيًا عميقًا ترك بصـمـاته الواضحـة على شخصيته وكتاباته الشعرية والنثرية . يقول عن فترة طفولته :

« عشت سنوات حيـاتى الأولى بين الرعـاة الذين يقضـون حيـاتهم فى الترحـال، ويجتمعون فى الليل حول النيران، ويستمتعون بحياتهم الهادئة الرتيبة وتسلياتهم الساذجة ».

وحرص والده على تعليمه الكتـابة بخط جميل والرماية وركوب الخيل ، وكانت أمه تقص عليه الحكايات المتداولة فى البيئة ، والمستوحاة من (العرائس السبع) للشـاعر الإيرانى "نظامى الكنجوى " ومن غزليـات " حافظ الشيرازى " التى حفظ منها الكثير .

تعليمه :

عندما أكمل عامه الثانى عشر انتقل مع أسرته إلى العاصمة (طهران) ليلتحق بمدرسة (سانت لويس) ويتعلم الفرنسية وهنا تبدأ رحلته مع الاغتراب ، ذلك الشعور الذى لازمه طوال حياته ، يقول عن هذه السنوات :

«مرت سنواتى الأولى فى المدرسة فى نزاعات مع الأطفال، فقد كان الانطواء الذى يتسم به الأطفال الذين نشأوا خارج المدينة مثلى موضع سخرية زملائهم ، ولذلك لم أكن أؤدى واجباتى المدرسية، ولم أكن أحصل إلا على درجات الرسم فقط ، ولكن كان هناك أستاذ رقيق الحاشية يرعانى ويشجعنى، وهو الذى دفع بى إلى قول الشعر ، وهو الأستاذ والشاعر " نظام وفا " الذى كتب له مرة تعليقا على مانظمه من شعر قائلاً :

« روحك الأدبية تنبئ بالسمو والتكامل ، وأنا أهنئ المدرسة بفتى مثلك » .

ويعترف هو بفضل أستاذه عليه بعد ذلك، فيهدى إليه أول عمل شعرى يمثل نوعاً من التجديد ينشره مستقلاً وهو منظومة (افسانه) أى (الأسطورة)؛ فيقول :

« أقدمها لحضرة الأستاذ نظام وفا، وأعلم أنها هدية لا تساوى شيئًا، إلا أنه من أهل الجبال، وسوف يتقبلها بما عرف عنه من بساطة وأصالة » .

ويزداد الفتى تعمقًا فى دراسة الفرنسية وأدبها ، ويطلع على ثقافة الغرب، وينهل من نظرياته الحديثة، ويقرأ لكبار الشعراء.

وفى فجر شبابه تعلق قلبه بفتاة من أهل الجبال تسمى " صفورا "، وكانت ذات ذوق لطيف، فأثرت فى فكره وشخصيته، ولفتت انتباهه إلى الطبيعة وجمالها وسحرها؛ فصار يستلهم الطبيعة فى شعره ، وأراد أبوه أن يزوجه بها فرفض أهلها أن تنتقل للعيش معه فى المدينة بعيداً عنهم ، فتجرع الفتى مرارة الفراق، ولجأ إلى المعارف

والفنون متنقلاً بين المكتبات ومجالس العلم ومقاهى الشعراء . وتبدو آثار جرح الهوى فى أول عملين شعريين نشرهما، وهما (قصة الشاحب) و (الأسطورة) .

وبعد أن أصبح الشعر هو شغله الشاغل اتخذ لنفسه لقبًا شعريًا هو " نيما " ، و" نيما " هو جبل فى قريته ، واسم لقرية صغيرة فى إقليم (مازندران) ، وهو أيضاً اسم لأحد حكام الإقليم القدماء، أما (يوشيج) فتعنى: (اليوشى) فى لهجة أهل (مازندران)، وهكذا أطل على دنيا الشعر باسم : " نيما يوشيج " .

عزلته :

بعد أن نشر " نيما " أجزاء من منظومتيه السابقتين فى كتب الأدب والصحف بجانب أعمال أدبية أخرى، ابتعد عن مجال النشر، بل ابتعد عن العاصمة إلى مدن شمال إيران وقراها، وظل منزويًا بعيداً عن مجال النشر مايقرب من خمسة عشر عامًا . يقول عن هذه الفترة من حياته :

« أبعدتنى الاضطرابات التى كانت فترة ضغوط قاسية على بلادى عن قول الشعر، فسافرت إلى الشمال، وهناك عدت إلى النظم، واستطعت التوصل إلى أسلوب أكثر تنظيما، أسلوب لم يعرفه أدب بلادى من قبل . وقد عانيت سنوات من وطأة النظم التقليدى بشكله وكلماته وأسلوبه حتى أمهدالطريق وأعبده ليصلح للسير أمام جيل جديد من الشعراء ».

وكان الشاعر يقصد بفترة الاضطرابات ماحدث خلال عامى ١٩٢١م و ١٩٢٢م حين انسحبت القوات الروسية من طهران عقب قيام الثورة الروسية عام ١٩١٧م ، وزحف "رضا خان " (رضاشاه بعد ذلك) بفرقته ، وما صحب ذلك من اعتقالات ورقابة وسيطرة للإنجليز على حكام الأسرة القاجارية وخواء خزانة الدولة ، ثم تولى " رضاشاه " الحكم وتأسيس الأسرة البهلوية التى كان أساس الحكم فيها عسكريًا ديكتاتوريًا ، فمنعت المناقشات العامة، وصودرت الآراء، وفرضت الرقابة على الصحف

والبريد، وانتشر الرقباء فى كل مكان، وخاصة فى الجامعات والأسواق ، ودفعت هذه الأوضاع الكثيرين إلى الهجرة خارج إيران أو إلى الانزواء كما فعل شاعرنا .

وقد صار الانزواء واعتزال الناس سمة مميزة لشخصيته منذئذ حتى بعد أن عاد إلى مجال النشر حتى أصبحت فلسفة لحياته يكتب عنها، ويعدد أسبابها، ويبلور الحكمة منها، ويبين شروطها وضرورتها ونتائجها ، وذلك فى رسائله للآخرين وكتاباته النثرية وكثير من سطوره الشعرية .

يقول فى رسالة لصديق له:

« إننى بعيد عن الناس وعن كل شىء حتى إنهم نسوا وجودى ، وأنا نفسى لا أريد أن أقترب منهم حتى إننى مت وأنا فى عين الحياة ؛ فليس هناك من هم فى مستوى أفكارى لأبدد ضيق نفسى بالحديث معهم . أشعر بأنى الآن وحيد مثل رهبان القرون الوسطى حتى إننى لو صرخت من شدة الوحدة لعادت صرختى إلىَّ ! ».

وهو يعلل سلوكه هذا بأنه كان مختلفًا عن غيره، ولم يقع تحت تأثير الآخرين . يقول :

« لقد غيرت نفسى بشكل لم يصل إليه أحد من معاصرىَّ قط ».

وقد دعمت ذلك أسباب أخرى، منها انشغاله بإبداع تغيير هائل فى الشعر كان يشعر مسبقًا أن أحدًا لن يستجيب بسرعة له ، ومنها تكوينه النفسى؛ فهو من أهل القرى يعرف قدر تآلف العائلة وتعاطف أهل القرية البسطاء، ولكنه افتقد كل ذلك عند انتقاله إلى المدينة، فاصطدم بنمط الحياة فيها والآلية فى التعامل بين الناس وعدم الاكتراث بالآخرين، ولأنه كان ذا نفس مرهفة – وهذا من سمات شخصية الفنان – فلم يتحمل الحياة فى المدينة .

وبعد سنوات طوال يبلور "نيما" الحكمة من الانزواء والانطواء، ويبين ضرورة ذلك لتطهير نفس الشاعر؛ فيقول فى إحدى رسائله لشاعر شاب :

« دون الخلوة مع نفسك لن يتطهر شعرك، ولن يكون كما يجب أن يكون ، دعك من تلك الأحاديث الساذجة التى تقول إن الشعر يُصنع من المجتمع ، فإن الشاعر يأخذ بضاعته من المجتمع، ثم ينظمها فى خلوته، ويعطيها قيمتها فتصير معه شيئًا ذا قيمة ، والدليل على هذا أنه ليس كل شخص شاعراً ، والموضوعات التى لا تسكن قلب الشاعر، وتختمر فيه لا يُعتد بها ولا تضيف قوة لنبض الحياة ».

وللخلوة عنده شروط نقرأها فى رسالته هذه التى يخاطب فيها شاعراً شاباً، يقول له :

« هل تجد النقاء والطهر الواجبين فى خلوتك أم لا ؟ لتسأل نفسك عن هذا؛ فإن أحداً لا يراك ولا يعلم ماذا تفعل . هل ترى الأشياء التى لا يرونها ؟ هل يحضر عندك الأشخاص الذين تريدهم أم لا ؟ هل يتحول ركن غرفتك إلى منظر للبحر؟ هل تسمع كل صوت تريده؟ حين يحل عالم بأكمله فى حجرتك الصغيرة؛ فلا تشك فى صفاء خلوتك ونقائها، أما إذا كان الأمر على غير هذا، فإن خلوتك ظاهرية تشبه خلوة التاجر الذى يغلق الباب على نفسه ليحصى نقوده ، وحينئذٍ تكون قد فقدت ذاتك . فلتبدأ فى تطهير نفسك؛ لأن الخلوة التى نتحدث عنها هى عصارة صفائنا وطهارتنا وليست شيئًا آخر ».

عمله :

بعد أن تزوج " نيما " من " عاليه جهانكير " عام ١٩٢٧م، وأنجب ابنًا واحداً هو "شراكيم " ، توزعت سنوات حياته بين عدة أعمال ، فقد عمل بالتدريس فى (طهران) بعد أن ترك عملاً إدارياً قال عنه :

« تركته بعد أن سئمت من ترتيب الأوراق وتدبيسها ». على الرغم من لوم الجميع له؛ لأن الحصول على عمل كان أمراً صعباً حينئذٍ . وحين كانت زوجته تتنقل بين مدن

شمال إيران متولية نظارة مدارس البنات، كان يتنقل معها، ويقوم بتدريس الأدبين الفارسى والعربى .

يقول فى رسالة لأخيه يحكى له عن هذه الفترة من حياته :

« تعمل زوجتى مديرة لمدرسة ، وهى تعيننى دائمًا كما لو كان ذلك الكائن الرقيق قد خُلق من أجل مساعدتى والأخذ بيدى ، أو أن الله قد علم أننى سيئ الحظ، فجعلها رحيمة بى مطيعة لى ».

وفى عام ١٩٣٩م عاد إلى طهران، واختير لعضوية أسرة تحرير مجلة (الموسيقى)، واستطاع بذلك أن يجد المجال المناسب لنشر أشعاره التى بدأت تروج، ويظهر تأثيرها على غيره من الشعراء . وبعد توقف المجلة عن الصدور تولى الإشراف على إخراج الكتب ونقد الأشعار فى الإدارة العامة للمطبوعات والنشر التابعة لوزارة الثقافة .

شخصيته واهتماماته:

وكان هذا العمل الأخير يتفق واهتماماته؛ فقد كان يهتم بقراءة دواوين القدماء، ويبحث عن النادر منها ، وكان شديد الاهتمام بالأعمال الأدبية الأجنبية، وبخاصة الشعرية منها ، وكتب أنه أفاد من قراءة الصحف المصرية، وبخاصة جريدة (الأهرام) وماتضمنته من كتابات أدبية؛ إذ كانت الصحف المصرية تجد قراء إيرانيين من طبقة المثقفين .

وعلى العكس من ذلك كان ينفر من كل ماهو فلسفى أو قياسى مثل المنطق والعروض، بل يرى أن الفلسفة ليست فى الكتب، وأن الشاعر يكون شاعرًا دون أن يعرف العروض .

يقول فى إحدى رسائله :

« المنطق أو أى قاعدة قانونية تريدُ أن تفرض على الفكر رتابة صارمة لم تُقدِّرها له الطبيعة ، هو شيء لم أؤمن به قط، ولم أبع له استقلالى . ومثله العروض ، والفكر الصحيح السليم فى غنى عنهما . والطبيعة وأسرارها خارج دائرة القياس، وإنما تُعرف بالتجربة والمشاهدة ، أما الفلسفة فليست فى الكتب . وكما يكون الشاعر شاعراً دون أن يعرف العروض؛ فكذلك الفيلسوف تكون فلسفته منحة له . وكل المعارف التى وصلت إليها وجدتها فى غير كتب المنطق القياسى ».

وكان بطبيعته يأنف من الشهرة ويقول : « الشهرة والفخار والتعظيم لقلب قد خبر الدنيا وأدرك قيمتها كلمات لا أساس لها ولا يمكن أن تُسخر إرادته . والشهرة تشبه صوتًا قبيحًا لطائر يجذب انتباه الناس إليه ، لكنه لايمتع قلوبهم ».

ويقول : « إننى لا أقيد نفسى بالقوانين والتقاليد العتيقة، ولكننى أسعى لأكون طبيعيًا ، ولا أقيد نفسى بالمناصب الخاوية والامتيازات الفانية، و لا أريد أن أكون شخصًا مرموقًا يصيح الناس حين يرونه هذا فلان رائد هذا الفن أو ذاك ، ولكننى كلما اقتربت من حياة عشيرتى من القرويين، وكلما رحت أو غدوت بين الحقول أشعر بأن معرفتى تتعمق وبصيرتى تقوى ».

ويكره العمل بالسياسة أو التدخل فى شئونها؛ فيقول : « لحسن الحظ أننى لا أتدخل فى الشئون السياسية قط ، والشرطة وموظفو الدولة فى راحة من ناحيتى، وأنا بعيد عن تلك الدوامة التى تسمى بالسياسة ».

وأبرز ما يميز شخصية " نيما " هو حبه للطبيعة وارتباطه بها إلى أقصى درجة حتى يمكننا القول بأن هذا الجانب من شخصيته هو ما يطغى على كل شيء آخر ويلونه بلونه؛ فهو يحب الطبيعة فى كل مظاهرها من غابات وأشجار وبحار وأنهار ووديان وجبال وأرض وسماء وأزهار وأطيار ... ويحب الحياة بين القرويين البسطاء ، ويتمنى أن يكون واحداً منهم ، ويهرب دومًا إلى أحضان الطبيعة حين يضطر

إلى الحياة فى المدن . يقول : « أكثر ما يروح عنى الذهاب إلى الغابات فى أطراف المدينة أجلس تحت أشجارها، أسخر من كل ما يشغل بال البشر ، وأجلس على شاطئ النهر أرقب الصيادين ، وأنظر إلى ضياء الأفق يلون أمواج النهر ، وإلى قمم الجبال البعيدة المتوجة بالثلوج ، وأستمتع بموسيقى الروح التى تنساب من تحت السحب إلى سمعى » .

ويقول أيضًا : « حين تتلقى أذنى زقزقة طيور البحر والهمهمة الهامسة للمروج القريبة وخوار الأبقار وأحاديث النساء ، أشعر أن لكل من هذه الأشياء معنًى خاصًا لدىَّ ، وفى الليل أحب أن أذهب إلى المزارعين والصيادين، وأجالسهم، وأستمع معهم إلى نغمات الناى وإلى قصصهم وأشعارهم المحلية ، وفى النهار أجلس وسط المزارعين، وأشاهد القرويات يمسكن بأيدى بعضهن ويرقصن ، وأتحدث مع العجائز التى تحفل أحاديثهن بالأساطير عن الجن والشياطين والملائكة ، ومعهم أشعر بالسعادة ، ويعجب الناس منى حين يروننى أجمع الأصداف الصغيرة على شاطئ النهر » .

ولذا لم يكن عجيبًا أن يتعلق قلبه بقريته (يوش) تعلقًا شديدًا قلَّ أن نجد مثيلاً له بين الشعراء ؛ فهو ليس رجلاً من أهل الريف انتقل للحياة فى المدينة فتحولت القرية إلى ذكريات فى خاطره ، بل كان يحملها فى أعماقه أينما ذهب، ويراها فى يقظته وأحلامه، ويعيشها بكل وجدانه حتى لو لم يكن موجودًا فيها . وكان حريصًا على تمضية الصيف من كل عام فيها، كما كان يتمنى أن يعود إلى قريته، فيقضى بها بقية حياته صيادًا أو فلاحًا أو راعيًا ، وحين يكون بعيدًا عنها يقول: « إننى أغلق عينى وأرى بخيالى كل ما يتوق إليه فؤادى، أرى الثلوج قد توجت جبال يوش ببياضها، أرى الأحجار وجذور الأشجار الصغيرة وشجيرات الورد ، وفى الليل أرى كل ذلك فى منامى، فليست هناك قطعة من تلك الجبال والوديان الجميلة تخلو من ذكريات تملأ الخيال والوجدان، وتجرى فى عروقى مجرى الدم ».

وقد صارت قريته له (الوطن) ، يقول : « كيف لا نحب المكان الذى نشأنا وسعدنا فيه ، إنه الوطن ، وكم هو قوى فى وجدانى هذا الإحساس بحب الوطن ، وحين أقول كلمة وطن، فإننى أعنى بها دائمًا يوش سواء أكان هذا فى أشعارى أم فى كل ما كتبت » .

وما يفتأ يذكر فى أشعاره الأسماء المحلية للحيوانات والطيور والنباتات والأشجار والأشياء مثل إناء الأرز وموقد النار والعصا الخشبية والمنزل الصيفى وعمال مزارع الأرز ، بالإضافة إلى العادات والتقاليد وصفات القرويين من مزارعين وصيادين ورعاة ، فدارت حول هؤلاء الناس ومجتمعهم وأشيائهم كثير من أشعاره .

ويقابل ذلك نفوره الشديد من الحياة فى المدن، وبخاصة العاصمة طهران، مثله فى ذلك مثل كل الشعراء الذين نزحوا من القرية إلى المدينة، فظلت القرية بمثلها وقيمها تعيش فى نفوسهم، ويقارنون بينها وبين ما تتسم به المدينة من صخب وزحام وآلية وبعد عن دفء المشاعر حتى تتحول إلى رمز للكآبة ولكل ما هو سيئ .

يقول " نيما " :

« إننى أسير فى طهران، ولا أفيد من شمس ولا أرض، وليس هناك يوم واحد مريح ، ولا سعادة لى فيها غير كتبى التى توجد حولى ».

ويعبر عن نفوره من أهل المدينة قائلاً :

« كم تكون هذه النماذج منفرة ممقوتة لدىَّ ، ما أقبحها من كائنات تتحرك فى الشوارع المزدحمة ! من يستطيع أن يدلنى على قلب سليم واحد تحت هذه الأسقف الخانقة أو بين هذه الجدران الساكنة ؟ ...لا أحد ».

ويقول فى (قصه اى رنگ پريده) أو (قصة الشاحب) يشكو سوء حاله فى المدينة :

- لست من أدنياء المدينة هؤلاء ،

- ولكنني من أهل الجبال .

- لى نفس مفعمة بالألم ،

- ومن سوء الطالع فى مدينتكم .

- ما أسعدنى بحياة أهل الجبل !

- فهى حياتى منذ الطفولة .

- وما أجمله من مأوى ،

- يحمينى من شرور أهل المدينة .

- ليس به عظمة ولا زينة ،

-ولا قيود ولا مكر ولا حيلة .

- ما أجمل النار فى الليالى الحالكات !

- وما أجمل الأصوات والهمهمات !

- بين القطعان فى الغابات .

- آه ! أين الأهل والديار؟

- أين الغابة والبيت ؟ أين؟

- انظر إلى سوء طالعى !

- لا جعل الله لأحد طالعًا مثله .

- ليس لى من هؤلاء الأدنياء رفيق،

- لذا قضيت السنوات وحيداً .
- حياة المدينة سحقتنى ،
- وصُحبتها آذتنى .
- كم خبرت المدينة وأهلها ،
- وأقوالهم وأفعالهم .
- إنها زاخرة بالعيوب والأذى ،
- مليئة بالمكائد والشرور .
- إنها منبع المفاسد ،
- تموج بالسوء والفتن .
- إن يتصارع الناس بسبب المدنية ،
- فأهلاً بالتوحش .
- والروح فداء أهل الغابة ،
- ومرحى للبسطاء مرحى !

إبداعاته الأدبية:

تنوعت الإبداعات الأدبية " لنيما " بين الأشعار والكتابات النثرية ، ومع أنه شاعر مبدع فى المقام الأول ، فإن كتاباته النثرية كانت ذات قيمة كبيرة لأنها؛ تتضمن تنظيراً لما قدمه من تجديد فى الشعر ، كما يعرض فيها آراءه فى فنون عصره وبلاده، وترسم كتاباته للقارئ صورة معبرة عن شخصيته.

وقد تجاوزت كتبه النثرية عشرة كتب، أهمها: "مجموعة كتب الرسائل" ، وتضم خمسة كتب هي:

- (دونامه) أى (الرسالتان) : و يتضمن رسالتين متبادلتين بين " نيما " وصديقه الشاعر " شين برتو "، وهما رسالتان طويلتان ينقد " نيما " فى إحداهما شعر صديقه، ويعبر عن رأيه فى الشعر التقليدى والشعر الجديد، ويشرح عناصره الفنية .

يقول فى رسالته متحدثًا عن وزن الشعر:

« كانت للأوزان التقليدية رتابة بسبب إيقاعها الموسيقى، وكنت أسعى لأحررها من ذلك القيد، وأجعلها مطابقة للإلقاء الطبيعى ولمعانى الشعر وموضوعاته المختلفة؛ فقد كان الناس حين يستمعون للشعر يتوقعون منه نغمًا يترنمون به ، أما الآن فالشعر بالنسبة لنا ليس موضوعًا غنائيًا، ولكنه للتعبير عن الموضوعات الاجتماعية ، ويجب أن يكون الوزن مناسبًا لمفاهيمنا وأحاسيسنا؛ فيعبر الشعر عنا كما نتكلم ، ومن هنا تتضح أهمية تطويل وتقصير المصاريع ».

- (السفينة والطوفان): ويضم خمسين رسالة كتبها إلى أفراد أسرته وأصدقائه، وتحدث فيها عن جوانب من حياته. يقول فى إحدى هذه الرسائل :

« إننى أحيا فى وديان موطنى مثل الوحوش ، وهذا أفضل عندى من إنفاق أوقاتى فى أشياء لا جدوى منها . لقد صرت خبيراً بالناس بعد سنوات طويلة من العمل معهم ، وأنا الآن أشبه السفينة التى فرت من الطوفان ». ويقول فى رسالة أخرى خطها لأحد أصدقائه :

« لماذا أقيم فى هذه المدينة ؟ لأشاهد القبائح والرذائل ؟ ما أكثر النفاق والخداع والتظاهر والرياء هنا ! والإنسان بطبعه يهرب مما ينفر منه . إلا أننى آمل فيكم أيها الشباب ، ولولا ذلك ما رأى أحد ورقةً وقلمًا فى يدى ؛ فأنا أكتب لكم ما ستقرأونه غداً ، فلتبذلوا ما فى وسعكم أنتم أيضًا، ولتتحلوا بصفات الرجولة ، والرجل يأنف من الخنوع والظلم ».

وفى معرض اعتراضه على طراز الملابس الأوروبية التى يبالغ بعض الإيرانيين فى ارتداء الغريب منها ، يقول فى رسالة لوالده :

« أحب كل ماهو قديم عدا سبك الشعر القديم وأسلوب التفكير القديم ، الطائر البرى الذى يعرف الصياد جيداً هو ابنك ، أهرب من كل مكان سوى موطنى الحبيب ؛ فكل ما فيه كما أهوى ». وفى رسالة لأحد أصدقائه يقول :

« الحياة تشبه نهراً يندفع بقوة دون نظام ، وأنا أعظم أمواجه ، ومع ذلك فلن أغير مسلكى بسبب أشخاص ».

– (دنيا ، خانه اى من است) أى (الدنيا بيتى) : ويضم أيضًا خمسين رسالة إلى أفراد من أسرته أو أصدقائه ، ونشر الكتاب مرتين . يقول فى إحدى تلك الرسائل :

« هناك عيب فيمن اخترته صديقًا لك هو أنه قلما يكتب لأصدقائه؛ فالإهمال موجود لدىَّ ، وبخاصة فيما يتعلق بعلاقاتى مع الآخرين، ولكن ذلك لا يمكن أن يدل على عدم محبتى لهم؛ فهذا محال بالنسبة إلى الشاعر الذى خُلق قلبه من جنس آخر ».

ورسائله الواردة فى هذا الكتاب إلى أمه وأخته وأخيه تفيض بالمودة والمحبة والتواصل معهم والرغبة فى متابعة كل أخبارهم ، وأيضًا يبث فيها شكواه من سوء حظه وظروفه فى الحياة .

– (ستاره اى در زمين) بمعنى (كوكب فى الأرض) : وفيه مجموعة من الرسائل .

يسوق فى إحدى رسائله لأخيه رأيًا يقول فيه :

« من الوسائل التى أوجدوها الآن لتنفيذ أمر ما: رأى الأغلبية ، وهذا من مفاسد عصرنا ، فليس ضرورياً أن تكون الأغلبية على حق دائمًا ، وفى رأيى أن الأمور الاجتماعية لا تخضع للمصادفة أو القرعة ؛ ففى النهاية الفكر الصائب ليس بقلة من يتبعونه أو كثرتهم ».

ويقول فى رسالة أخرى لأخيه :

« الشاعر قطرة دمع سقطت من ركن في عين السماء على الأرض ، ثم تحولت إلى زهرة نضرة ، وحين اقترب الناس منها ذبلت ، فنفر منها السعداء ، وأحبها التعساء . الشاعر طائر برى أسير فى قفص ، يضرب بجناحيه عبثًا ، ويغرد حزينًا ويهرم فى شبابه . الشاعر يخاف ، يحب دون سبب وبدون أمل ، إنه إعصار مخيف ، نار مشتعلة ، أمواج هادرة ؛ فهل يمكن إسعاد إنسان كهذا ؟ »

– (نامه هاى نيما به همسرش) أى (رسائل نيما إلى زوجته) : واحتفظت بها الزوجة حتى سمحت بنشرها .

يقول لزوجته فى إحدى رسائله لها:

« إننى أشبه مجموعة من الأسرار الخفية ، أو بناء أبلاه مرور الأيام ، تدور رأسى بشدة ؛ فلتصلحى من شأنى ياعالية ، إننى أحتاج لحنانك ، فلتداوى جسدى الجريح لأعود كما كنت ».

ويقول لها فى رسالة أخرى:

« لقد قسَّم الله كل نعم الأرض؛ فأعطى البعض المال، وأعطى آخرين الأنانية والقسوة ، أما الشاعر فكان نصيبه القلب ، ومنح ذلك القلب قدرة خفية، لكنها تُقهر أمام قدرة المرأة ، فتعالى ياعزيزتى واقهرينى إلى الأبد، واملكى على الدوام زمام قلبى، هل تعلمين من يستطيع أن يشق السحب القاتمة، ويزيح عنها ظلماتها، وينقذ أكثر القلوب اضطرابًا ؟ أنت يا عالية ...أنت تستطيعين كل ذلك .

هل تعلمين أية سحب وأية ظلمات ؟ إنها الليالى الطويلة التى قضاها الشاعر مع طيف زهرة وهمية لم يكن قد عرفها بعد، وكانت السحب هى الحواجز التى تُبعد عن عينيه ما يريده ، وكانت تلك الزهرة هى أنت ، ومازلت وسوف تظلين . كم أحبك يازهرتى الجميلة المحبوبة ».

وكان " نيما " يحتفظ بمسودة لكل رسالة؛ لأنها ليست رسائل عادية تضم الأخبار والسؤال عن الأحوال فحسب ، بل كانت بيانًا لفلسفة حياة، سواء للشاعر نفسه أو للآخرين أو للإنسان بشكل عام .

مجموعة كتب التحقيقات والمذكرات ، وأهمها :

- (حرفهای همسایه) بمعنى (أحاديث الجار) : ويتخيل فيه جارًا له يكتب إليه ما يشبه الرسائل ، ونشرت أجزاء منه فى المجلات الأدبية قبل أن يُجمع للنشر كاملاً ، ويقول إن آراءه الواردة فى هذا الكتاب تحل محل المقدمات لأشعاره إذا لم يقدر له أن يكتب مقدمات لها، وقد وضع عنوانه بنفسه، ويتحدث فيه عن ضرورة تجديد الشعر ورأيه فى الشعر المعاصر، ويشرح كيف جدد الشعر وإلى من يوجهه .

يقول " نيما " فى إحدى هذه الرسائل متحدثًا عن الرمز فى الشعر:

« إذا أردت أن تمنح شعرك نوعًا من الإبهام المقبول ، فعليك بقليل من الإيضاح معه، وعليك بمراعاة التناسب بين هدفك والموضوع ، فمثلاً حين تتحدث عن انتظار أشجار الصنوبر والياسمين، فى حين أنه ليس فى موضوعك حديث عن الانتظار؛ فهذا شىء لا داعى له فى رأيى، وهو يسبب اختلال الشعر»، ويشدد فى بقية الرسالة على أن يكون لاستخدام الرمز فى القطعة الشعرية ضرورة ملحة تزيد من قوة تأثيره، وإلا كان غموضًا لا مبرر له .

ويقول فى رسالة أخرى متحدثًا عن العلاقة بين الشكل والمضمون فى الشعر :

« موضوع الشعر هو ما يحدد شكله ، والشاعر يدرك بفطنته أى شكل يتناسب مع موضوعه ، ويمكن أن يصير أى موضوع – قد يبدو تافهًا – شائقًا بفضل الشكل ، وعلى العكس من ذلك، فإن أسمى الموضوعات لا تكون شيئًا يُذكر إذا لم تأت فى شكل يناسبها . والشكل المتنافر مع موضوعه يهدر أى مهارات أخرى فى الشعر؛ فلكل موضوع شكله المناسب مثل القفل الذى لايُفتح إلا بمفتاح معين ».

- (ارزش احساسات وپنج مقاله در شعر ونمايش) ويعنى (قيمة الأحاسيس وخمس مقالات فى الشعر والمسرح) : ويضم ست مقالات نشرت أولاها فى مجلة (الموسيقى) على حلقات عام ١٩٤١م، وهى من أشهر ما كتب " نيما "، وكانت بعنوان (ارزش احساسات در زندگى هنرپيشگان) أى (قيمة الأحاسيس فى حياة الفنانين) وتناول فيها الفنون وجذورها الفردية والاجتماعية ، وحياة الفنانين وإحساساتهم وكيف ينظر الناس إليهم ، والفرق بين الفكر والشعور ، وكيف تختلف جودة إنتاج الفنان باختلاف درجات استعداده النفسى وظروف حياته ، وكيف يمثل الفنان عصره بكل ما فيه ويفسر اختلاف الفنون الشرقية عن الفنون الغربية ، ويشرح كيف تتغير نوعية الإنتاج الفنى مع تغير العوامل الاجتماعية وتطور احتياجات المجتمع ، ويوضح تأثير الأدب الأوروبى على الأدب الإيرانى ، وهو فى كل ذلك يضرب أمثلة من الفنانين العالميين والإيرانيين .

يقول فيها :

« فى المنظومات الطويلة لم يكن الشاعر يستطيع أن ينوِّع الوزن ؛ فقد كان من الواجب أن تسير المنظومة كلها على وزن واحد، ولذلك لم يستطع الشاعر أن يمنح عمله التناسق اللازم بما يتلاءم مع حالاته النفسية وإحساساته المختلفة أو حتى مع تنوع الموضوع مابين قصة عشق أو معانٍ حماسية أو عرفان وحكمة وغير ذلك ».

والثانية كانت مقدمة لمنظومته (افسانه) أو (الأسطورة) كتبها حين نُشرت فى صحيفة (قرن بيستم)، ويتحدث فيها عن شكل الشعر . يقول فيها عن منظومته :

« يصلح هذا الشعر التمثيلى للتعبير عن كل الموضوعات : الوصف ، والقص ، والتعزية ، والكوميديا، وكل ماتشاء. والأشخاص هم من يتحدثون فيها بما يريدون فى مصراع أو عدة مصاريع ، فى كلمة أو اثنتين ، وذلك بشكل طبيعى، وينهون حوارهم أينما أرادوا دون تكلف . ومايجعلنى أشعر بجدة هذا النسق هو مراعاة المعنى والطبيعة، وليس هناك ماهو أجمل للشعر والشاعر من أن يقدم الطبيعة والمعنى بشكل بسيط محبب ».

والثالثة كانت مقدمة لمجموعته الشعرية (فريادها) أى (الصرخات) ، ويذكر فيها أن البعض يرفضون أشعاره فى بداية الأمر، ثم يقول إنه يتوقع النجاح لتياره الجديد؛ لأنه يقوم بما يشعر باحتياج أمته إليه. يقول فيها :

« لقد نسخ الفكر الجديد، وذوق القرن الحالى أساس الصنعة القديمة، وعلى عكس الماضى سيخرج الصوت من قلب العاشق حيًا وطبيعيًا وصريحًا ، ولن يعزف ذاك العود نغماته القديمة المتنافرة ، ولن يصدح الثعلب بصوت الديك ، ولن تبقى الزهرة حبيسة جو خانق ».

وفى المقالتين الرابعة – وكتبها عام ١٩٤٦م – والخامسة وكتبها عام ١٩٥٣م – يتحدث عن الشعر أيضًا ، فيقول إن النظام فيه ضرورى، وإنه يقصد بالتحرر التحرر من القيود التى لا فائدة منها مع الأخذ بأحسن ما فى القديم ، يقول فى الرابعة منهما :

« هناك من يظنون أن الشعر هو نفسه الإحساس، لكننى أقول: إن الشعر هو فاكهة الحياة ، والشاعر صاحب الحس الشعرى المرهف يعبر أولاً عن ذاته وحياته والناس من حوله ، ثم يتطرق بعد ذلك إلى الموضوعات الاجتماعية والأخلاقية والفلسفية والعلمية ، وإن ظن الناس أن الشعر يجب أن يقدم إجابة لتلك الموضوعات فهذا هو التصنع ».

ويقول فى الخامسة :

«تراثنا الشعرى ، أنظمته ، ما فيه من دقة ، أنواعه ، تجارب آبائنا ، كل هذا التراث الهائل الموجود ، كيف يمكننا أن نفيد منه ؟ الحياة فى الدنيا لم تنته، ولم يكتمل الشعر أيضًا ، والبعض يرون أننا يجب ألا نقرب تلك التحصينات المحكمة؛ لأننا لا نستطيع ذلك ، وأنا أقول لهم إن لم تستطيعوا ذلك بأيديكم فماذا عن عيونكم ؟ ولماذا تحقرون من شأن من ينشد قطعة بمذاق عصرنا ؟ ».

أما السادسة والأخيرة فيضمنها رأيه فى المسرح الإيرانى من خلال مسرحية كوميدية كانت تعرض فى (طهران) حينئذ باسم (جعفر خان از فرنگ آمده)، وكتبها عام ١٩٥٥م فى شكل رسالة لصديقه " جنتى عطائى " .

وهذه الموضوعات تشكل قسمًا مهمًا من الفكر والنقد الفنى آنذاك . وقد نشر الكتاب ثلاث مرات .

– (ياد داشتها) أو (المذكرات) : وهو عبارة عن مجموعة من المقالات والرسائل والمقدمات لمجموعات شعرية لشعراء آخرين ، ويتضمن العديد من القضايا النقدية والتحليلات للأشعار الجديدة .

– القصص :

له قصة واحدة هى : (مرقد آقا) أى (مقام السيد) عالج فيها قضية تقديس العوام لأى شىء دون وعى واستغلال من يدعون التدين للبسطاء ، ونشرت مرتين .

أما (كندوهاى شكسته) أى (الخلايا المحطمة) فهى مجموعة قصصية تضم خمس قصص قصيرة هى : (يك نامه) أو (رسالة) ، (ديدار) أى (لقاء) ، (درطول راه) بمعنى (على طول الطريق) ، (بد نعل) أى (سيىء النعل) و (غول وارابه وزنش) أى (الغول وزوجته والعربة) . وفى هذه الأقصوصات كان يحرص على وصف منازل القرويين وأساليب حياتهم، ويحلل أسباب اتصافهم بأخلاق معينة ، ويصف عاداتهم وتقاليدهم، ويحرص على إيراد التحليل النفسى أثناء عرض الأحداث ، كما وظف عناصر الموروث الشعبى فى البيئة الريفية مثل الغول الذى ينسب الناس إليه خوارق الأمور .

وله أيضًا (توكايى در قفص) أى (عصفور فى القفص) و(آهو وپرنده ها) أو (الغزال والطيور) وهما قصتان للأطفال نشرت الأولى مرة واحدة والثانية مرتين .

كما ذكرالشاعر أنه ألف مسرحيتين هما (حاكم كاله) و (خواهش ميكنم) بالإضافة إلى مسرحية كوميدية بعنوان (كفش حضرت سليمان) أى (حذاء السيد سليمان) لكنها لم تنشر.

الإبداعات الشعرية :

نظم " نيما " أول أعماله الشعرية (قصه اى رنگ پريده) أى (قصة الشاحب) عام ١٩٢١م، ونشرت بعد ذلك بعام، ثم نشرت ثانية ضمن كتاب (نيما يوشيج ، زندگانى وآثار او) الذى قام " ابو القاسم جنتى عطائى " بجمع مادته وكتابة مقدمة له ونشره ، وهى مثنوية حزينة يوجهها الشاعر إلى (القلوب الدامية)، ويعبر فيها عن سوء طالعه فى العشق، وكيف أسلمه حزنه إلى شحوب اللون والشرود حتى اتهمه الناس بالجنون . وواضح أنها حديث عن النفس والتجارب الذاتية لشاب فى الخامسة والعشرين من عمره لا يزال متأرجحًا بين تشبع وجدانه بأسلوب النظم التقليدى وبين رغبته الشديدة فى التجديد . يقول فيها :

- حين شبت حرارة العشق فى قلبى ، تبدل العالم أمامى .
- والعشق جميل الصورة فى البداية ، بدت مصاعبه بعد ذلك .
- وحل زمن الألم والفشل ، وجعلنى العشق الجميل أسير الأحزان .
- لقد شحب لونى ألمًا ، وها أنا شاحب اللون خافت الأنفاس .

وينتقد المجتمع والأخلاق السيئة بشكل غير مباشر؛ فيقول :

- نور الحق واضح لكن الناس يعمون عنه ، وماذا يفيد الأعمى من النور ؟
- الناس أعداء للحق وأنا نصيره ، وكم أنفر من أعداء الحق !
- فابتعدت عن هؤلاء الحاسدين ، وأية حيلة لعاشق الحق غير هذا ؟

- ماأكثر الشر في البشر ، والعاقل من يهرب من الشر .

- حق ما يقولون : إنني مجنون أتبع الخرافات .

- لأنني أتحدث بما يخالف الدنيا ، فإما أن تكون الدنيا مجنونة أو أنا .

- بل إنني أسوأ من المجانين ، لأن الناس شيء وأنا شيء آخر .

وفيها يتحسر على طفولته ، ثم يخلص إلى أن كل حلو ومر يزول ، ويطلب من الناس ألا يسيروا على درب العشق. يقول :

- واأسفا على عهد الطفولة ، فلم أكن أشعر بالأحزان .

- ما أسعد تلك الأيام ، وما أحلى ذكراها !

- فقدت تلك الأيام ومر ذلك الزمان ، ولكن ماذا يبقى من الدنيا ؟

- يمضي ماء الغدير ، وتنقضي طلعة الربيع .

- وبكاء المسكين الشريد ، وبسمة الأحبة وعهد الوصال .

- وهكذا يمر كل سرور وألم ، ويمضي كل شيء .

وقد قال عنها الشاعر إنها من آثار الصبا ، وهي من حيث الشكل والقالب والمضمون وأسلوب البيان لا تختلف كثيراً عن أشعار القدماء ، إلا أن بها شيئًا من الرؤية الجديدة للأشياء والطبيعة، التي قد تختلف بعض الشيء عن رؤية القدماء لها كما يبدو من تآلفه النفسي مع الكون في قوله :

- كلما نظرت إلى الدنيا ، أُوقع نفسي في الشرور والفتن .

- فمع البحر وخرير المياه ، وضوء القمر و طلعة نوره ،

- وسقوط الأمطار وسكون الوديان ، وطيران طيور الليل وحيرتها ،

- وأنين البوم، وظلمة الجبال ، وتدفق الشلال العظيم

– وأصوات الطيور ورفرفة أجنحتها ، حين أفكر فى أحوالها

– أجدها جميعًا تحدثنى ، وتفضى إلىَّ بأسرار الألم والمحن

– وكأن كلاً منها يدمينى ، وكأن كلاً منها يفتننى .

– أما ما اقترن اسمه بها فهى منظومة (افسانه) أى (الأسطورة)؛ لأنها كانت أول نموذج لمحاولات التجديد، وأثارت جدلاً واسعًا فى المجال الأدبى ، وقد نظمها " نيما " عام ١٩٢٣م، ونشرت عدة مرات أولها فى صحيفة (قرن بيستم) أو (القرن العشرين) وهى فى ثلاثمائة بيت عبارة عن حوار طويل بين (العاشق) أو الشاعر نفسه و (الأسطورة)، فيسألها عن كنهها، ويخبرها كيف كان يشعر بها منذ كانت أمه تقص عليه القصص فى طفولته وكيف شاركته حياته كلها بعد ذلك ، وهو يرى كل ماحوله بوصفه خرافة ، ويقدمها للقارئ فى ثياب كل الأشياء . وهو لا يتناول العشق بالأسلوب التقليدى، فلا يصف معشوقًا وصفًا ماديًا كما كان القدماء يفعلون غالبًا ، ولكنه يدفع القارئ إلى التفكير فى كُنه العشق وأسرار الحياة والطبيعة الإنسانية، وأثر العشق فى نفس الإنسان، وكيف يرى العاشق الكون . وكانت هذه المنظومة نقطة التحول فى إبداعه الشعرى؛ لأنه أحس بوجدانه يموج بالأحاسيس والانفعالات التى يريد أن يعبر عنها فى صور جديدة لا يُمكنه الأسلوب التقليدى من إخراجها كما يريد . يقول " نيما " عنها:

« كان الوقت قد حان ليُعزف لحن جديد غير معروف على هذا العود ، وقد حدث ، لكن الأذهان كانت قد اعتادت على الموسيقى الشرقية الرتيبة؛ فلم تحفل بالنغمات الجديدة فعابوها ، ولم يؤثر ذلك قط فى ناظمها؛ لأنه يعلم أن فترة الاضطراب ستمر، وأن تحت السحاب الأسود نجم يومض دائمًا ».

وقال عنها " جلال آل أحمد " :

« هذه المنظومة هى التى جعلت الشاعر يكتشف كُنه نفسه ، وهى نقطة تحوله من نظم الشعر التقليدى إلى محاولات التجديد التالية لها ، وذلك حين شعر أنه يريد

التعبير عن صور وأفكار جديدة، وأن الأسلوب التقليدى لن يمكنه من إخراجها فى الصورة التى يريدها ».

ويقول عنها الشاعر " أحمد شاملو " :

« لقد أثرت هذه المنظومة فى أعمال كثير من الشعراء المعاصرين لنيما فنظم بعضهم على نسقها بعض أشعاره مثلما فعل عشقى فى " سه تابلوى مريم " و" آيده آل " وكفن سياه " ، ومثلما فعل شهريار فى " هذيان دل " و " دو مرغ بهشتى " ».

– أما (خانواده اى سرباز) بمعنى (أسرة الجندى) فقد نظمها عام ١٩٢٦م، ونشرت بعد ذلك بعام ، وتدور حول أسرة أحد الجنود الذين أُرسلوا إلى حروب دارت بين الروس وإيران خلال العصر القاجارى ، فيترك الجندى أسرته المكونة من زوجته وطفليه دون عائل لتقاسى أشد الآلام ، ويقارن بين حال أطفال الجندى الغائب وأطفال الإقطاعيين ، وتستمر المنظومة حتى تموت الطفلة ولا خبر عن الأب ويتساءل الشاعر : لم كل هذه الحروب ؟ ولمصلحة من؟ وماذا يصيب البسطاء من ويلات ؟ وتنتهى المنظومة بموت الأم ورضيعها فى حجرها وهو ينتظر لبنها ، ويقول الشاعر : فماذا سيفعل الرضيع ؟

– وتأتى المجموعات الشعرية ، وحفلت أولاها بأربعمائة وعشرين رباعية، وهى بعنوان (آب در خوابگاه مورچگان) أى (الماء فى مرقد النميلات)، وقال إنه كان ينظمها لسنوات عديدة ليعبر بها عن حاله فى الحياة، وامتد نظمه لها حتى عام ١٩٥٨م، وهى تذكرنا بأسلوب نظم الرباعيات المنسوبة إلى " الخيام " ، وقد اتخذ عنوان هذه المجموعة من إحدى الرباعيات الموجودة بها ، التى يقول فيها :

أثرت بشعرى أناساً ،

وجعلت الأمور تختلط عليهم .

ثم انزويت أرقبهم ،

بعد أن صببت الماء في مرقد النميلات .

وكان يقصد بذلك ما سعى إلى إحداثه من تجديد فى الشعر أثار الكثير من الجدل حوله .

– وضمت مجموعته الشعرية (مانلى ، وخانه اى سريويلى) أو (مانلى ، وبيت سريفيلى) منظومتين طويلتين، نظم أولاهما عام ١٩٤٦م، أما الثانية فكان قد نظمها عام ١٩٤١م .

وتدور منظومة (مانلى) حول قصة صياد بسيط مع عروس البحر ، فيجرى بينهما حوار طويل حول قيمة العمل البسيط ومعنى السعادة والجمال، وتحاول إقناعه بالنزول معها إلى أعماق البحر فيرفض، لكنه حين يعود إلى الشاطئ يرى كل ما على الأرض وكأنه جزء من البحر فيعود إليها . والقصة قديمة معروفة فى تراث الشعوب، لكنه يقدم معالجة جديدة لها يدلف بها إلى حياة البسطاء بتفصيلاتها ، يقول فى مقدمتها إنه أول من كتب بهذه الطريقة بالفارسية، وإن الحكم على ما كتب ليس له، وإنما للآخرين .

أما المنظومة الثانية فى المجموعة (بيت سريفيلى) فتدور حول الشاعر " سريفيلى " الذى يعيش مع زوجته وكلبه فى سعادة حتى يدق الشيطان بابه ذات ليلة عاصفة يطلب المأوى، وتجرى بينهما حوارات طويلة يدخل بعدها ويفترش شعره وأظافره التى تتحول بعد رحيله إلى حيات وزواحف تملأ القرية، وتبدأ حرب بينه وبين الشيطان . والشاعر يصور هنا عنصرى الخير والشر القائمين فى الحياة الإنسانية وفى النفس البشرية على السواء ، والصراع القائم بينهما دائم مادامت الحياة .

– ثم تأتى المجموعة الشعرية (قلم انداز) أى (نقش القلم)، التى نظم أشعارها مابين عامى ١٩١٧م و ١٩٥٠م بشكل متفرق.

- وله أيضًا مجموعة (ماخ اولا) التى سميت باسم أول قطعة فيها، وهذا اسم نهر يجرى فى (يوش) موطن الشاعر ، وهو أيضًا اسم ممر قالوا قديمًا إن من يبقى فيه وحيداً ليلا يُجن ، وقد نظم أشعارها بين عامى ١٩٤٨م و١٩٥٧م .

- أما مجموعة (شعر من) أو (شعرى) فقد نظمها بين عامى ١٩٣٩م و١٩٤٣م، ونشرت أربع مرات .

- ومن مجموعاته الشعرية أيضًا (فريادهاى ديگر وعنكبوت رنگ) بمعنى (الصرخات الأخرى ولون العنكبوت) و نشرت مرتين.

- أما مجموعة (ناقوس) أو (الناقوس) فقد طبعت ثلاث مرات، وتضم هذه المجموعة واحدة من أشهر أشعاره، وهى التى تحمل المجموعة اسمها ، ويصور فيها كيف ينبه الناقوس الناس بدقاته التى تعنى كل دقة منها - فى بداية كل مقطع - معنى مختلفًا .

وآخر مجموعاته هى (شهر شب وشهر صبح)، وتعنى (مدينة الليل ومدينة الصباح)، ونشرت ثلاث مرات .

- وكتب الشاعر أيضًا أشعاراً كثيرة بلهجة أهل (مازندران) جمعت باسم (روجا) .

وقد تم نشر مقتطفات من أشعاره بعنوان (نمونه هاى از شعر نيما) أى (نماذج من شعر نيما) ثلاث مرات ، وكذلك تضمن كتاب (نيما يوشيج ، زندگانى وآثار او) أى (نيما يوشيج ، حياته وإبداعاته) عدداً كبيراً من أشعاره، وطبع مرتين .

وأخيراً نشرت أعماله الشعرية كاملة فى مجلد يزيد على سبعمائة صفحة من القطع الكبير صدرت منه أربع طبعات بعنوان (مجموعه اى كامل اشعار نيما يوشيج فارسى وطبرى) أى (المجموعة الكاملة لأشعار نيما يوشيج الفارسية والطبرية).

وقام بجمعها ومراجعتها صديقه الشاعر والناشر " سيروس طاهباز " الذى كان شديد الاهتمام بنشر كل أعمال " نيما " الشعرية والنثرية .

وفاته :

لم يكن " نيما" معتاداً على الذهاب إلى قريته (يوش) فى الشتاء بعكس ماكان يفعل فى صيف كل عام ، إلا أنه قبل وفاته بأيام صمم على الذهاب إلى هناك؛ فعادوا به محمولاً بعد أن أصيب بالتهاب رئوى ، وبعد إحدى عشرة ليلة من المرض توفى " نيما" فى اليوم السادس عشر من دى ماه عام ١٣٣٨ ش أى فى السادس من يناير عام ١٩٥٩م .

الدعوة إلى التجديد فى الشعر الفارسى الحديث

ولأن التطور والتجديد هما سنة الحياة ، فقد حاول الشعراء فى العصر الحديث أن يجددوا فى مسيرة الشعر الفارسى بعد تواصلهم مع الغرب وتأثرهم بالآداب الغربية وتغير الحياة الفكرية والثقافية فى المجتمع الإيرانى ، كذلك نفر الشعراء من النماذج التى تحاكى روائع الشعر القديم ولا تصل إلى مستواها فتبدو مسخًا. وأراد شعراء العصر الحديث أن تكون لهم شخصياتهم الخاصة، وأن يعبروا عن مستحدثات عصرهم بأساليبهم هم لا بأساليب القدماء، فثار شباب الشعراء على هالة التقديس التى يفرضها النقاد على الأدب القديم كأنه كمال لا غاية بعده ، بل عدوا ذلك نوعًا من الجمود .

يقول " نيما " فى (حرفهاى همسايه) أو (أحاديث الجار) :

« يجب ألا يخشى الشاعر المعاصر شيئًا، وأن يكون جريئًا مستقلاً غير مقيد؛ فالزمان الحاضر حى يحادثه ، ويجب عليه أن يكتب ليفى بحاجات أمته الحالية ، ولو عاد القدماء شيئًا منه فى نهاية هذه المختارات لنرى كيف كان شعراً عاديًا تتضاءل قيمته الفنية كثيراً إذا ما قورن بأشعاره الجديدة ، ولعل الفائدة الوحيدة التى عادت على الشاعر من نظمه لهذه الأشعار أنها أرشدته إلى طريق التجديد وأقنعته بضرورة الإقدام عليه؛ لأنه أدرك أنه لو قنع بالأسلوب التقليدى لذُكر كشاعر عادى مثل كثيرين من غير المبتكرين ، بل ربما انصرف عن الشعر تماماً» ، كما يقول :

« لو لم أمتلك الجرأة الناشئة عن إدراكى لقيمة أفكارى لكنت قد يئست من تجربتى، وربما كنت قد تركت العمل الأدبى تماماً وبحثت لنفسى عن عمل غيره ».

بدأ دعاة التجديد بسلوك طرق عديدة ، منها محاولة التجديد فى الموضوعات - كوصف مستحدثات العصر - ولكن بالأساليب القديمة نفسها، وحاول بعضهم الإكثار من استخدام المفردات الأجنبية فى أشعارهم ، وحاول آخرون استخدام القوالب والأوزان غير الشائعة ، لكن كل تلك المحاولات كانت تقترب من التجديد دون الولوج إلى جوهره حتى ظهر " نيما " ، فكان أول من ضمن شعره الإدراك الجديد، ومزج بين الرؤية الخاصة والنسيج الجديد فى شعره ، وذلك بعد أن هاله شيوع التقليد العقيم لنماذج القدماء، فخلت ساحة الشعر من المجيدين إلا النادر مثل " محمد تقى بهار " و " پروين اعتصامى " ، فحاول " نيما " أن يفيد من محاولات التجديد التى سبقته فيتجنب الأخطاء التى وقعوا فيها ، ولكنه لم ينبذ إبداعات القدماء، بل حاول أن يصقل موهبته الشعرية بكثرة القراءة والتعمق فى روائعها ليفيد من أفضل ما فيها ، واهتدى إلى أن سبب تفوقهم يرجع إلى نظمهم بأساليب تناسب عصورهم . ولم يكتف بهذا بل اطلع على ترجمات الأشعار الإيرانية قبل الإسلام، والتى لم تكن مرتبطة بالنظام التقليدى للوزن والقافية الذى أخذه الإيرانيون عن العرب بعد الإسلام ، كما كان شديد الإعجاب بالأغنيات الفلكلورية المحلية فى أقاليم إيران على تنوعها وهى لا تتبع الأوزان العروضية المعروفة، بل تقترب منها، وتتمتع بسلاسة جعلته يميل بشعره نحو البساطة والشكل الطبيعى للكلام، كذلك اطلع على ترجمات فارسية لبعض الكتب العربية التى تتناول أنواعًا من الشعرالتقليدى، وبخاصة شعر المغرب والأندلس وما فيه من خروج مقبول عن قواعد العروض مثل الموشحات والأزجال .

وقد ساعده إتقانه للغة الفرنسية وقراءته للأعمال المعاصرة للمجددين الفرنسيين أمثال " بودلير " (١٨٢٠م - ١٨٦٧م) و " مالارميه " (١٨٤٢م - ١٨٩٨م) و"رامبو" (١٨٥٤م - ١٨٩١م) على الانطلاق بشعره إلى عالم غامض يموج بالأسرار ، وقد تشابهت ظروف " نيما "فى اعتكافه ممتنعًا عن نشر أشعاره مع " بول فاليرى " الذى سلك السبيل نفسه ، فاعتكف ليجد طريقه الخاص من عام ١٨٩٨م إلى عام ١٩١٧م ، وكان يؤمن بقدرة الكلمة وإيقاعها وما تثيره من تداعيات على إشعار المتلقى بتدفق

إحساس الشاعر، وقد آمنوا جميعًا بوجود وحدة عميقة بين جواهر الموجودات على اختلافها، وأن مدركًا واحداً لإحدى الحواس يمكن أن يثير في الخيال شتيتًا من مدركات الحواس الأخرى فيما يسمى بتراسل الحواس .

على الرغم من أن "نيما " لم يصل في أشعاره إلى ما وصلوا إليه من مبالغات وغموض وتعقيد، فإنه تأثر بهم حتماً .

وكان لنشأة الشاعر في بيئة قروية بين الأشجار والأنهار والحقول والجبال والوديان والمراعى الخضراء والغابات الكثيفة والبحار ، أثر على شخصيته التى انطلقت للتحرر من القيود، ومنها قيود الشعر من قوالب جاهزة وقوافٍ موحدة وكلمات شعرية محددة.

وقد أفادته أيضًا عزلته لسنوات طويلة؛ حيث استغرق في القراءة، وعكف على نظم أشعار بأسلوب جديد، ولم ينشرها بل أعاد النظر في أسلوب التجديد مرات ومرات حتى خرج منها بما يريده للشعر .

وإذا أضفنا إلى كل ذلك تميز " نيما " بشخصية متمردة على كل شيء : بداية من أسلوب تعليم الأطفال في قريته حين تمرد عليه طفلاً ، وفراره من أقرانه الأطفال؛ فكان يشرد ليلعب وحيداً بعيداً عن ألعابهم التقليدية ، مروراً بتمرده على ما كان يتلقاه في المدرسة من تعليم تقليدى، فكان يحصل على درجات الرسم فقط، والذى كان يعنى له الإبداع دون فرض قيود، ثم تمرده بعد ذلك على الوظيفة الإدارية وقيودها المعروفة وانتهاء إلى رفضه لقيود الشعر من بديع متعمد وقيود أخرى ، وإلى نفوره من حياة المدينة الرتيبة وهروبه إلى بساطة الحياة في القرية وهدوئها .

كل هذه العوامل مجتمعة دفعت "نيما " إلى أولى محاولاته التجديدية وهى منظومة (افسانه) أو (الأسطورة)، فاستخدم لنظمها بحراً غير شائع، وخرج عن القوالب التقليدية خروجًا بسيطًا ، ورغم الهجوم الذى شنه حماة الشعر التقليدى عليه، فإنه واصل محاولاته لتجديد الشعر بكل عناصره؛ ففيما يتعلق بالوزن كان يرى أن

التشكيل الموسيقى للشعر يجب أن يخضع مباشرة للحالة الشعورية للشاعر، وأن يكون عاملاً مساعداً على التنسيق بين المشاعر والأحاسيس التى تصب فى كلمات الشعر، وأن يكون ذلك سبيلاً للخروج من رتابة الأوزان التقليدية التى تخاطب أذن المتلقى دون وجدانه ، لكنه لم ينكر الأساس العروضى للوزن وهو التفعيلة وليس البحر المكون من عدد محدد من التفعيلات الذى وجده قيداً لاداعى له؛ فلم يلتزم - فى تجديده - بعدد التفعيلات المحددة لكل بحر، وإنما أخذ منها على قدر ما يحتاجه ، فتحول البيت الشعرى إلى سطر شعرى يضم أى عدد مناسب من التفعيلات قد يطول أو يقصر تبعًا للضرورة الفنية لدى الشاعر ، وبهذا قضى " نيما " على مبدأ التساوى بين المصاريع الشعرية.

والشعر بهذا الشكل موزون، ولكن على أساس من التفعيلة الواحدة لبحر واحد . وقد تطول سطور الشعر حين تعلو انفعالات الشاعر وهو يشكو ألمه مثلاً ، ثم تهدأ حين يشعر أنه لا جدوى من الصراخ فتقصر سطوره الشعرية ليشعر المتلقى بانقطاع أنفاسه . وهكذا لا تنحصر موسيقى الشعر فى بحوره المحددة، بل تتسع اتساعًا لا حدود له على الرغم مما فى ذلك من صعوبة تتمثل فى لامحدودية التفعيلات وعدم وجود وقفات موسيقية وخطورة الوقوع فى أى خطأ عروضى يحوِّل الشعر إلى كلام غير موزون .

يقول " نيما " :

« الوزن هو الذى يكمل الشعر ، وفى رأيى أن الشعر بغير الوزن يشبه إنسانًا عاريًا ، ونحن نعرف أن الملابس والزينة تزيد من جمال الإنسان ، ولهذا فإننى أعتبر الوزن شيئًا ضروريًا حتميًا سواء أكان مطابقًا للقواعد القديمة أم للأسس التى أوجدها الشعر الحر ».

كما يقول :

« أريد ألا تتحكم فينا البحور العروضية، بل نمتلكها نحن، ونجعلها تتبع حالاتنا وعواطفنا المختلفة ».

ولم تكن الحرية فى استخدام أى عدد من التفعيلات حرية مطلقة بلا حدود . يقول " نيما " :

« حتى عدم الانتظام هذا لابد أن يكون له نظام؛ فالتحرر فى الشعر تحرر من القيود القديمة التى لا جدوى منها، ولكنها توجد بين قيود أخرى ذات فوائد كثيرة . والتحرر بهذا المعنى نوع من نقد الشعر واقتباس من إنتاج غزير من أجل إنتاج أكثر فائدة ».

أما القافية فلم تكن هى النهاية الموسيقية المفترضة للبيت الشعرى بل تفنن الشعراء فى توحيد حرف الروى بين أبيات القصيدة كلها حتى كان بعضهم يُلزم نفسه بما لا يلزم بينما كان البعض يهرب إلى النظم فى قالب المثنوى الذى تتحد فيه قافيتا الشطرين دون السابق ولا اللاحق . وقد رأى " نيما " أن هذا الجمال فيه سذاجة وسطحية، وربما ناسب القدماء ، ولكن ما يناسب المعاصرين أن تكون الكلمة الأخيرة فى نهاية الجملة الشعرية هى الكلمة المناسبة للمعنى، ويمكن الوقوف عندها، وتؤكد موسيقى الكلام الطبيعى حين تطول جمل المتكلم أو تقصر، ويتوقف بما يتناسب مع معنى كلامه . والقافية بهذا أمر شديد الدقة يتطلب ذوقًا مرهفًا لاحروفًا موحدة ، ذلك أن الشاعر إن لم يحدد نهايات لجمله الشعرية ترتاح النفس للوقوف عندها، فإن شعره يتحول إلى مجرد سطور متتابعة لايعرف القارئ أين يقف منها ليلتقط أنفاسه، ثم يواصل القراءة فى تسلسل ترتاح إليه نفسه . وقد تكون هذه الوقفات عند انتهاء جملة شعرية استغرقت وزنها فلا يقبل الذوق أن يأتى شىء آخر بعدها ، أو عند وجود وقفة طبيعية تشبه الوقفة فى الكلام العادى، أو بعد ذكر مبتدأ فتلزم وقفة قصيرة قبل الاتيان بالخبر ، أو التوقف بعد كلمة أو عبارة معينة يريد الشاعر أن يجذب إليها انتباه القارئ أكثر من غيرها ، أو حين يستطرد الشاعر فى موضوعه بهدوء فتقصر الجمل بوقفات ، أو عند وجود صفة أو توضيح لمبتدأ أو لعبارة ذكرت فى السطر السابق ، أو جملة اعتراضية أو عطف . وقد يستخدم الشاعر القافية التقليدية الموحدة ولكن بنظام مختلف ، فتأتى طبيعية لأنها الكلمة المناسبة للمعنى ، وقد تكون متقاطعة

أى موحدة بين السطور : الأول والثالث والخامس ... وهكذا ، أو متقاطعة ومتعانقة معًا ، إلى غير ذلك من أساليب الاستخدام الحديث للقوافى التى جعلتها تنطلق إلى آفاق واسعة تتبع المعنى بدلاً من انحباسها فى تكرار ممل قد يخرجها عن تناسب المعانى .

والشاعر فى كل هذا لا يتبع قواعد مسبقة لتنظيم شعره، بل إن الدفقة الشعورية بما لها من أبعاد نفسية هى التى تحدد شكل الوسائل الفنية . ومع هذا تظل الأوزان والقوافى مجرد وسائل، لكنها ليست جوهر الشعر .

يقول " نيما " :

« الشعر بغير قافية إنسان بغير عظام ، والقافية التى أقفى بها الشعر تختلف تماما عما يفعله القدماء وما أسهله ، وهى بالغة الصعوبة وتتطلب ذوقًا عاليًا؛ فالقافية تتبع الموضوع، وتوجد حيثما انتهى ولا داعى لأن تتفق فى حرف الروى ، بل تتم جمل الموضوع ».

ويقول أيضًا :

« كانت القافية عند القدماء تتبع التناغم الموسيقى، وهى عبارة عن تساوى الضرب ، أما فى رأيى فإنها جمال يزين الموضوع، ويضع الموسيقى الطبيعية للكلام ، وهى مقيدة بجملتها، وحين يتغير الموضوع وتأتى جملة أخرى، فإن القافية نفسها لا تتناسب معها ».

ويقول ناصحًا أحد الشعراء :

« سوف تدرك بعد عمل متواصل أين ينتظر القارئ منك وجود القافية ، وكل من عرف هذه المواضع عرف القافية ».

أما شكل الشعر أو قالبه عند " نيما " ، فهو الصورة التى تصل فيها أفكار الشاعر إلى قارئه ، ويرى أن موضوع الشعر هو ما يحدد شكله ؛ فقد يبدأ الشاعر

قطعته الشعرية من نهايتها ثم يعود إلى البداية؛ لأنه يريد تجميع المشاعر المتفرقة فى نفسه أولاً ثم يعود إلى جزئياتها ، وربما يكرر مقطعًا أو سطراً معينًا فى بداية أو نهاية كل مقطع ليربط بين أجزاء القطعة الشعرية – التى يمكن أن تكون طويلة – برباط نفسى، وكأن المقاطع مجموعة من الحلقات المترابطة . وقد لا يكون هناك تكرار، بل تحريك لشعور القارئ ثم تركه ينطلق فى اتجاه شعورى يختاره هو . وفى كل الأحوال لا يريد " نيما " للشاعر أن يتبع قواعد ثابتة تحدد شكل القطعة الشعرية ، ولكن موضوع الشعر ودرجة فورة شعور الشاعر وثورة أحاسيسه هى ما يحدد : شكل الشعر ، أطوال المقاطع ، عدد السطور ، عدد المقاطع ، اختلاف أطوال المقاطع أو اتحادها ، تكرار سطر شعرى فى بدايات المقاطع أو نهاياتها ، تكرار مقطع واحد فى بدايات القطع أو نهاياتها ... إلى غير ذلك من مظاهر الاختلاف بين عمل فنى وآخر . والمهم أننا لا نستطيع أن نحذف شيئًا من القطعة أو نضيف إليها أو نغير مواقع السطور والكلمات وإلا تحطم الإطار العام الذى يحيط بالصورة كما أراد الشاعر أن يرسمها . وبهذا يحدد الشاعر بحرية إطاراً يتحرك فى نطاقه ، وحريته بذلك ليست مطلقة، بل هى أكثر صعوبة من الأطر التقليدية المجردة، ولكنها ألزم وأكثر فائدة للشعر من قيوده القديمة . والصعوبة هنا تكمن فى الالتزام بالمواقف الشعورية المتكاملة بحيث تدور فى فلك واحد، وتصنع فى النهاية دائرة متصلة الأطراف لا يشذ منها شىء، ولا يشطح الشاعر بعيداً فيشتت ذهن القارئ.

كما أن صدق التعبير عن المواقف الشعورية المختلفة شرط أساسى هنا، وهذا ما قصده " نيما" بقوله إن التعبير والشكل يتبعان الشعور وليس العكس .

يقول " نيما " فى (دونامه) أو (الرسالتان) :

« الشعر ليس بوزن ولا قافية وإنما هما مجرد أدوات للشاعر ».

ويقول فى موضع آخر :

« الفن فى الشعر هو أن يكون جميلاً يغزو القلوب، ويصور الحياة الواقعية، ويفى بحاجات الناس ، ولا يهم فى أى وزن نُظم ، ولا لماذا تطول مصاريعه أو تقصر، وما إذا كان ذا قافية أم لا ، ومن يلتفت عن جوهر الشعر إلى وسائله هذه فقط فإنه يضيع عمره وعمله بلا طائل ».

أما عن المضمون فكانت الأشعار التقليدية تدور حول موضوعات بعينها ، وحتى حين تحوَّل الشعراء إلى الموضوعات الاجتماعية أو الوطنية مثلاً ظلت مضامينها تقليدية ؛ مما أبعدها عن طابع الشعر . وقد تنبه " نيما " لهذا فأخذ يتحدث فى شعره عن أحوال الإيرانيين وما يعانون من مشاق وعن الهوة الواسعة بين الأغنياء والفقراء وعن القهر والظلم والسجن والتعذيب ، لكنه كان يقدم هذه المضامين بأسلوب يغاير الأسلوب التقريرى المباشر - الذى يتحلى بالتشبيه والاستعارة والكناية فى أحسن حالاته - فكان ينتقى مثلاً الحالات الفردية التى تُعد نموذجًا صارخًا للظلم فى المجتمع فيغوص فى أعماقها مستخرجًا أسرارها الخفية عارضًا لها فى أساليب فنية مؤثرة كحديثه عن حارس مزارع الأرز ليلاً الذى يبقى ساهراً طوال الليل تاركًا طفليه وحيدين حتى يموتا بينما يستمتع آخر بنتاج عمله ، أو يتناول حال المرأة التى أُجبر زوجها على الذهاب بعيداً للعمل، وبقيت وحيدة غارقة فى بؤسها وأحزانها ، أو تلك التى ذهبوا بزوجها إلى حرب لا ناقة له فيها ولا جمل حتى ماتت هى من شدة المعاناة بينما طفلها فى حجرها يصرخ طالبًا لبنها . وهناك الطائر كسير الجناح ، ومن يخاف حتى من ظله ، ومزرعته التى أجدبت زروعها وجفت أمطارها ، والليل الأسود الكهل الذى تتساقط أسنانه ، وبيته الملبد بالغيوم ، والقرية الخربة والمدينة الصامتة ، وليالى الشتاء الباردة ، وقومه الغارقون فى الموت ، والرقباء الذين يصورهم فى شكل البومة العجوز القابعة تترصد الناس فى كل حركة وسكون، بينما جناحها غارق فى القطران ، أو فى شكل آكلى الجيف .

لكنه أبداً لا يفقد الأمل فى غد تشرق فيه شمس الحرية فيتخلص قومه من الظلم والقهر، ولذلك لا يكف عن ندائهم ليفيقوا من غفلتهم، فيصور نفسه فى صورة إنسان

يغرق ويطلب العون من الجالسين على الشاطئ يشاهدون ، أو الناقوس الذى لا تكف دقاته عن تنبيه الغافلين، أو القافلة التى تحمل البشرى لأهل مدينة المنكوبين ، أو طائر التصديق الذى يؤمِّن على دعوات المقهورين . وهو يعيش من أجل هؤلاء والتفكير الدائم فيهم يسلبه النوم ، بل يدق زجاج نافذته ويصحبه فى كل ما يراه: الديك الذى يؤذن مبشراً بصبح جديد والموجة التى تعلو فتزيح موجة الظلم ، والصبح الذى يشرق بضياء يمحو ليل الظلم ، والطائر الذى ينشد مبشراً بالخلاص ، والأمطار التى تزيل دخان القهر ، وحتى الضفدع الذى ينقنق مبشراً بهطول أمطار الخير .

يقول " نيما " :

« الشعر مرتبط بالحياة والمجتمع ، والشعر المعاصر يجب أن يفى باحتياجاتنا، ويجب أن يحدد الشاعر لمن يكتب، هل يكتب لنفسه أم للآخرين ، وصاحب الإحساس الصادق هو من يهتم بالحياة من حوله ».

ويقول أيضاً :

« الفن هو الحياة بحلوها ومرها ، هو ما يروى عطش الناس فى صور ملونة ناعمة ، وهو ما يتحدث عن حياة الناس الواقعية ويفى بحاجاتهم ».

وحين يتناول الشاعر الموضوعات الإنسانية التى تصلح لكل زمان ومكان لا يعبر عنها بشكل تقليدى ، بل باللغة الشعرية الصافية نفسها التى تحمل القارئ ليحلق مع الشاعر فى آفاق خيال لامتناهية حتى حين يصف شيئاً عادياً مثل النهر أو الطائر أو بقايا موقد مكسور أو صوت عود أو حباب الماء أو الليل والنهار ..

وقد ثار الشاعر على ما كان يطلق عليه المعجم الشعرى أى ألفاظ اللغة التى لا يمكن الخروج عنها فى الشعر ، وأراد للشعر لغة نابضة بروح العصر شعرية فى الوقت نفسه، وأتى بألفاظ شعره من واقع حياته، فكان يستخدم أسماء الحيوانات والطيور والأسماك والنباتات والأشجار والجبال والأنهار والأدوات المستخدمة فى الحياة اليومية للناس ، يستخدم كلاً فى موضعه المناسب دون تكلف ، كما دعا

الشعراء إلى اقتباس الكلمات من اللهجة العامية بعد إعادة صياغتها بأسلوب راق إذا كان الشاعر يوجه شعره إلى البسطاء ، وأوصاهم كذلك بالحصول على الألفاظ الملائمة من روائع الشعر القديم ، كما ابتكر كثيراً من التعبيرات اللغوية، واستخدمها استخداماً خاصاً به، وحث الشعراء على أن يكون لكل منهم استخداماته الخاصة النابعة من شخصيته وأسلوبه فى نظم الشعر حتى يثرى بذلك عالم الشعر .

ومن أكثر ما يميز أسلوب " نيما " ابتداعه استخدام الأصوات الطبيعية للأشياء والطيور والحيوانات ليعبر بها عن الحالات والحركات الطبيعية لها كما تصدر عنها تماماً ، فهو لا يخبر متلقى شعره أن الطائر ينقر زجاج نافذته بمنقاره فحسب، بل يأخذه مباشرة ليسمع بنفسه تلك النقرات بصوتها الطبيعى مدوناً ، ولا يقرر أن الرياح تصفر، ولكنه ينقل إلينا صوت صفيرها ، وحتى الحشرة الصغيرة التى تصدر صوتاً ضعيفاً ينقله إلينا : (تى تيك تى تيك) ولا يخبرنا أن الديك يؤذن بل يسجل لنا صوته لنسمعه معه ، تماماً كما يسجل صوت دقات الناقوس القوية : (ترن ترن) .

وهكذا يخرج الشاعر عن أطر التعبير التقليدية ويغوص إلى أعماق الأشياء ليعثر على ضالته التى تتيح له تعبيراً غير متوقع يفاجئ به القارئ ويمتعه .

يقول " نيما " :

« حين يستخدم الشاعر لغة العوام يجعل شعره فى درجة دنية ؛ لأنه سيتحدث عن معانٍ من الدرجة نفسها، وهى تصلح حين يكتب للعوام وكلمات الشعر تتغير تبعاً لموضوعه ، ومن الخطأ أن يكتب بالعامية موضوعات جادة للخواص ، والفيصل هو : لمن يكتب الشعر ... فليكتب الشاعر لكل بلغته التى يتحدث بها ».

وإذا كان الخيال هو جوهر الشعر الذى يميزه عن النثر أو الكلام العادى ، فقد نفر " نيما " من عناصر الخيال التقليدية المكررة التى فقدت جمالها من كثرة تكرارها، وبالتالى فقدت تأثيرها على المتلقى ، واتجه إلى تصوير مشاهد شعره؛ لأن الفنون البصرية أكثر تأثيراً من غيرها كما يقول؛ فلم تعد الصورة الشعرية تنزع نزعة حسية

ولا تحشد العناصر الجامدة ، بل أصبحت لوحة مرسومة بالكلمات التى تجمع بين مفردات عينية موجودة فى الواقع والشاعر يجمع بينها مؤلفًا صورة كلية تنسجها مشاعره ، وهذه الصورة تمتص كل عناصر الحياة من حركة ولون وصوت وغير ذلك، ولا تتكرر الصورة بعناصرها نفسها بل إن خيال الشاعر الخصب وصدق شاعريته تجعله يوظف كل ما تقع عليه عيناه فى صورة مختلفة .

يقول أحد النقاد الإيرانيين عن " نيما " :

« لقد امتص روح الزمان والمكان والمجتمع والحيوانات والطيور والنباتات ومظاهر الطبيعة ومن عصارتها أبدع تصويراته فى شعره ».

وهنا نعرف معنى الإدراك الجديد؛ أى كيفية رؤية الشاعر للحياة والكون من حوله، وهذا هو جوهر التجديد عند " نيما "؛ إذ كان أول من تنبه إلى أن الشاعر المعاصر لا يرى الدنيا كما كان يراها القدماء ، ولذلك لن يتناول الأمور فى شعره كما كانوا يفعلون ، بل سيتناولها من منظور جديد، فإن كان إحساس الشاعر وإدراكه نابعا من ذاته هو لا من تأثره بإحساس وإدراك القدماء فهو يمتلك الرؤية الجديدة ، وحتى لو كان يتناول مدركًا أو مرأى معتادًا رآه القدماء وتناولوه فإنه لن يراه من منظورهم نفسه، وبالتالى سيكون تناوله له مختلفًا، ومن ثم ينعكس هذا على استخدامه لأدوات التعبير الشعرى من أوزان وقواف وكلمات وأساليب وعاطفة وخيال .

يقول " نيما " فى رسالة لأحد أصدقائه :

« هل تأتى أشعارنا نتيجة لرؤيتنا وللصلة الحقيقية بيننا وبين العالم الخارجى أم لا ؟ وهل تعبر حقيقة عنا وعن رؤيتنا ؟ لتحاول أن تكتب كما ترى، وأن يكون شعرك معبراً عنك . وحين ترى مثل القدماء فستكتب أشياء غير موجودة، وتتجاهل أشعارك الحياة والطبيعة حولك، وستكتب بأسلوب القدماء وتعبيراتهم ، أما إذا كنت تريد التجديد ففكر بعمق : كيف ترى الأشياء ، وبعد ذلك عبر عن رؤيتك بما تراه مناسبًا

من وسائل ضمنية وفرعية كالشكل والقالب وغير ذلك . ولتعلم أن لكل عمل وسيلة وأسلوب العمل الجديد هذا هو وسيلة الفن إلى التجديد ».

ولأن " نيما " كان متفرداً فى أسلوبه متميزاً عن الشعراء السابقين والمعاصرين له ، فقد شعر البعض أن شعره صعب الفهم مبهماً أحياناً ، ويرجع ذلك أيضاً إلى كثرة استخدامه للرمز الذى دفعته إليه ظروف العصر بما فيها من كبت للحريات وخنق للمشاعر تسبب فى هروب الكثيرين حتى كُتَّاب النثر إلى التعبير الرمزى تجنباً للمتاعب والمخاطر ، ولم يكن هذا هو الدافع الوحيد، بل إنه أراد لشعره تفرداً وتميزاً يمنحه تأثيراً قوياً على القارئ.

واستمد الشاعر رموزه من أشياء كثيرة منها عناصر الطبيعة مثل النهر والبحر والنجم والرياح والجبال ، أو الأماكن ذات المدلول الشعورى الخاص كمزارع الأرز ، وأسماء القرى والمدن والأشجار والنباتات والحيوانات والطيور ذات الدلالة المحددة مثل طائر الققنوس، وهو طائر أسطورى يحترق ليوقظ الناس من غفلتهم ، أو الضفدع الذى شاع فى القرى أن نقيقه بشير لهطول المطر، والثور الذى يرمز به للغضب المحبوس فى صدور الناس ، وصياح الديك رمز بزوغ فجر الحرية .

كما شكلت الألوان عالماً خصباً للدلالات الرمزية فى شعره ، فاستخدم اللون مفرداً أحياناً للإشارة إلى معنى مباشر أو غير مباشر ، فجاء اللون الأسود ليعبر عن معانى الظلم والوحشة والكآبة، بينما يأتى ضوء القمر وإشراق الصباح للدلالة على الأمل والتفاؤل والخلاص من القهر ، كما تزاوجت الألوان فى تعبيره الشعرى فامتزجت ألوان الدخان الأسود المتصاعد إلى السماء – وهو هنا الوطن المحترق بنيران الظلم والفساد – بألوان الغيوم السوداء المثقلة بمياه المطر الذى ينتظره الجميع ، أى بقرب يوم الخلاص والحرية . وكثيراً ما اقترن الأبيض بالأسود فى ثنائية لونية يعبر بها الشاعر عن طبيعة الحياة وكيف يمكن أن ينقلب النقيض إلى نقيضه ، وقد يتحالف اللونان ليؤديا دوراً رمزياً واحداً مثلما يتحالف الليل الأسود مع النهار المشرق لطحن أجساد المقهورين الذين يتجرعون كئوس الظلم ليلاً ونهاراً . وقد يجمع الشاعر

بين حزمة من الألوان ذات الدلالات الرمزية فى صورة شعرية واحدة ، أو يدعمها أحيانًا بعناصر الحياة الأخرى من حركة وضوء وصوت لتكوين صورة ترسمها الكلمات لا يهدف الشاعر منها إلى نقل مشهد جامد كآلة التصوير ولا رسم لوحة تحدد معالمها فرشاة رسام ، بل يهدف لتصوير مشاعره ونقلها إلى المتلقى بأفضل صورة ممكنة .

وقد يكون الشىء الواحد رمزًا لمعان مختلفة فى مواضع مختلفة من أشعاره ؛ فالناى مثلاً يأتى مرة كرمز للحزن والشجن، ويتحول فى موضع آخر من أشعاره إلى رمز يعزف لحن الأمل ويبشر بالحرية .

يقول " نيما " :

« الشعر لا يستخدم اللفظ المعتاد بدلالته المحدودة التى نستخدمه بها فى حياتنا اليومية ، ثم إنه كذلك لا يفسر لنا الأشياء تفسيرًا منطقيًا يقبله العقل ، ولهذا نصف الشاعر بأنه غامض لأننا منطقيون ، أما الشاعر فيدرك الأشياء إدراكًا أبعد مدى مما نصنع ثم لا يجد فى ألفاظ اللغة العادية مايشرح به إدراكه هذا فيخترع، الألفاظ وصور التعبير ، والاختراع خيال، ومنطق الخيال غير منطق الواقع، وعندئذ تصير لكلماته أبعادًا جديدة . والشعر الجديد لا تُفهم ظواهره العميقة سريعًا؛ فكل ماهو عميق يبدو للأنظار العادية مبهمًا معقدًا ، وما يفهمه الجميع سريعًا ليس بفن ، وهناك فرق بين العوام والخواص فى فهم الشعر ، والرموز تجعل الشعر أكثر عمقًا واتساعًا وثراءً على أن تأتى طبيعية مناسبة لموقعها وليدة الشكل والموضوع والأحاسيس ».

ويقول فى موضع آخر :

« للشاعر أن يستخدم ما يشاء من رموز ولو لم ترد فى أشعار القدماء ولا المحدثين ، ودون أن يدقق فيها ويتفحصها ، وإنما يترك ذلك لإحساسه ، وتوافق الشاعر مع نفسه هو ما يضمن تفهمه لما يستخدم من رموز ».

وهكذا نرى أن الشعر الجديد ليس فقط شعراً منظمًا يسير وفق قواعد منظمة ثابتة ، وإنما أيضًا يتطلب مشقة شديدة وصبراً فى نظمه؛ فهو مقيد بقيود جديدة لا يقدر عليها إلا فنان أصيل؛ لأنه يتطلب ذوقًا عاليًا .

كما يتضح أن التجديد لم يكن قط يعنى التخلى عن التراث الشعرى أو إهماله وإنكار عظمته ، يقول " نيما " :

« لايستطيع أحد أن ينكر جمال الأسلوب القديم ، ولكن لكل أسلوب ضروراته وجماله ووقته ». ويقول أيضاً :

« لابد لنا من معرفة القديم قبل معرفة الجديد»، ويقول كذلك :

« مهما امتلك الشاعر من استعداد وموهبة، فإن شعره يأتى فجًا إذا نظم من تلقاء نفسه دون النظر فى تجارب الآخرين . وقد أضاع هذا الإهمال كثيرين كانوا كمن يزحف فى الظلام تاركًا الطريق الذى تضيئه المصابيح ».

ويقول فى رسالة ناصحًا أحد المجددين :

« لابد أن تبحث عن الكلمات المألوفة الملائمة بين آلاف الكلمات القديمة ، وأوصيك ألا تغفل عن مطالعة أشعار القدماء مطالعة دقيقة ، ابحث فى أشعارهم، واصنع لنفسك قاموساً خاصاً بك ».

مدرسة نيما الشعرية:

كان ظهور نيما على مسرح الشعر الفارسى إيذانًا ببدء مرحلة جديدة تختلف اختلافًا جذريًا عما ساد قبلها ، ذلك أن نيما لم يحطم القيود القديمة فحسب بل إنه وضع أسسًا جديدة شكلت دعامات قوية للشعراء المعاصرين واللاحقين يعتمدون عليها ثم ينطلقون منها إلى آفاق جديدة.

وإن كان النقاد والشعراء قد اتفقوا معه أو اختلفوا حول بعض الآراء والأفكار الجديدة ، أو ترسم البعض خطواته بدقة ، فقد اتفقوا جميعًا على أستاذيته .

يقول " نادر نادر بور " :

« لقد اتخذت من عروض نيما قالبًا لأشعارى؛ لأن خصائصه تقرِّب الشعر من أسلوب الكلام الطبيعى ، وهذا التطور ضرورى فى عصر غلبت فيه الوسائل السمعية والبصرية على وسائل النشر العادية ، ولكنى أتبع وسائله فقط ولا أقلد أسلوبه فى التعبير».

ويقول فى موضع آخر :

« رغم أننى لا أتفق مع نيما تمامًا ، فإنه - إنصافًا للحق - رائد الشعر الجديد؛ لأن من حاولوا التجديد قبله لم يصلوا لمعنى الإدراك الجديد، وهذا هو أول شرط للتجديد فى الشعر ».

ويقول " احمد شاملو " :

« كان نيما أول من فتح أمامى طريق الشعر ، فحين قرأت أشعاره أحسست أن هذا هو الشعر الحقيقى ، ومنذ ذلك الحين بدأت فى قول الشعر ».

وتقول " فروغ فرخزاد " :

« لقد كان نيما بالنسبة إلىَّ هو البداية ، فإن الكمال الإنسانى يتبلور فى شعره ، وتبدو بساطته فيه كمعجزة ، وأكثر ما أثَّر فىَّ هو لغته وقوالب أشعاره ، وقد تعلمت منه كيف أنظر إلى الأشياء حتى صار لى أسلوبى الخاص ».

ويقول " نادر نادر بور " أيضًا :

« نيما هو أول من أدخل فى الشعر الإدراك والإحساس الجديدين ، ومزج بين الرؤية الخاصة والنسيج الجديد بكل معانى تلك الكلمات ، وحطم أيضًا القيود الشديدة

للشعر القديم سواء من حيث القالب أو من حيث الفكر أو الإحساس، وسوف يدين له المجددون دائمًا ويقدرون شجاعته الأدبية ومقامه فى الفن ».

ويقول " مهدى اخوان ثالث " :

« تعد قوالب نيما وأساليبه مثلاً يُحتذى . وقد كان لى قدوة قيمة ، وقد تعلمت الأسلوب منه ، إلا أن لغتى تختلف عن لغته بسبب اختلاف ظروفنا ».

كذلك تأثر به آخرون مثل " برويز ناتل خانلرى " الذى أراد أن يخرج من إطار ذلك التأثير إلا أنه عاد ثانية إلى الاتجاه التجديدى .

وممن تأثروا بأسلوب " نيما " الشاعر " شهريار " المعروف بغزلياته ، فنظم عدة منظومات متأثرًا بوزن (افسانه) . وهكذا لم يقتصر تأثير " نيما " على الشبان المجددين وإنما امتد إلى أساتذة الأسلوب التقليدى ؛ فبعد " شهريار " نرى أن ملك الشعراء " محمد تقى بهار " قد تأثر بتلك التجديدات؛ فحاول أن يجرب شاعريته فى النظم بالأسلوب الجديد ، ونظم قطعًا منها :

(كبوتران من) و(افكار پريشان) .

ومن الشعراء المجددين الذين تأثروا بـ «نيما » " فريدون توللى "، وكان شديد التأثر به فى بداية حياته ثم اتخذ لنفسه أسلوبًا خاصًا بعد ذلك .

وقد راج أسلوب الشعر الجديد بعد " نيما " واستقر، وازدادت أعداد مؤيديه، واختاره كثير من الشعراء ، ولكن لم يكن أسلوب عملهم جميعًا سواء ؛ فمنهم من اتخذ قواعد الشعر النيمائى منطلقًا اجتهد فى تفسيره وصولاً إلى أسلوبه الخاص ، ومن هؤلاء :" مهدى اخوان ثالث " ، " نادر نادر بور " ، " احمد شاملو " ، فروغ فرخزاد " ، " هوشنك ابتهاج " ، " سياوش كسرايى "... وغيرهم .

وإلى جانب هؤلاء ظهرت مجموعات أخرى من الشعراء الذين أخطأوا فهم الهدف من التجديد فوقعوا فى كثير من الأخطاء التى أخرت مسيرة الشعر .

يقول " نيما " :

(هناك بعض الشبان الذين يكتبون أشعاراً لا وزن فيها ولا قافية ولا فن ، وهى أقرب إلى الإعلانات منها إلى الشعر ، فى حين أن هناك كثيراً منهم قد عرفوا طريقهم الصحيح، وأدركوا ما عليهم وما يريدون؛ فجاءت أشعارهم نابعة من واقعهم ، وسوف يلقون كل نجاح ».

وظهرت فى هذا المجال عدة مجموعات اتخذت أسماءها من الأساليب الفنية لكل منها . من هذه المجموعات : (الأوائل) ومن شعرائها : " منوچهر شيبانى " و" اسماعيل شاهرودى ". ومنها : (الباحثون) ومن شعرائها " احمد شاملو " ، ثم : (المعتدلون) ومن شعرائها "هوشنگ ابتهاج " . وهناك أيضاً (التقليديون) ومن أبرزهم " مهدى اخوان ثالث " . أما (التصويريون) فيميلون إلى التعبير عن طريق الصور الشعرية، وأشهرهم " منوچهر آتشى".

وحاول (أصحاب المضمون) التركيز على التعبيرات الجديدة، ومنهم " فروغ فرخزاد " . وآخر هذه المجموعات : (المحافظون) ومنهم " محمد آزاد تهرانى " .

وهكذا نرى كيف كان " نيما " لا يزال - أستاذاً لأجيال تالية من الشعراء بعد أن أدركوا المعنى المقصود من التجديد .

وفيما يلى مختارات من أشعار " نيما " صوَّر فى بعضها أحوال قومه ، وبدا أمله فى الخلاص واضحاً فى بعضها الآخر، كما تطرق فى طائفة أخرى إلى معانٍ إنسانية رحبة.

ينساب ضوء القمر

ينساب ضوء القمر ،
وتتألق اليراع
ولا يجفو النوم عين إنسان ، لكن حزنى على هذه الجماعة النائمة
يسلب النوم من عينى الدامعة .

ظل السحر مسهداً معى ،
والصباح يريد منى
أن أبشر هؤلاء التعساء بأنفاسه المباركة .
لكن شوكة فى كبدى ،
تعوقنى عن هذا السفر .
وغصن الوردة الجميل الرقيق الذى
بالمحبة زرعته ،
وبالروح رويته ،
واأسفاه يذوى فى صدرى !

أتلمس بيدى

لأفتح بابًا ،

وأترقب عبثًا ،

علَّ شخصًا يدخل منه .

ينساب ضوء القمر

وتتألق اليراع

ومن بعيد يلوح معلول القدمين ،

رجل وحيد على أطراف القرية

يده على الباب ، يقول لنفسه :

حزنى الشديد على هؤلاء النائمين ،

يسلب النوم من عينى الدامعة .

١٩٤٨م

* * * *

واهًا عليَّ

بقيت مزرعتي جدباء ، وعبثًا
ذهبت كل المحاولات .
فقد عثر العدو على بيتي الصغير بنظرته المحتالة .
واهًا عليَّ ! إنه يُعد لصدري ،
سهامًا لوثها بسم الحقد .
ومن الطرقات الدامية ،
يلتقط جماجم الموتى
المليئة بغبار القبور العتيقة ،
ويجمعها على الأرض خلف جداري .
ولكي يؤذي قلوب المقهورين ،
يجلس بين الجماجم ،
يسرد سيرة القهر .
واهًا عليَّ !
في ليلة حالكة كهذي ،
على هذه الجماجم المتحركة ،
أنَّى لأحد أن يخطو !
وسكون هذه الليلة الثقيلة ، من تحرك الجماجم ,

ـ التى ينسج فيها طريد كل لحظة قصة جديدة ـ
متى ينشق ؟
ونجم قد نفض عن كاهله فساد التراب ،
أيمكن أن يمنح الضياء
لهذه الليلة الظلماء ؟

العابرون ، أيها العابرون !
اعبروا من طريقى دون أدنى فكر
فسيصل عدوى ، ويدق بابى
ويسألنى عن اسمى وأى دليل آخر
واهًا علىَّ !
أين أعلق قبائى الممزق فى هذا الليل البهيم ،
حتى أنزع من صدرى الكليم ،
السهام المسمومة الدامية ؟
واهًا علىَّ !

١٩٣٩م

* * * *

بومة عجوز

صهٍ ! إياك والكلام ، فالجدول
قد انحدر من الوادى ومضى .
والشمس من نظرتها الباردة إلى الأرض ،
قد خجلت وتعبت فذهبت .

وفى كل الغابة الحزينة لم يعد ،
هناك خبر عن الجميلات .
وفاتنة ، ساخرة ضحكت
ثم مضت .

والآن ، وقد انغمس جناحها فى دمها
قبعت البومة على الحجر ساكنة .
صهٍ ! إياك والكلام ، فبومة عجوز
قدمها فى القار وأذنها على الطريق .

١٩٤١م

* * * *

آكلو الجيف

عند تصارع الشمس والسحاب ،
حيث غرق وجه الشمس بين الضباب ،
وسرت رطوبة ناعمة
فى الجبال .
ووسط الوادى عند أطراف الغدير ،
ضجيج دائم .
ومع مايجرى ،
فأعلى حاجز جبلى
فجأة ،
اجتمع اثنان من آكلى الجيف ،
كلاهما مسن ونحيف
على بضعة عظام .
ينظران إلى بعضهما بعيونهما الحمراء
متآلفين .
فما سر التآلف بينهما ؟
وكيف جلسا معًا ؟
لا أحد يعرف .

لكن من يمت من هذين الصديقين ،

فسيمزق الآخر جلده ولحمه .

فهما ليأكل أحدهما الآخر ،

هكذا

يتقاربان .

١٩٤٠م

* * * *

ليلة الممنوع

ارفع يدك عن الجدار !
فإنها (ليلة الممنوع) فى المشفى .
وإن يفق مريض من نومه ،
لكان الأمر عظيماً .

وأقلل الكلام فقد حمله إلى
الوادى البعيد نوم عميق .
وكف عن البكاء ، فإنه يهذى
لخبر سمعه عن وحشة بحر زاخر بالماء .

وسر حذراً ، فإن ينزلق قدم
يمطر أحجاراً من جداره .
ولا تسلم على أحد ، فالصوت
يؤذيه .

إنها (ليلة الممنوع) فى المشفى
والحارس يمر بتؤدة .

والقمر من جانب النافذة برقة ،

يتأمل وجهه البرىء .   ١٩٤٦م

* * * *

إننى أصرخ

ممتقع وجهى ،
حين أرسيت قاربى على اليابسة .
وقبعت مع قاربى على اليابسة ،

أصرخ :
(غارق أنا فى العذاب ،
فى هذا الساحل المرعب الخراب .
والماء جد بعيد ،
النجدة يا رفاق) .

ضحكت الزهرات ، لكن
منى
ومن قاربى المتأرجح ،
ومن كلماتى التائهة ،
ومن اضطرابى الشديد .
ومن اضطرابى الشديد ،

تنطلق صرختى :

(إنه الموت ، ولا شيء
سوى خوف العدم .
وفي فوضى الوجود والعدم
هم ساهون عن أذاهم) .

ومن سهوهم ،
أقاسى .
ومن أحاديثهم اليائسة ،
أعانى .
وتسيل الدماء من قلب آلامى ،
فكيف أجفف ذلك السيل ؟

إننى أصرخ .
ممتقع وجهى ،
حين أرسيت قاربى على اليابسة .
وأنتم تدركون ما أعنى بكلماتى :
يد واحدة لا تصفق

أنا ، يدى . .تطلب العون من أيديكم .
وإن حبست صرختى فى حلقى ، أو بلغتكم
فإننى من أجل خلاصي وخلاصكم
أصرخ .
أصرخ !

١٩٥٢م

* * * *

تعالوا أيها الناس

تعالوا أيها الناس، يا من جلستم على الساحل سعداء ضاحكين !
ففي الماء إنسان يسلم الروح ،
إنسان يضرب بيديه وقدميه
مياه هذا البحر الهادر المظلم الذى تعرفون .
حين تكونون خائفين أن تمدوا أيديكم إلى العدو ،
حين تفكرون مع أنفسكم عبثًا ،
أن تأخذوا بيد ضعيف
لتظهروا قدرتكم ،
حين تُحكمون عقد
الأحزمة على خصوركم ،
في أى وقت أقول أنا :
في الماء إنسان يضحى بروحه عبثًا !

تعالوا أيها الناس ، يامن بسطتم بساط السرور على الشاطئ !
وخبزكم على الموائد ، وأثوابكم على الأجساد
إنسان في الماء يناديكم .

يضرب الأمواج العاتية بيده الضعيفة ،

ويفتح فمه وعينيه الفزعتين من الوحشة

وقد رأى ظلالكم من بعيد .

ابتلع الماء في لجة زرقاء ، ويزداد ضعفاً كل لحظة

يُخرج من هذه المياه

حيناً رأسه وحيناً قدمه .

تعالوا أيها الناس !

إنه يحذر هذه الدنيا العتيقة من بعيد ،

يصرخ أملاً في النجدة :

تعالوا أيها الناس، يا من تقفون على الشاطئ هادئين تشاهدون !

والموج يضرب وجه الشاطئ الساكن

ويتساقط كثمل يترنح ،

ثم ينثني مزمجراً ، ويعود هذا الصوت من بعيد :

(تعالوا أيها الناس)

وصوت الرياح يتعالى

ومعها يتعالى صراخه .

من بين المياه القريبة والبعيدة ،

يتردد فى الأذن هذا النداء :

(تعالوا أيها الناس) ...

١٩٤١م

* * * *

كسير الجناح

أوشك الطائر كسير الجناح على الوصول .
كم يبسط جناحه ويطل برأسه ،
خارج سجنه .
يصيح فى كل نيامنا ،
فى البقاع المنيرة لفكر شبابنا ،
يوقظ حميتنا الكامنة .

أعلى هذه الديار التى قلبها الظلم ،
وقف مثل كرة مقلوبة ،
تدور منه العيون ،
ليفصل الوجوه الميتة
عن الوجوه الغاضبة .
ـ الساعين دومًا للتدمير ،
وآثار تدميرهم معلقة برقابهم ـ
عن الآخرين .
وليُعلم أشباه الموتى
ممن تجمدت حميتهم ، بقدومه .

يلونهم بلون جديد ،

يمحو الشك

من الساحات المغبرة المليئة بأشكال الأحياء .

يصور نيرانًا ،

باشتعال مختلف ،

فيحترق ما ترى .

ومن الغضب ، تبيض الأشياء السوداء

حينئذ يطل من هذا السقف المعتم ،

ويتنفس السحر بعد الليل المظلم

فقد أوشك الطائر كسير الجناح على الوصول .

١٩٤٠م

* * * *

فـى أولـى سـاعـات الـلـيـل

فى أولى ساعات الليل ، امرأة صينية ، وحيدة فى حجرتها الخشبية

تدور فى رأسها أفكار مخيفة ، تفكر :

(المسخرون الضعفاء الذين يقيمون جدار المدينة العظيم ،

من أسلم منهم الروح تحت جراح السياط النارية

قد وورى جسده تحت طين السور) .

ولأن المرأة الصينية لا تجد خلاصاً من الأفكار المؤلمة ،

فقد ظلت روحها ضجرة متعبة .

تقول بِروحها المنهكة

فى أولى ساعات الليل :

(فى أولى ساعات الليل ، مصباح كل شخص

معلق أعلى إيوانه

وقد عاد كل زوج إلى بيته ، إلا زوجى

فهو بعيد عنى يعمل

تحت سور المدينة العظيم) .

في أولى ساعات الليل ، أنا أيضاً بعيد عن أعزائي
غارق في الحزن على مآسي قومي
ومثل تلك المرأة الصينية
التي فاضت أفكارها ألماً ،
أنصت إلى أنشودة أهلي .
ولا أغفل لحظة عن تذكر القابعين وحدهم في بيوتهم ،
وكل أشكال الأسوار تبدو أمام عينيَّ الملتهبتين جلية !

في أولى ساعات الليل ،
هدِّئ من هذا المصباح الخافت
فأنا أعرف طريقي جيداً ،
إلى آفاق مدن الضياء .
والخطوط التي خطوها في الظلام
وصور فيها صانعو الأسوار أفكارهم ،
منذ أمد أقرأها .

في بطون العالم أعداد لا تحصى ،
من المرضى في قلب الظلام .

ومنذ أعوام بعيدة

وبأيدينا ، من حولنا

تعلو هذه الأسوار الخرساء .

١٩٥٢م

* * * *

الغارقون في الموت

الغارقون في الموت ، أقاموا حفلاً ، يتضاحكون
يظنون أنفسهم أحياء .
والعظام تلتمع حيث تتجاور الأسنان .
وتتدافع منهم عظام الضلوع
وقد تآكلت العيون ، فخلت مآقيها .

تحطمت جدران ،
والغارقون في الموت يضحكون ، هذا حالهم .
تخطُ أصابعهم الميتة خيالاً ،
كل لحظة في دنيا الأحياء .
الرائحة تفوح ، صهٍ
صهٍ ، فقد نهض ميت
وانطلق ينشد
نشيداً بصوت بارد منفر .
وقام ميت ،
يذكر اسم ميت آخر شهيراً .
وميت بعيون مفتوحة ،

يُبعد حيًا عن الباب .

أغلقى نافذتى أيتها المرأة !
وغطى زجاجها بالطين !
أبعدى منظر حركة الموت من أمام عينىَّ !
فلا أريد أن يرانى أحد ،
أو أرى أحدًا .
ففى تمنى نظرتى التائهة
وصفوف آلامى اللامتناهية ،
تضاعفت آلام عظامى .

الغارقون فى الموت يغنون معًا فرحين
بنتاج غاراتهم ،
فى دنيا الحياة .
فهل لهم دنيا خافية عن دنيا الأحياء ؟
ليس فى الفتيل زيت ،
والسقف يتشقق .
ومع كل ميت خشخشة

صهٍ ، لاتتحركى من مكانك !

واسحبى نافذتى إلى ما تحت الطين !

١٩٤٤م

* * * *

ملك الفتح

طوال الليل ،
وهذا الأسود الكهل يساقط أسنانه .
وفى قلب الظلمات المزيفة ،
تختلط ظلال قبور الموتى وبيوت الأحياء .
وخادع الدنيا ذاك ، مستتر بحيله .
ليجعل داخلك غافلاً ،
وليحول نومك من أذنيك إلى عينيك .

اتكأ ملك الفتح على سريره ،
فقد مرت البارحة عليه ثقيلة صاخبة .
وهو يغفو مستريحًا ،
لبضع لحظات .
لكن خاطره المشوش
مثل نيران تحت رماد ،
يرسم لعيونه صورًا فى الأحلام
فيستغرق فى أفكاره البعيدة العميقة .
منذ كانت الأقدام الضعيفة تسير بجوار الحائط

على الأطراف ،
لتعبر الطريق بهدوء
لئلا تقلق النوم الهادئ للسفاح فى ذلك الوقت .
وأصل الظلمة ، مزدانًا بأصله ،
قد جلس على سرير الملك مثل خيال الموت ،
ومن حنايا ديارهم ، صيحات سرورهم الطاغى
سياط على قلوب الكادحين ،
وذريعة لكل مساند ،
حتى يتصاعد الصوت الساخر لديك منزل جارى المسكين ،
فيشق الثقوب الخفية لديار القيل والقال .
وفى ثنايا الطريق ، حراس الليل القدامى
يطلقون صافرة الليل ، مثل نفير القادة .
أو يُرفع بهدوء
تابوت على الأكتاف الهزيلة العارية ،
من على الأرض المغبرة .
أو تغطى صيحات خيول المتعبين من بعيد ،
على نغمات الأهوال فى أذن الليل الدوار .
وهو فى هذه اللحظات المهدومة

(المدفونة آمال المطحونين فى أعماق خرابها ،
وتقام حفلات الظالمين فوقها)
منتشٍ بتقلبات خياله .
فى سويداء قلبه يعلو الضجيج ،
من رواح آلاف العاملين وغدوهم .
وحين يفتح عينه ،
تكون عين زمان آخر .
ويُكره شفتيه على الضحك ،
فيكونَ انفجاراً لفمه الضاحك .

ومن الضحكة التى تولد أمله ،
يبرد (مثل رغبة شائنة لفاسد)
كل انفجار مؤذٍ قد يفكر فيه أطفال ،
ويسخن الموقد البارد .
وبين البرودة والسخونة ، عمر الليل قصير ،
كما لو كان من عين الشمس
آتون يرتعدون ،
وذاهبون يعودون .

وإن ينغلق الطريق أمام سيل الأعداء ،
حين ينهمر سيلهم كنهر أعمى ،
فمثل الظلام الفار من الصباح ،
يهاجم قهراً فى قلب الظلام .
وأصوات قلادات رقاب المحرومين
(مثل أصوات السلاسل المقيدة لأقدامهم)
تبدأ رقصة الهزيمة المترنحة ،
وهو حبيس فكره .
و فى هدوء قصر مدينته حديثة البناء
يرقب خلسة ،
ويردد معك هذا الكلام :
(عبثًا يوقظ الحلم المشوش طفل الطريق
وبعدم صبره ،
يزيد من طول الطريق .
أنا الذى أتأمل النقاط الدقيقة فى هذه الحكاية ،
وأحدد الفواصل بين الخطوط المتداخلة . أعرف
من الساذج متعب القلب فى هذا الليل المظلم .
وأى قدم ترتعش على الطريق الضيق .

مثل شوكة تُسل من جسد الطريق ، أخرج
من طريق أذنك ، أيها البرىء !
كل خبر مؤلم سمعته
في جو حار خانق ينذر بيوم مطير .
حين يفكر الصياد في الهدف ،
يسكت عن الكلام في الأمر ،
مثلما تضطرم النيران خفية حتى تتصاعد ألسنتها .

فلا تؤذ خاطرك عبثا ،
وكن حذراً من تلك الخواطر .
فما من أمر لا يترك أثراً ،
ولو كان له مائة تمهيد .
وليست الحياة إلا
ميداناً للتجارب .
وكل خطأ ،
يعقبه صواب .
ومن يصيب ،
قد تعلم من الخطأ .

وكل من يعمل ،
لابد أن يخطئ يوماً .

تلك هي الحقيقة ، وقد قيلت ، لكن لا يعلم
هؤلاء البخلاء ، محترفو النواح
أن لا أذن لا تصغى لهم ،
قيد أنملة .

علا بناء الأشرار دون أساس و لاجذور ،
صوب الخراب ،
وكلما ازداد ارتفاعاً ،
نحو الأعلى
ازداد قرباً من خرابه .
ولا يعلم هؤلاء الأحياء شكلاً
ـ لأن كل غامض يبدو لهم سهلاً ـ
أن الطريق الملتو المنزلق
هو العدو
ومثل أفعاله المشينة ، تكون أسباب موته

ولا يستمعون لأى صوت

ولم يستمعوا ، لكن . . .)

ملك الفتح قد تمدد على سريره ،

بيده مقاليد كل أمورك .

يرى من خلف الحجب

ما لا نرى ،

ولا يخطر بفكرنا البليد .

وخلف الحجب يرى

أن قوة فتية قد هبَّت ،

وأيام الهلاك تطل من النوم الكارثى .

طوال الليل ،

وفيه ساعات الزمن الحقيقى

تتراءى أشكال كاذبة فى أعماق ظلمات الدروب ،

ومن داخل سجنه المظلم البهيم ،

ينادى ديك الدار الصباح الخلاب .

ويزف الخبر فى البلاد كل أسير فى كل مكان ،

ليصير زاداً لآذان الناس فى كل زمان
فيقولون لبعض فى يأس :
لقد مات ملك الفتح ،
وصار جسده جداراً بارداً .
ينبئ العظم تحت الجلد ،
عن موت جسده .

إنه حى . يملك الحياة
لو تبدأ الدنيا به ، فهذا حق .
وأيضاً لو تنتهى عهود الأسر به ،
لكانت ربيعاً خلاباً لأيام مشرقة
ربيعاً ساحراً لأيام خلت من الأسى .

فى مثل هذا الخريف الموحش
فالأرجوان خاف من عدم الإزهار قط ،
يبقى متعباً لفراق آماله الضائعة ،
فينبت هو ربيع ضحكة الأمل من الأمل .
ويزهر .

الليالي عمياء القلوب

محت نور القلوب

ولافتقادها الضياء صارت كأفواه القبور

ترقب خلسة

كل ما تراه .

ومن كل ما تراه ،

ترسم بسمة ساخرة على شفتيها الوقورتين

من هذه الأخبار ، على أفواه تابعيه حين يقولون :

مات ملك الفتح

وضحكته على الشفاه

وأمنيته الذابلة في القلب

مثل زهرة ذبلت من قلة الماء .

يفتح بمرارة .

ويظل سعيداً ،

بامتداد ظل الهموم لهذا الجدار .

منتشياً بسعادة لاحدَّ لها ،

يظل خاطره طليقاً .

طوال الليل كله ، حقًا .
من يفرون من شقوق الظلمات الجاثمة
الحيارى العاملون فى الليل ،
ومن قلب محراب القنديل المطفأ البارد ،
وهذا الخبر مثل دم فاسد يسيل من عروق ميت ،
ينساب فى العروق الضعيفة للعاجزين
والطريق يحتمل هؤلاء... عبثًا
وخادع الدنيا ذاك مختف فى خداعه ،
لكى يحول الحلم فى أعماقك
من أذنيك إلى عينيك ،
ومن عينيك إلى دمك .

١٩٤٧م

* * * *

على الجدران المهدمة

كان الشوق للطعام يلازمه ،

وأمله فيه يقيمه أعلى حجر صلد .

فمنذ أمد وآكل الجيف الكهل شديد الجوع

قد جلس ساكنًا ،

على الجدران المهدمة .

على ظاهر المبانى ،

وكل فتحة فيها

عمائر زائفة ،

قد اصطفت صفوفًا .

والحيوان ، بمعدته الخاوية ، لم يسكت عبثًا

عن الصياح والزمجرة .

ففى كل نظرة جوعى له ،

تشتعل الرغبة فى الطعام .

حيثما يجلس ،

وأينما ينظر ،

فى العيون الشاخصة للقمر ،
أو المنصرفة عن الشمس ،
فهو على الجدران المهدمة .

ومنذ اشتهى
طعم ما لم يذقه ،
فمناقيره الحادة
يفتحها كل لحظة .
يسلبُ ما لا يُعلم
ويخطف ما لا يُرى
وضيق معدته خاوٍ من الطعام ،
وهو يُنشد للمعدة ،
ألحان طعام لا حدَّ لها .
ويملأ كل شريان ضعيف
بطعم طعامه المديد .
حقًا . إن جدار معدته اليابس
يستمد منه الماء ،

لا يعرف نظرات شهوته ،
إلا كل ذى فراء .
ووعاء الطعام هذا ـ ملأً من كثرة الطعام ـ
ليس إلا طعامًا لآكل جيف آخر .

وقد وقف الموت ،
يعلن وقت زواله .
(مع آخر نفضة للحى عند نزع الروح)
يسجى أجسادهم .

آكل الجيف الكهل يعرف الحكاية
يعد المرات بصبر ،
متى يأكل طعام غيره ،
فى الصحارى الساكنة ،
والمذابح التى ستحدث ،
ثمل ببشرى آماله المتتابعة
منتش يرقص مع هذه الخيالات .

لذا يرى ما لايراه أحد
يتراءى له صراع وحشى ،
فيجلس دومًا ،
متخيلاً شكل الصراع ،
حين يبدو من بعيد
ما يشبه بقعة دخان ،
فيهز رأسه
وينزل بمنقاره ،
على الأحجار التى تشبه صبره ،
ويجلسان معًا ، متشابكى الأيدى ،
أمام الأبنية ،
على الجدران المهدمة .

١٩٤٧م

* * * *

ظالم فى الطريق

بدأ الليل باضطراب ؛ ففيه
ظالم يترقب فى الطريق .

كما لو كان
من مكمن يعلن حقده ،
فيحك حجراً بحجر كل لحظة .

لا أحد فى الطريق قط ، وشجرة الكمثرى البرية
تقف باردة . والصفصاف يهتز .
الموت ، مستعد ، أذنه على الباب ،
وذلك الشرير يمارس حقده .

الأطفال الجوعى بأجسادهم العارية ،
ينامون تحت الطاقة المكسورة .
والرياح ، سكنت عرجاء
ودوران الماء يصدر أنيناً .
كأنهن فى وداع صامت

أطرقت نسوة برؤوسهن .
كل شيء محطم ، كل شيء مبعثر
على التراب من الحزن .

الطريق يشبه شرياناً في الجلد ،
قد تغطى هارباً .
وبينما يحترق مصباح حزين ،
يسكب جفن العين الدموع .

تحت السقف المحطم في الليل ،
سقف آخر قد تحطم الآن .
لكن ذاك الطماع عداد العظام ،
يمزق العينين فتصيرا كأسي دم .

الوجه المريض ، الأصفر الصبور ،
أطرق برأسه على ركبتيه .
لا يسأل أحد عن حاله ،
ولن يلتفت إليه أحد .

والناس موتى ، أحياء بالوجوه ،
قد استغرقوا فى النوم فى سجونهم .
عين أحدهم مفتوحة ،
لكنه يحدق بنظرة تائهة .

تتقدم يد الشرير ،
فُتح باب عار على الطريق .
عجباً ، ما أخف كومة
العظام الموضوعة فى التابوت !

كل لحظة ،عداد العظام ذاك
يدير عينيه بشك مع دوران الليل
ويده ـ حارس هذا الخراب ـ
تحصى دقائق التعب .

فأر الموت فى كل جسده ،
يبدو ، من البخل ، بخيلاً ميتًا .
خوفًا من شكل الصباح القرمزى ،

يفجر من عينيه نبعًا أزرق .

يضع كل لحظة حجراً فوق حجر
ويحك يديه بالجدار
حتى لا يرى نقصاً
ويزيد على كل زيادة .

لكيلا يدع سبيلاً لليل نحو النهار ،
صار ذاك البوم ودوداً ،
يقبَل النهار من بعيد ،
ويحتال بكل وسيلة
ويدعو ألا يرى عيناً عمياء .

مازالت شجرة الكمثرى البرية تقف باردة
والأطفال الجوعى نائمين ،
والصفصاف يهتز وكل شيء حزين
وأنين الماء يسرى فى الجدول .
ومن أسفل الدنيا الغارق فى الدخان ،

يأتى ، هذا النداء ثانية .

وتزداد حرارة النجوى شيئًا فشيئًا :

ظالم يترقب في الطريق .

١٩٤٤م

* * * *

أمطار عجيبة

على الصحراء أمطار ، أمطار عجيبة !

أمطار تهطل من كل حدب وصوب ،

وقد نال نصيباً منها كل زاحف أو سائر

لكن الرياح ، لا تريد هذا

تجرى حارة فى الميدان ، وتلقى بنفسها على الأرض

بأنفاسها الجافة العبوس المميتة .

وعلى العشب حتى لا يرتوى قلبه ،

تزيد من بأسها كل لحظة .

وتنزع من كل ناحية

كل نبتة عطشى أو ندية

وكل غصن مثمر .

الرياح تفور .

وتسعى الرياح

لتقتلع كل ساق رقيقة فى الطريق

وعلى الصحراء أمطار ، أمطار عجيبة .

١٩٤٩م

* * *

الرياح تدور

الرياح تدور والباب مفتوح والمصباح مطفأ
وصارت خالية كل ديار القرية .
وخائف فى الطريق على كتفه حمل ، فى
طريقه إلى الجسر
يحدوه الأمل
أن يعبر بيسر .
معزولاً فى هالة من الدخان
أساس جدار
ومن كل ما قد عُزل
تصاعد أنين جريح
أو جزع مريض
وعابر الجسر فى طريقه صعاب
ينظر كل حين
يحدوه الأمل
أن يعبر بيسر .
كله أمل

أن يعبر بيسر

لكن الرياح تدور والباب مفتوح والمصباح مطفأ

وصارت خالية كل ديار القرية .

والعابر الذى يريد أن يعبر الجسر ، يقف

فهناك امرأة تذرف الدموع

ورجل يمسح دماً عن جبينه .

١٩٤٩م

* * *

فى ليلة شتاء باردة

فى ليلة شتاء باردة

شعلة الشمس ، مثل شعلة مصباحى لا تشتعل .

ومثل مصباحى ،

لا يضىء أى مصباح

ولا ينعكس على الجليد قمر السماء المضىء .

فقد أشعلت مصباحى لأنير طريقًا جاريًا فى ليلة مظلمة ،

وكانت ليلة شتاء باردة .

والرياح تدور بين أشجار الصنوبر ،

ثم تهدأ بين الأكوام

لكنه ضاع بعيداً عنى فى هذا الطريق .

ومازلت أذكر القصة .

ومازالت الكلمات على شفتى :

(من يضىء ؟ من يُشعل ؟

من يضم فى قلبه هذه القصة ؟)

في ليلة شتاء باردة

شعلة الشمس ، مثل شعلة مصباحي لا تشتعل .

١٩٥٠م

* * *

على الميناء

السماء تمطر
فجأة على الميناء
على ألواح معلقة فوق سقف طينى على جانب الطريق
على مزارع الأرز التى تنشر سنابلها الصغيرة .
على شرانق الحرير أعلى الجسر - الذى صار وكأنهم
يعزفون عليه الليلة - أو أن هناك حزيناً يغنى .
وأعلى المنزل جارى (الصياد المسكين الذى تعرفه)

لكن منزل جارى خال منذ أمد .
يا رفيقى ، يا من أحدثك من هذا الميناء الصغير
وتنبذ عروقى الجريحة آلام نفسى حين أحدثك .

تزخر نفسى بآلام جروح أخرى !
لا صوت يصدر عن ذلك الرجل فى تلك النافذة
وعينه على الطريق فى ليلة مطيرة كهذى .
آه ! ما أثقل الحياة مع صراع البشر (ورؤى الحروب كل أوان)

الأطفال ، النساء .

الرجال ، من كانوا في ذلك المنزل

أصدقائي ، صاروا جميعًا قتلى الآن .

١٩٥٤م

* * *

هو في رؤياه

الرياح تدق ، تجرف
الطريق الخائف .
في قلب موقد ، منذ أمد قد خمدت النار
لكن في كومة (معتمة ذبل فيها الأمل)
جلست على ركبتيها امرأة صامتة .
في اللحظة نفسها التي جلست فيها المرأة صامتة في العتمة
سقط حي ميتاً في الطريق ،
وعلى الطريق ، قريباً منه ،
وقف رجلها .

يبدو كل شيء حزيناً
وفي حزن في الغابة
كان ضعيف قد تداعى جسده حتى سقط على الأرض .
مثل ذلك الرجل الواقف
ومثل تلك المرأة الصامتة
كل شيء أخرس ، ولسان واحد طويل في ناحية .
وهو قادر على إصدار أية أوامر

من اللحظة التى يخيم فيها الليل .

وحتى اللحظة التى تسدل فيها الحجب فإن مآسى كلامه تنفذ .

ومازالت المرأة صامتة فى مكانها

ورجلها مازال حائراً ، تقصر يده عن أى كسب

يروح ويغدو ،

ليس فى عينيه ذرة من النهار المشرق تحمل رسالة من القلب إلى القلب يترقب فى الطريق ،

بأقدامه المترددة على الطريق يرى

فى اليوم الطويل مهلكة ،

وفى الليل القصير سجناً ،

وفى سجن جسده

هلاكًا من هلاك .

لكنه يظل هكذا ،

بنظرته التى تجوب كل نقطة مسحورة ومنكوبة بالظلام

فى العالم (هذا العالم المسَخر)

وهو فيه كالمقذوف بالطين .

يظل محقراً ،

مستغرقًا فى رؤياه

وهناك كلب ورجل وامرأة

لا يراهم بعد تلك الفتنة (باسمها الذى كان)

أى شخص مهما مرَّ كثيرون .

ظلت عيونهم حيرى

والرياح تدق ، تجرف

الطريق الخائف .

١٩٤٨م

* * *

أنا بسمة

من داخل نافذة جارى ، أو من خفاء جدار منزلى المحطم
من أى مكان أو من أى شخص ، منذ أمد
تتحدث بسمة خفية فى السر قائلة :

- قد سكنت هنا
من لحظة باردة فى جو معتم مع سموم أنفاسكم ،
انزوى القلب فى ركن ساكن
ثم انطلق خارج ظلمات أنفاسكم المسمومة فى كل ناحية
تختفون فيها عن الناس ، فأنا حاضرة ،
أرى حسن حديثكم ،
وأنظر إلى طيب أعمالكم ،
فى كل اللحظات الباردة ،
حين فارق الدفء طباعكم مقهورًا
وانفلت حبكم الأشل للباطل فى هوى طرق بعيدة ،
فى كل اللحظات الدافئة ،
حين كنتم مثل العميان والسفهاء ،

تتحسسون الجدران بأيديكم .
ومثل فاقدى الأقدام المقعدين ،
تحكون الرؤوس بالتراب .
وتتوه نظراتكم الزائغة على سرير الأحجار القذرة .

حين كان وميض الشرر يتحول على جباهكم الضيقة
إلى جدار من الرماد البارد .
لكن قبضة رماد بارد أحرقت جباهكم الضيقة .

حين كان جوهركم الترابى
فى الجزء المظلم الأعمى من حدقات عيونكم ،
لا يفتح عيونكم لحظة
على جوهر متألق .

حين تنساب مثل ماء أفواه الموتى ،
قطرات دموعكم الكاذبة
على سيماء مفزعة ،

ومن أسنانكم ، مثل بريق خنجر الشيطان ،
يقفز بريق ضحكات الباطل .
فى كل تلك اللحظات المريرة وغير المريرة ،
تجرى جياد نظراتى السريعة قائلة :
إن تكونوا مستغرقين فى شئونكم
أو فى شئون آخرين ،
أو فى تخفيف أعبائكم
أو زيادة أعباء الآخرين ،
فإننى أرقب الحسن والقبيح من أعمالكم
دون تفكير فى مساعدتكم التافهة لى ،
فلا سبيل لتحسس الناس عبثًا طريقًا إلىَّ .

أنا لم أتحطم عبثًا .
ولم أضع أثراً محطما فوق آخر عبثًا ،
رغم أنكم قيدتمونى بالسلاسل .
إن كنت أستقر على الشفاه الصامتة فى مرارة
أو أزداد حسرة ، أو أنفرج بألم

فأنا ، أنا بسمة الأيام المريرة التى تفضل العزلة متأملة .

١٩٤١م

* * *

فـى طـريـق خـفـى

فى طريق خفى أعلى القرية كلام :

من صنع ؟

من حمل ؟

من خسر ؟

والأشجار الظليلة ساكنة

والحديقة المسلوبة ، على هذا الكلام ،

قد أقفلت أذنها

وكل شيء مؤلم للنفس .

ومن الساحل المقهور المستسلم

حتى الوديان الوادعة فى الغابة

التى جعلوها ميدانًا

مفتوحًا لظلام الليل ،

وطائر لقلق معلق برقبته جرس

يدق بلحن غير منتظم ،

ضيقوا كل شيء .
وتلك الكلمات ، باقية .

لماذا تبدو هالة القمر متسخة ؟
ومن بقي يقظًا
ومن يعرف النوم ، ولِمَ النوم ؟
من صنع ؟
من حمل ؟
من خسر ؟

لِمَ انكسر الباب وتحطمت النافذة ؟
ولماذا لم تعد حجرة
تُضاء بمصباح ؟
ولا يبحث صديق عن صديقه
مرة ، ولا يسأل عنه
ولا عن ماضيه ولا وجهته ؟

لكن ماءً يقطر بملل

ويناجى ركنه الملول
سقط المغزل . ضعفت العجوز . فى الموقد
بردت النار
والحديقة المسلوبة ، على هذا الكلام
قد أقفلت أذنها !

١٩٥٠م

* * *

من يضحك ؟ ومن باكٍ ؟

مر حاديو القوافل هؤلاء
ورأيت تروسهم قد سقطت على الأرض ،
تحكى عن وجوه المشاهير
حكايات حزينة .

ورأيت الحراب تبرز
من حجر إلى حجر مثل رسالة عدو لدود ،
وأحجاراً كثيرة جداً قد سقطت
أسفل الجبل مثل قافلة من جلاميد الصخور .
ولم ينشر مصباح ضوءاً عليها ، إلا للحظة حزينة
ولاحرَك دوران الدموع رأساً ، لأكثر من لحظة .
لكن الآن لا أثر لهم ، وهناك
كل شيء خراب فى أحضان خراب
فمن يضحك ؟ ومن باكٍ ؟

لليل المظلم سحره

وشقوق الجبال تتفجر ، وفم الوادى يتآلف معه

ويتناجيان بصوت

يشبه صوتًا تألفه أذنى

فيجعلنى مشوشًا ،

وتنضغط عظامى ببعضها ،

فى ذلك المكان الخرب .

الذى صار الآن سجنًا لأصوات كثيرة مشوشة ،

فأخبرنى الآن ، من يضحك ؟ ومن باكٍ ؟

أخبرنى ، كم مرت السنوات ،

وكيف كان قطار دوران الأيام يأتى محملاً ،

وممن أخذ إمطار الثلج هذا ؟

الآن حين لا تضحك الزهرة ،

الآن حين تعقد الرياح خيوطًا ملعونة

من أشواك كل عش صار خربًا

على أفرع شجرة البلوط العتيقة

في ذاك المكان الخفي (كأنه دخان يهرب من دخان)

من يضـــــحك ؟ ومن باكٍ ؟

١٩٤٦م

* * * *

الجليد

لم تتحول الأشياء الصفراء إلى قرمزية عبثًا
والقرمزى لم يلق لونه
على الجدار دون وعى .

طلع الصباح على تلك الناحية من جبل (ازاكو) ، لكن
جبل (وازنا) لايظهر
فكومة ميتة من الجليد كل شأنها الإفساد
قد استقرت على زجاج كل نافذة .

(وازنا) مختف .
انقبض قلبى بشدة ؛ لأن
الفندق الذى أظلم نهاره
نزلاؤه لايعرفون أنفسهم :
فبعضهم ناعس .

وبعضهم متنافر .

وبعضهم غافل .

١٩٥٥م

* * * *

ظله

في ساحة دهليز بيتي وبيتك ،
يجلس رجل معه مشعل .
كل يوم و كل ليلة من أجلي وأجلك ،
ينير سبيلاً في هذا الليل المظلم .
أزعجته
عروق صوت
وابتسامة ليست من شفتيه .
ففزع
إنه ينظر تحت خرابة الليل ،
إلى ضوء شرارة باردة
إلى سرور يوم ليلة مفعمة بالألم ،
فيجدد آلاف الآهات الخبيئة .

ولكن حين وقعت عينه فجأة
على ظله ، مع أنه ليس منفصلاً عنه
ابتسم

وصاح . وظل

خفياً في الزمان عنى وعنك .

١٩٤٢م

* * * *

نزيف الدم

امتد لزمن طويل

سوء حال جسدى

أصدقائى ، رفاقى !

لا تدعوا هذا المصباح المزعج

يسلط ضوءه على صدرى

على هوى الطبيب !

مامن ألم فى جسدى

لكنها حمى شرسة ، جعلتنى أخشى الكبر ، وأعرف لِمَ هذا ،

ولماذا تصلب كل شريان فى جسدى وعلا نبضه ،

فقد سكنت اللوعة جسدى دومًا .

جسدى أم أجساد الناس ، لقد تآلفت كلها مع جسدى

وصارت ذات شكل وصفة واحدة ،

فى هذه المعركة .

صار نبضنا واحداً ، ونزيف دمنا ، لكن الآن

لا أريد أن أتحسس نبضى ،

أو أعرف من أى شريان ينزف دمى .

كان أحد رفاق سفرى يتأمل ماحدث ، فأصيب
بالحمى .
والآن ،
قد دمرتنى الحمى .

لا حاجة بى لطبيب
ولا لكتاب طب
ولا دواء لى سوى الراحة ،
وأفضل من أى شخص
أتغلب على آلامى ؛ لأننى أعرف
لماذا يعتصر جسدى؟
فالحمى من ضعفى ،
والحمى من نزيف الدم .

١٩٥٢م

* * *

قلبى الفولاذى

أطلقوا جوادى

زاد سفرى ونسيج سرجى

وجزاف حديثى ،

فقد جذبنى

خيال جامح إلى باب البيت .

رسم لساحة بعيدة ، ليس فيها قلب سعيد .

وأراضٍ بعيدة

موطن الأشرار

شأنهم القتل والذبح ، ففى كل ناحية

يغرسون زهور ربيعها من أجساد البعض .

كنت أظن عبثًا :

من مفازة الهلاك هذى

أنَّى يكون لأى عابر

قلب من الفولاذ

فينظر ببساطة
فى الحسن والقبيح
ويتقبل المصاعب بسهولة ،
ويعتبر الدنيا
مكانًا للحقد والقتل
والخراب والخذلان .
ولكنى الآن من مفازة الهلاك نفسها
يجب أن أعود ، ومع حسن تمعنى فى الأمور ،
فإن الحلم المروع الذى قذف بى فى هذا السفر
مازال يؤرقنى ويجعل عينى معلقة به ،
ويحرق كيانى فى نيرانه المستعرة .

ليس لى ـ أنا المسافر فى الخرابات ـ مجال للوقوف لحظة
فأنا أكثر من أغاروا عليه
فضاع منى كل شىء .
وقلبى الفولاذى لم يعد معى
وكان قلبى كل شىء لى ، والآن أرى
أن قلبى الفولاذى قد ضاع فى الطريق .

لابد أن أيدى هؤلاء الأشرار

قد ألقت بقلبى الفولاذى فى أحضان ربيع غرسوا زهوره بالدم والجروح .

والآن أشعر أنه فى دماء إخوانى ،

ـ مكفنا ظلما فى دماء الأبرياء ـ

قد صار لقلبى صدى آخر .

١٩٥٢م

* * *

أغلقت الباب

أغلقت الباب ، فإنه الليل
وليلى مظلم كأنه القبر
مع أنى لست بعيداً عنه ،
فإنه بعيد عنى .
وفى ليلة كهذى ، أطفئ
المصباح دوما
أقلل زيته ،
أذيب جسده ،
حتى لايأتينى أحد غيره .
وحتى، من قطار اللحظات المعتمة الهارب .
تشرق علىَّ لحظة
تحمل رائحة الزهور إلى الأنف .

ظلمة بيتى ،
تبدأ نجوى خفية معى
تستمع لكلماتى
وأستمع إليها .

وكل جدار صامت

ينصت إلينا قلقًا

من تساؤلى : متى يأتى الوقت ...

والليل ، عبوسًا باردًا ،

يرمقنا .

ومخادع ، بقدمه العرجاء ،

فى ظل جدار محطم

يعبر الطريق خلسة .

والأحجار تضم أجسادها إلى حبات النبات القرمزية

وتضع رأسها على سرير الأشواك

وقد تحولت إلى عيون تنظر إلى

الأعرج الواقف فى الطريق .

وظللت أنا فى الليل

أرتقب أى إشارة

حقًا ، لقد اعتدت على عتمة المنزل مثل نار فى كومة رماد أسود .

أطفئ المصباح دومًا

وأقلل زيته ،

وأذيب جسده ،

حتى لايأتينى أحد غيره .

١٩٥٠م

* * *

مَن يبكى

مَن يبكى مع مرور الليل
له حديث خفى معى .
يضحك لى
مَن يأتى ضاحكًا ، ضاحكًا .

وإنسان عينى ، أسير فى حدقة عينى
يسرع قبلى .
وقد فر منى ، مثلما فر عقلى من رأسى ،
ينظر إلى بعيد .

لأدرك مَن الضاحك
ومَن الذى يبكى معه ،
هجر الجميع دارى
فلم يعد أحد معى .

الماء يزمجر وراء الجبل
والجبال حزينة .

والسحاب يُطوى ،وأذياله رطبة .
وأعلى الوادى شجرة نضرة ،
قد رفعت رأسها خائفة .

وأنا أبكى على مَن يضحك
وأضحك من بكاء الباكى
وأعقد شكل الليل ، البارد الساكن ،
على جسده الخرب .

كيف خرج طفل إلى الطريق غريراً !
وكيف رأى كل ما لم يجد !
قال : أرشدنى إلى الطريق
قلت له : تكلم بحذر
ولابد أن تتحسس الطريق مسبقًا .

ولكن ... هكذا يزمجر الماء.
وجريحى يضحك سراً .
والضاحك يبكى .

اختلط الضحك بالبكاء
وطغى الطين على الماء
وخرج كل شيء من الدار
كل شيء ينجرف مع الماء .

والجبال حزينة .
والسحاب يُطوى
وأعلى الوادى ، شجرة نضرة
رفعت قامتها خائفة .

١٩٤٨م

* * *

الغراب

عند الغروب حين احتجبت الشمس ،
وراء الجبل بألوانها الصفراء الحزينة ،
حطً غراب وحيداً على الشاطئ .
ومن بعيد ، كانت المياه
بلون السماء ، وفرع بلوط
أصفر بسبب الخريف ،
قد سقط على قطعة صخر .
ومن الأماكن البعيدة ،
بدت نقطة سوداء .
كان شخص فى الطريق ،
يبحث عن ركن بعيد عن عيون الناس ،
ليخفف به ـ لحظة ـ حزن قلبه الدفين .

وحين وجد المكان الخفى الذى أراد
عين الغراب المفعمة بأمواج كالسيل ،
تسمرت عليه .
كأنما يتسائل : من هذه المعابر

ماذا يتأتى ، فرح أم عذاب ؟
رأى شيئا مثل كل ما قد رأى .
بدا لعينيه كخط مرسوم في الطريق .
أبنية محترقة من بعيد
سحاب على الشاطئ المهجور .

ينظران الآن إلى بعضهما
ويلتفت كل منهما إلى الآخر من بعيد.
هذا شكل غراب وسواد
وذاك إنسان ، كيفما تشاء ،
ففى الغراب الشؤم والقبح
اسمه يعنى الشؤم ، سارق الجنان .
قد حط ليزيده غما على غم
يراه الناس داخلا من أعتاب الحزن
ليفتح لهم أبوابه .
ويخرب بيوت الأفكار القائمة .
يصيح من بعيد : أيها الغراب !
لكن الغراب

خالى الذهن

قد سمر عينيه عليه

وظل فى مكانه باردا دون حراك

وتلك الأمواج تروح وتغدو عابسة .

فهناك شيء خفى

يبحثن عنه .

١٩٣٨م

* * *

طائر الققنوس(*)

الققنوس ، طائر عذب الألحان ، صوت الدنيا ،
ظل شريدا من هبوب الرياح الباردة ،
على فرع خيرزان ،
وقف وحيدا .
وحوله الطيور على كل فرع .
يؤلف بين الآهات التائهة
من الأوتار الممزقة لمئات الأصوات البعيدة ،
وعلى سحب مثل خط معتم أعلى الجبل
يصنع
جدار بناء خيالى .

ومنذ شحب لون الشمس الذهبية فوق الأمواج
وعلى الساحل
علا صوت الثعلب ، والرجل القروى
قد أشعل النار خفية داخل الدار .

(*) طائر أسطورى تقول الأساطير إن الموسيقى أُخذت من صوته .

شعلة صغيرة ، تبدو قرمزية
ترسم خطا تحت عينى الليل الجامدتين
وفى الأماكن البعيدة ،
الناس يعبرون .
وهو ، ذلك الصوت النادر ، مختف كما هو ،
يطير من المكان الذى اختاره
ويمر بين الأشياء المعقدة
بين ظلام وضياء هذه الليلة الطويلة
يمر
وإلى شعلة أمامه
ينظر

وفى مكان لاعشب فيه ولاحياة
شققت الشمس المحرقة أحجاره ،
لاشيء محبب فى هذه الأرض
يشعر أن أمنيات الطيور أمثاله
سوداء كالدخان ، رغم أن آمالهم
مثل بيدر من النيران

تبدو ، ويبدو صباحهم مشرقًا .
يشعر أن حياته
حين تمضى كالطيور الأخرى
فى النوم والطعام ،
ليست إلا مللا لايستحق الذكر .

ذلك الطائر عذب الألحان ،
تحولت النار المهيبة أمامه
الآن إلى جهنم ،
ينظر كل لحظة ويحرك
عينيه الحادتين .
ومن أعلى التلال ،
فجأة ، يرفرف بجناحيه
ويصدر صوتا من أعماق قلبه الملتاع ،
لايعرف معناه أى طائر عابر ،
حينئذ ، وهو ثمل بآلام نفسه ،
ألقى بنفسه فى هيبة النار .
والرياح الشديدة تهب ، احترق الطائر .

فنثرت الرياح رماد جسده ،

ثم خرجت أفراخه من قلب الرماد .

١٩٣٧م

* * *

طائر الحزن

على جدار الحزن هذا ، حينما كان الدخان يتصاعد
كان طائر يحط دوما ، باسطا جناحيه
يهز رأسه من كثرة مابه من حزن .

قبضاته محترقة ،
منغمسة في الرماد ،
قد تعلم الابتسام ،
لكن الحزن في قراره .

حيثما كان فرع بلا أوراق ولا غناء
يكون لهذا الطائر الحزين صوت ،
يسمعه العابرون في الأسحار المعتمة .

وهو ، يخرج كل صوت حزين للدنيا

من كل قلب حزين علم بحاله ،

لكنه لايحرك من حزنه جناحا .

لا يراه أحد ، ولا يعرف ماذا

ولامن يصرخ أعلى جدار هذه الخرابة .

أو من سواه من الطيور يعيش فيها .

يئن جسد الحزن هذا كل لحظة .

وينظر إلى ظلمات نظرتى .

إنه يبحث عنى فى هذا الجو المعتم .

أئن بلوعة كل لحظة فى هذه الدنيا الخربة

وقد انزويت ، فى قيدى ، دون زاد .

ما الشمع ؟ وما الفراشة ؟ أنا كل شمعة وكل فراشة .

وعلى ثنايا تلك الجدران المسمطة ،

وعلى كل خط أسود خطه الليل عليها ،

أقتفي أثره صامتا كالنمل .

ثم ، على جدران الحزن ، المنطبقة ببعضها ،

أخط نقوش الحزن أعلاها وأسفلها ،

الحزن يشكلني ، وأنا أنقشه .

مادام أحد لايرانا ،

ألون

ظلمات الليل

الجاثمة على القلب ،

بلون حزنه .

نتحدث سويا عن انتظار الصباح

وبغبار أصفر ، ننسج شرنقة حول الجسد

أنا بيدى ، وهو بصوته ، نصنع أشياء .

١٩٣٨م

* * *

طائر الحق(*)

تعلق طائر الحق بالليل

وشأنه المرهق دوما ، الدوران .

وإن يدور دون جدوى

وإن يدور فى الظلام ، يدور طريدا . . .

وهو فى مكانه ، يبدو له كل شىء يدور

والأرض بضيقها

والليل ، ثقيل دام ،

قد استعار لونه من نظرته .

والطرقات صامتة ،

تفر منها أقدام النساء والأطفال

مثل فانوس هامد الأنفاس ،

يدور فيه الضوء خلف الدخان .

(*) نوع من البوم .

لكنهم فى الحديقة يقولون :

(تعلق طائر الحق بالليل

ومن بقائه معلقا من قدمه ، يدور حول هذا السقف المطلى بالزرقة .)

١٩٥٠م

* * *

عمل حارس الليل

القمر مضيء ، والنهر هادئ
وأعلى شجرة (الأوجا) قد تعلق
طائر (التيرنج) مستغرقا فى النوم ، ولكن فى مزرعة الأرز
لم ينته بعد عمل حارس الليل .

ينفخ البوق حينا ،
ويدق الطبل حينا ،
وفى هذه الظلمة الموحشة
لاصوت سوى صوته .
الهول غالب ، وكل شيء مغلوب .
يمرق شكل مخروطى ، هذه هيئته
يشرد ظل ، إنه خنزير وحشى .
ويداعب النوم عينيه المتعبتين ،
ويكرر فى نفسه كل لحظة :

(أية ليلة حارة مملة !
ماتت زوجتى حديثا ،
وبقى طفلاى جائعين ،

وليس فى وعائنا حفنة أرز ،
فبأى كلام أهدأ روعهما ؟)

ثم يدق الطبل ثانية ،
فى جو مشبع بالضباب
وأحاطت بالقمر هالة ،
وعلى مزرعة الأرز وكل طريق فى الغابة ،
يطير البعوض فى جماعات .

كما لو كان بدق الطبل والنفخ فى البوق
يخفف من وحشة الليل وثقله .
وكل شىء يبدو له مملا ،
شديدا وثقيلا .

لكن الأفكار تتوارد فى خاطره
مثل طائر يحلق
حمله حب الطعام من مكانه ،
كأنه يستمع إلى طفليه
يقولان له :

(طفلاك تعيسان

يحترقان بآلام الحمى و الجوع

هذان اليتيمان وحدهما ،

أيها الرجل !

أسرع إليهما

حيث ناما ،

أو إلى حيث صارا ....)

طفلا حارس الأرز من لدغات البعوض

لايذوقان الراحة .

وبعدما تعبا من تذكر أمهما ،

ناما .

يحترق وقود الموقد

وتزكم رائحته الأنوف ،

والضباب متداخل

وحول مصباح خافت ،

يدور البعوض

وتطير الهوام الضعيفة

أية ليلة مملة طويلة ؟
لاصوت لأحد قط .
كل شيء ذابل ميت ،
ولا شيء ينبئ بـ حياة !

القرية بعيدة عنه ، ولو كان هناك أحد
فإنه يمضى حياته مثله :
هو فى مزرعة الأرز
وزوجته وحدها فى البيت الجبلى .
(دالنج ، تعالى يا دالنج) ينادى
كلبه ليأتى إليه . (دالنج) !
يسمع صوته من بعيد . خنزير
يقفز من حجر إلى حجر ،
وعيناه تلتمعان كزهرتين حمراوين من نار
إنه حيوان مفترس يترقب .
لا إنسان ولا كلب معه ،
حارس الأرز هناك وحده
كغيره من الحراس .

جسده عار والعصا بيده ،
يروح ويغدو ، وكم يشعر بالخوف
يرتسم شبحه بالدخان
فى ذلك الليل الموحش .

يدق الطبل وينفخ فى البوق
ويمضى إلى طريق آخر .
كأنه ميت يتحرك فى قبره
أو حى فر من حياته ، التى صنعتموها له ،
نافرا لاعنا ،
يفر الآن .
وسواء يتحرك فى قبر
أو نحو الأمل
فانه يبحث من جديد عن الوجود .
(أية ليلة حارة مملة وثقيلة .
لم يستيقظ طفلاى من النوم
كم من ليال قلت لهما :
ناما ، حتى لا يأتيكما الشيطان ، لكنهما الليلة ،

نائمان .يعلمان

أن أباهما متعب

فكم راح وجاء

حتى خارت قواه .)

دالنج ، دالنج ، نام الكلب الجائع أيضا

كل شيء نائم ، كل شيء هادئ

ينسل خنزير بين الأعشاب .

لم يبق أحد سواه يقظا

لأنه يعمل ولم ينته عمله بعد .

تمتص بعوضة دماء جسده الأسمر العارى ،

ويظل يصيح حتى الصباح .

حين يفكر في شيء آخر

فيهرش رقبته وجسده ، ويستوحش قلبه .

ومرة أخرى تبعده عن مكان العمل

فكرة وليدة حب الأب ،

فهو اليقظ حتى الصباح

حتى يتم نضج المحصول
فيأكله آخر مستريحًا .

ويعود فيقول : (ماتت زوجتى
وطفلاى جائعان
لأذهب وألقى نظرة عليهما .
ولكن ربما تأتى الخنازير
وتخرب كل المزرعة .)
كم هى ليلة ثقيلة حقا !
هكذا يقول ،
قد استطالت فى الغابة كلها .

خمدت النيران ،
والطفلان ، تجمد منهما الجسد
ناما وأيديهما متشابكة
بل سلبهما النوم الأبدى عقلهما
إنهما فى عالم آخر
مترابطين الآن

قد تخلصا من القليلَ والكثير والحسن والسيئ .
ونظرات عيونهما الراحلة ،
فى قلب الليل الحار
تحكى قصة ساعة مضت .

يقول جسداهما للأب :

(مات طفلاك
أبى ! لكن عد .
فقد جاءت الخنازير
وأكلت الأرز ....)

ماذا يفعل إن يذهب أو لايذهب
حين يذهب حزينا
كأن حارس الليل يذهب بخياله ،
لا بقدميه .
صنع البغض غصة فى حلقه ،
وكل مافى المكان يدور به .
كل شىء حوله ،
جعل الدنيا فى عينيه قبرا

والسماء حجر لحد فوق رأسه .

لم يتغير شيء قط ، مازال الليل
كأول الليل ، النهر هادئ
وأنين يسمع من الغابة البعيدة ،
حيث يحترق فتيل مصباح خافت
وقد انتهى كل عمل
ولكن فى مزرعة الأرز ،
لم ينته بعد عمل حارس الليل .

١٩٤٦م

* * *

أم وغلام

في قلب كومة ساكنة فقيرة
لاخبر ، ولكن ثمة خبر .
بعيدا عن أى شخص هناك ، الليل
يحكى عن ليال أخرى .

يشتعل كور تتراقص نيرانه
وتتباعد كل لحظة .
وذاك السكون الكائن هناك
يرتبط بسكون الليل .

فى ذلك السكون ، كأن
شخصا يصل كل لحظة .
لكن لا أحد . بل أمل
تتردد به الأنفاس .

كأن فى هذه الكومة الصغيرة

كثيراً من الموتى .

وهناك طفل مع أمه

أصغر من فى تلك الكومة .

والفقر بكل ما فى جعبته

يعيث فى هذا المكان

فيتضور ابن وأمه جوعا

ولكن أين الخبز !

تحكى الأم للابن عن الأب

أى عن الزوج الغائب

يأكل الفقر جسده وتصفر منه الوجنات ، هذا هو الخبر

فى قلب الكومة الخربة .

مضت الأيام ولم يعد

مع أنه ذهب ليعود سريعا .

ولا أحد يعلم أين هو الآن

على هذا الطريق الرمادى

تحت هذا السحاب الأزرق .

لا أحد يعلم شيئا عن أحد
الليل طويل والصحراء قاحلة ،
وأمام جدار قلعة خربة
القمر بارد وحزين ،
يتضاءل على وجه الماء
وتحت الأشجار
تمر الأشكال ،
كأنها عيون مفتوحة
تنظر إليهم .

الطفل يرتعد خائفا
بدنه الرقيق ساكن فى أسماله ،
ينصت لحديث أمه
وشعره يتناثر حول أذنيه .
مازال جالسا فى مكانه ،
وتحت عينيه الجاحظتين وعلى وجهه الهزيل

تتساقط حبات دموعه ،
كحبات من الياقوت
التى تقدر بألف وألفين .

بألف ممن لا يتألمون
بألف من الكاذبين
فليس فى قلوب الحقراء
أمل ولا رونق ولا ضياء .

تروح نظرات الطفل بعيدا
وتختلف كلماته عن كل حديث .
ألم تمر ثلاثة فصول خريف
وهو يتمنى كسرة خبز
ويدمى قلبه وكبده .

ولتريح طفلها البرىء
تخدع الأم طفلها فتشير إلى أبيه فى الطريق :
(تعال ! جاء أبوه يتأبط خبزه

من أجل ابنه ...)

صارت رأسه وكل جسده عينا
الطفل ، من ذكر اسم الخبز على لسان الأم .
وصارت الأم كلها خداعا
إذ تكذب على الطفل بشأن أبيه .
لأن كل ماتقوله للابن
حديث كاذب
ففى الحياة المظلمة
لاضوء من هذا الحديث .

حديث كهذا للابن
كالسم فى حلق الأم
أثار الألم حنقها
وندمت على ذنبها
ففاضت عيناها دموعًا .

بأى وجه برىء ،
وبأى حال حزين ،
يعود الطفل فينصت إليها .
وهو لايعلم أنها خفية
تمسح دمعها
بعد أن سكن الألم قلبها .

ولايعلم أنه رغبة فى الخبز
لايبكى بدموع العين ،
أطفال الآخرين .
ولايعلم أنه فى المنزل المقفل
يضحك الآباء مع الأبناء .

أمام عينه الباكية ، صورة الخبز الذى يتمنى
هى صورة الحياة فى الدنيا .
وحين يمتص بشفتيه ماء أنفه ،
يكون للخبز الذى يحزن قلبه معنى .

يطيل الآهات كسهم يُخرج من جرح
ويتجه بعينه نحو الخبز
إن يكن ما يراه ، أو لايكن
فليكن وجه الخبز . وجه الخبز .
تحول كل مايرى
إلى أب بيده خبز
يتخيل أن فى طريق الجسر الخرب
قد جاء أبوه ، إنه واقف .

لكن فى هذا الطريق الخرب
من ذا الذى يصل ؟ أى شخص ؟
فمن هذه الصحراء ، مزارى ومزارك
مضت سنوات لم يرتفع صوت جرس فيها .

داخل الدار
يعبر ظل الموت فقط ،
وينشد الفقر لحن الفناء
ويغنى الحزن لحن الانكسار .

خارج الدار ، ليس بعيدا عنهم
بسطت شجرة صفصاف ظلها على خميلة ،
وجرى جدول هادئ
وخلا وجه القمر من بسمة .
طالما تشربون ضاحكين
وأيديكم فى أيدى من تحبون
فلتكتسوا بالسعادة دوما
وتستمعوا للغزل
ووصف الخال والشفة
ولاتفكروا فيما هو موجود أو غير موجود ،
واقضوا ليلة
مثل الميت الذى
لايعلم شيئا عن الحى .
أيها السراب الباطل
يامن لست أملا لإنسان ،
مثل الحباب على الماء
لايبقى لحظة .
مرت أيام على هذه المزرعة

على هذا الوادى

على هذا السفح

على هذا المنظر ،

بعد مزحة برق ثقيلة

صار جسد المزرعة محترقا .

بعد سحاب قذر

أكثر قذارة من قلوبكم ،

مثل قيح انفتح وصار فارغا

لم يضف سوى الحزن ،

هكذا

كانت حياتهم .

أين الأب ؟ أين أبوه ؟ الخداع هو من يأتى

كى تؤلفوا الكلام

ضمنوه شيئا لافتا .

الزوجة المنهكة ، مبحوحة الصوت

تدور نظراتها

كأنها تخدع نفسها أيضاً ،

تترقب عيناها .

أحقا هذا هو

يدق بأصبعه الأصفر الهزيل . . .

راحت تتخيل

وكل خيال يبدو مرئيا .

ولأنها لا ترى شيئا حقيقيا ،

عادت لنفسها

تعيد الكلام الأول :

(تعال ، جاء أبوه

يسرع بكل حواسه

إلى مايريد ابنه . . .)

والطفل من أجل الخبز ورؤية وجه أبيه

تابعت نظراته نظرات أمه

وكل لحظة يسمر عينيه عليها ،

وفى قلب الكورة كالمعتاد

تجمعت بضع حطبات ،

تتكسر وتحترق

ويرتفع دخانها ، إلى السقف .

١٩٤٤م

* * *

رسالة إلى سجين

منذ أمد لم يصلنى
خبر منك
ولم يفدنى أى صديق
سألته عنك .

لأنك ، ليلاً ونهاراً
فى ذلك السجن الضيق
وليلاً ونهاراً ، أنا فى قلب هذا السجن أيضا (الذى لايبدو سجنا فى ظاهره)
أقضى أيامى فى ألم وتعب .
وليال سوداء مفعمة
بخداع ،
يقصدنا .
واحتيال أشرار ،
ومكر يجعل الحياة جيفة ميتة كالقبر
ويجعل الجميع ،
ينظرون إلينا ،
بنظرات مريضة وخيال منحرف

مثل سهم لايصيب الهدف .
يخافون جميعا
ألا يبلغ الماء الآسن
من منبعه الأسود ، شفاههم
أو ألا يلقى الجدار المطيّن
ـ كل حجر فيه لواحد منهم (كان أخا لهم) ـ
بظله على رؤوسهم .

* * * *

كلهم خائفون
من العفريت العفن
بقناعه المزيف
ألا يحتضنهم .

* * * *

كلهم يخافون . نعم .
بلا شك ، حتى
مع وجود ضوء القمر ،

من حجر ، لو وضع طائر رأسه عليه نائما
أو غرد عصفور
لالتصقوا بالأرض .
أو هدلت حمامة ،
ظنا أنه نزاع
فكل منشدى الحماسة هؤلاء
يخلون المكان مترقبين فى الطريق .

* * * *

كلهم خائفون
كأنهم فى سجن
لاتدنو نظرة منهم
إلى بابه .

* * * *

ومع هذه المعاناة
تعقد الأمر
ومع كل عقدة ، حيرة

لا يصل معها أحد إلى هدفه
مثل رسالة إلى سجين ! فمثل حديد ساخن
كل شيء يستمد حرارته
من هذا المتمرد .
ومثل حديد ثقيل
كل شيء يستمد لونه من الدوران
ليبدو ملونا .
وبأسنانها البيضاء والسوداء ، قافلة الأيام والليالى
تمضغ أجسادنا .
وما أسعدهم ،
حين يمنعهم الخوف من ذكر
مايجرى لنا على ألسنتهم .
أين السعادة فى الدنيا
حين تضمر الحزن
نصيبا للبعض !
(فلا سبيل مع خداعها

* * * *

ولاطريق مع مكرها .)

* * * *

أنا أنصت فقط ، لكن

رغم كل ذلك ،

للصوت الآتى من بعيد

وبعينى المليئتين بالشقاوة ، أقول :

(هناك صوت شخص فى الطريق .)

وبسبب هذا الإنصات ، فكل همهمة على شفتى

تقول : صوب المدينة الصامتة

يدق جرس .

* * * *

يدق جرس . نعم ، وحيدا

يريد منا أذُنا .

إن تكن لنا آمال عريضة

أو غرقنا فى اليأس

فإن صبرنا النافد يقول :

(لا أحد فى الطريق)
مثل طريق مهجور
ضاع بين أشواك الصحراء
يبقى السجين وحيدا .

* * * *

مع أن أحدا لايلتفت إليك
فكثير من العيون خفية
تنظر إليك .

* * * *

أنا منزو فى هذه القرية
(مثل مبصر يطوف بمدينة العميان
يحيط به الأسى من كل صوب)
قد قلت هذا مرارا لكل شخص
إن حديث قلبى معه فقط .
فهل أتى هو
حزينا من طريق بعيد ،
أم أنه مشغول

بالشهرة والغرور ؟

* * * *

أبخيال راكد
وأى ملل
يوم لقائى معك منفردا ،
سيُكشف هذا السر .
فسبب مامر من سوء
سيعود من جديد .
وتمطر الجبال حجارة
فتُزيد أعداد الظالمين .
وأنا أكتم حزنى فى القلب ،
وسهام الملامة فى كبدى
أملا أن يأتى يوم ،
أبتسم لرؤية وجهك .
وأسأل كل من يسافر إلى تلك المدينة :
- (أتعرف شيئا عنه ؟)
قبل أن أسأله :

-(أمررت به ؟)

* * * *

أيها الرفيق والصديق العزيز !

نقي النفس كأنفاس الصباح ! صديقى المقرب كتجاور الأسنان فى الفم

كنت أكثر عذابا منى (عند عدائى للأشرار)

صداقتك أكثر عمقا

فى قلبى من آمالى .

ومع صبرى ، فأنا حزين ..

متى يثمر

هذا الصبر ؟

صدقنى ، هذا الصبر مؤلم :

إن أسرعنا

أو تمهلنا

أو تعذبنا .

* * * *

متى يحل بى يوم ،

تشرق الشمس الدافئة على الأرض ؟
ومن سيقطف الفاكهة من هذا الفرع الأخضر ؟
المصباح فى هذه الدار الضيقة ،
مع قلبى يحترق
وبكل عناده يريد ،
أن يضىء لكل رفاق السفر .
أهناك عين قارئة لسيماء
الخطوط المبهمة المتداخلة لحياتي وحياتك ،
ومن هم مثلى ومثلك ؟
وبأى أسطرلاب يمكن
أن نرى
يوم خلاص قريب ؟

* * * *

كم من الأعوام مر ؟
وكم من الشهور ؟ ... قل .
سلبتنى أحداث الأيام والليالى
حساب الشهور والأعوام .

كما سلبتنى العذابات العميقة

أحلام اليقظة

وأحلام شبابى .

* * * *

قل أنت . لم صار كل شىء تلميحا الآن ؟

كضوء القمر مع المياه الساكنة .

والسحر البديع معى ،

حين يلخص القول عن رموز خفية تضطرب لها

ساحة هذه الليلة الطويلة المرهقة ؟

الطريق للهدف والسبيل ليوم الخلاص ،

فى أى ناحية مظلمة من صحراء الليل ؟

ولماذا تبقى الرياح بلسانها الناطق ،

ساكنة أسفل الوادى ؟

(مثل غدير شارد كف عن الهدير

فى تل رملى بصحراء حارقة) .

ولماذا لايبدى حزنه رجل ،

أهدر الشباب ولم يلق

الحبيب نظرة إليه
(كربيع ضحك وتفتح
دون أثر بعيدا عن الطريق) .

* * * *

لكن . .بغير جواب
رغم قوة هديره ، يظل صوت البحر
ميتا فى ذاته .
والقرى الخربة ،
والخرابات التى تدعى قرى ،
ذابلة الوجوه !
ودون أن يعرف إلى أين سيحمله الطريق ،
ضل رجل الطريق إلى بيته .
وإن يدلوه على مائة بيت ،
لايلتفت إلى أى منها .
وفى الحرارة الحارقة لصحراء الهلاك ،
آه ! أوشك
أن يسقط على الأرض .

وخطرت ببال ذاك الشريد أفكار
استغرق فيها .
وكلها من نجوى الروح ،
التى لاتخطر لكل إنسان .

* * * *

فنجوى الروح أفضل من أى حديث
وما ينبع من الروح ،
لاشك ولاتردد فيه .
وما يمر بنا من حسن أو قبيح ،
نستحسنه أو نستقبحه بنفوسنا المتعبة .
ونعيب الوجود بفكرنا
وأحيانا للإنصاف
نعيب فكرنا العنيد المؤذى .

* * * *

آه ، يا رفيقى العزيز !
ما أطيب ما قلت من كلام

حين أتحدث إليك عمن تبدلوا

فمن كل هؤلاء

لم لايهتم بك أحد ؟

حين تهب الرياح العاصفة ،

تقتلع بسهولة

كل عشبة ضعيفة ،

وكل ضعيف كالعشب

وماصمد

- عدلا أو ظلما -

كان جدارا عريضا

ملجأ لى وإياك

أو قلبا حزينا

لرفيق ظل باقيا .

يهاجمنى ،

كلما فكرنا معا ،

حتى لانتجاذب أطراف

حديث قوى متدفق .

أو شريك فر

وهو يقول لى :

(هناك عابر يبحث عبثا

عن طريق الليل الأعمى .)

* * * *

لا أحد . للأسف ، لا أحد

يستيقظ من نومه الثقيل كما يجب

ويدع اليأس جانبا ،

مثلى ومثلك .

* * * *

فى قلب الليل ، ورسالتك هذه فى يدى

ظل المصباح مطفأ فى ا لطريق

والصمت سائد .

وتلك الأرملة التى تعرفها ،

تضع رأسها بين يديها

وكلبها (ليت للإنسان وفاء الكلب)

قد نام أمامها .

ونجلاء على حصيرها فى حجرتها وحيدة
تقرأ (العرائس السبع)(*)
أحيانا تردد معى
شعرى الذى تحفظه .
وأقول لها :
(لاتبكى يا نجلا .
فقد اقترب الصباح
بحسنه الوضاء
ومن سافر سيأتى يوما .)
لكنها ، مع فهمها لكل رمز فى كلامى ،
لاتهدأ لحظة
وتجلس وقلما تستمع لحديثى
(رغم مافيه من خير لها) .

* * * *

هى وأنا . وحيدان

(*) العرائس السبع منظومة شعرية طويلة للشاعر الإيرانى نظامى الكنجوى ، وهى من عيون التراث الشعرى الفارسى .

نتحدث عنك

وأنا متعب مشتت (لو كان فى قلبى ذرة من سرور

لمحتها الحسرة والألم)

أيمكن أن أراك ثانية

فبأى ذريعة

أمد يدى من فتحة ردائى العتيق

وأدق باب بيت جارى !

وأى ضوء لقمر

يضىء وجه رجل

يحل بالقرية وكيسه خال على ظهره .

* * * *

لكن صاحب العربة الكهل صديقنا " آيت بيك "

وضع رأسه على ركبتيه

فى العربة

وأخذه النوم من عالم التعب

وأنت تعلم مايقاسى من ألم

لا أريد

أن أتحدث عنه .

* * * *

أتمنى لك طول العمر

ولا شيء آخر

الجميع بخير

وأنا وهم ، من بعيد

نرسل إليك السلام .

١٩٥٠م

* * *

الديك يؤذن

كوكو .... كوكو ! الديك يؤذن
من قلب خلوة القرية ،
من طريق كالوريد الجاف
يُجرى الدم فى أجساد الموتى
يتسلق جدار السحر البارد
ويتدفق إلى كل ناحية فى الصحراء .

امتلأ الطريق بصوته
يحمل البشرى إلى الأذن الحرة .
ويرشد القافلة إلى طريق العمران
في هذه الديار الخربة .
ينساب ناعما
ينشد دافئا
يرفرف بجناحه
ويبسط ريشه .

صوته أذن على جرس القافلة
والقلب معلق بصوته العذب
كوكو..كوكو ! فى هذا الطريق المظلم
من بقى ؟ ومن تعب ؟

دفئت بأنفاسه المنشدة ،
ليالى الشتاء الباردة .
وأفشى الأسرار الدفينة ،
نور الصباح المشرق .

يقبِّل التراب
ليحمل الصباح البعيد ،
إلى الديار
حين يسمع الصوت الأثير ،
مهما كان ألم الطريق .
كوكو..كوكو ! من مكان ظاهر
يهرب الليل متخفيا

مثل شرير يبتعد
فى الصباح خوف أصوات النهار .

ويسرع الفارس إلى الطريق بعد أن شرد فرسه فى الظلام
ورسمت عطسة الصبح فى أنفه
صورة لروعة النهار المشرق .
حينئذ بدا له
كأن النهار
قد أضاء له الطريق ،
وجلب السعادة
فساق الجواد .

كوكو..كوكو ! انشرح القلب والعقل
جاء الصباح . الديك يؤذن .

ومثل سجين ليل كالقبر ،
قفز الطائر من ضيق القفص

إلى صحراء واسعة وطريق طويل بعيد

فمن بقي ؟ ومن تعب ؟

١٩٤٦م

* * *

أمل الشرير

عند السحر ، الديكة
ينشدون رغم الظلام :
(ها قد حل الصباح المشرق
وبسط جناحيه بلون الدماء .
وتجار الليل الهارب
ممتطين مركب الظلام
يأتون من بعيد .)

من قمم الدنيا المدخنة
يتصاعد الشرر
ويفرِّق السحب
التى حجبت الأنظار
فيتعالى صياح الديكة :
– (ها قد جاء الصباح باسم الثغر
فلتُفن لجاجة الليل ،
ولتمزق أسطورة الهول ،
ولتربط قطار الأيام ،

ليقيم على هذا الغبار المتطاير ،
بنيانا آخر .
وليجعل فى قلب هذا الإعصار الطاغى ،
إعصارا آخر .
ها قد جاء الصباح مسرعا
برقصاته القرمزية اللطيفة ،
من أعلى الجبال الحزينة
وأركان الصحارى البعيدة ،
ها قد جاء الصباح ليطهر الديار
من الظلام والضباب ،
ويمحو العتمة
فيبسط الطائر جناحيه براحة .)

ولكن وقف متخفيًا
تاجر ليل باكيا مثل جيفة معلقة من الذنب
تحت جداره المنهدم
متحيراً
لايقر له قرار

حين بدت تحت الدخان
أطياف القطعان ،
ومن بعيد تصيح الديوك المسنّة ،
فيزداد خوف قلبه .
فهذه الزمزمات ،
التى تبشر بطلوع الصباح ،
كخبر موت الأعزاء
فى أُذنيه .

وهو (صاحب القلب المحتال)
تجسيد التسرع والغرور ،
قد تجمد فى مكانه محزونا
يتبدل حاله كل لحظة حزنا .

وتحت الأشجار الباسقات
ومن الدخان المنساب
بين آلاف الظلال الشاردة ،
حل هناك ضال .

تحت بقعة لامعة من الضياء
على ماء يعلوه الدخان ،
منزلقا يعكس الظلال
اندفع نحو الأمواج
واختار موضعا يرى منه كل ناحية
وبسط ذاك الطائر جناحه حزنا ،
مضطربا ضعيفا .
ولكن ، من يقول إنه من خلف الغبار
لا يتسلل بريق النظرة الخادعة ؟
ومن يدعي أن عيون ذاك اللئيم
حين تنظر ،
إلى وجه المستنقع القاتم ،
لاتنوى استعادة
حلاوة ليل غامض ؟
إنه ينظر إلى هذه الدنيا العتيقة نظرة أخرى
وبشكل آخر ، حين يتحرك ،
ويعبر الطريق ،
يمتطى صهوة سوطه .

مثل ذرة تجرى فى عروق دنيا متداعية ،
وتلتقط
قطرات عتمة متتابعة .
حتى يجعل الليلة المعتمة
بخداعه ، أكثر عتمة .
ويلوثها ذاك الغريب ،
بأنفاسه المسمومة .
ويتعلق بأذيال الظلام
حتى لاتفر من صدره .
وليُبقى هذا الليل أسود دوما ،
يمتص ضياء الصباح الباسم .
ويبتلع أينما يرى
أفكار من يسلكون سبيل الرشاد .
فيربو الأمل فى نفوسهم .
ويترقب
ويترصد
حتى لايسلك أحد طريقًا قويمًا .
ومن بين دموعه الباردة القذرة ،

على العابرين

يبقى قلقًا .

يوائم بين الضياء والظلام

ويربى فى قلبه

أمل زوال الصباح .

١٩٤٠م

* * *

السيد (توكا)(*)

على الباب ، والنوافذ
وعلى ألواح السطح ، تمضى مقهورة ، تدق الرياح ،
لايُرى لها شكل فى الطريق .
والبحر فى هدير ، لايقر له قرار ،
ترسم أمواجه صورا فى القاع .

هكذا كان
صوت يُسمع لرجل خلف النافذة .
دو دوك دوكا ، السيد (توكا) ، ما شأنك معى ؟
فى قلب هذا الليل البهيم ، لايقر لشىء قرار .

(لايُرى أحد فى الطريق
والشجر فى اضطراب .) قال (توكا) .
(فدع نافذتك مفتوحة لى
فأنا أتمنى أن أبقى لحظة معك ،

(*) طائر يشبه القُمْرى .

وأتمنى أن أغرد لك .)
لم تبد إشارة من الرجل خلف النافذة
وسقط ظله فى دائرة ضوء القمر ، لايُعرف من أى ناحية ، على الجدار ،
وكلماته تشبه صوت الموج . من الموج ،
ولكن من هيبة البحر .

(كيف يهرب أصدقائى منى ؟) ... قال (توكا)
أهذا وهم ليلة معتمة أم كابوس ثقيل !)
وصاح فى الرجل خلف النافذة ثانية :
(بعيون أطفال باكية
أنا من هرب من دفء سجنه
وصار ملتذا بالبرودة الآن
فاترك نافذتك مفتوحة لى
فأنا أتمنى أن أبقى معك لحظة .
وأتمنى أن أغرد لك .)
ويأتى صوت الرجل خلف النافذة من بعيد :
(دو دوك دوكا ، السيد (توكا) !
لقد مضى الجميع ، واحتجبوا عنا ،

وصار وهما كل أُنس دافئ ،
مرت سنون علينا .
وأزهرت فروع رطبة غُرست عند رؤوسنا .
إن يكن هذا حسنا أو سيئا ،
فالخطوط الغائرة على وجوه العابرين
الذين حطم الكبر قلوبهم ، هى علامات الموت .
ألم تسأم التغريد ؟
أو تمله روحك ؟)

وكما كان (توكا) يغرد ، عاد يغرد
والرجل خلف النافذة يقول لتوكا :
(تماما كما أردت
تبعتك طلائع الطيور تغرد من بعيد
بقدر مايعرفون
وعلى فراشك من الأشواك ، وأملا فى زهرة نضرة فى يوم ربيع ،
ذبلت برعمة لن تراها ، وتعلم ذلك .
أما زالت فى قلبك أيها المتعب
رغبة فى التغريد ؟)

لكن (توكا) يغرد .

وكما كان أولا ، مازال يفعل ،

يأتي صوت الرجل خلف النافذة .

وعلى الباب ، والنوافذ

وعلى ألواح السقف ، تمضى مقهورة ، تدق الرياح

لا يُرى لها شكل فى الطريق .

والبحر فى هدير ، لايقر له قرار .

ترسم أمواجه صوراً فى القاع .

١٩٤٨م

* * *

خفاش الساحل

توك توك !....ضل طريقه فى الليل المظلم

خفاش الساحل القريب

فأخذ يدق نافذتى دقا متواصلا .

خفاش الساحل القريب :

ما قصدك ؟

وماذا تريد من حجرتى ؟

يقول خفاش الساحل القريب لى (بكلماته الخرساء) :

(ماأكثر الأضواء فى غرفتك !

افتح لى الباب

فقد أتعبنى الليل .)

يظن خفاش الساحل القريب

أن أى طريق يصلح ليكون

طريقًا لخير الجميع

وأن مع كل ضوء طريقا للخلاص .

توك توك ! . . . .فى قلب هذا الليل المؤلم

لم لا يأتى كل شخص إلىَّ . . .؟

١٩٥٤م

* * *

تى تيك

تى تيك تى تيك
على الساحل ، فى منتصف الليل
تنقر
خنفساء
النافذة .

قلت لها آلاف المرات
ناصحا
ليس فى حجرتى
مكان لنومك
فقد نظفت هذه الحجرة
بيدى ألف مرة .

والمصباح المشتعل
قيَّد آلاف الكلمات

على شفتي رحمة بى .

ولكن لنيل مرادها
لم تعرنى اهتماما
ففشل سعيها
أملا فى الضياء ، الذى
خدعها ، ومازالت
تُخدع الآن .

فى ضيق منتصف اليل
حيث نام الدهر الكهل ،
وكذلك الدنيا بألم
تدق الرأس
تدق القدم .

تى تيك تى تيك

الخنفساء السوداء

تنقر

النافذة .

١٩٥٦م

* * *

كك كى(*)

منذ أمد يصرخ فى غابة ساكنة
(كك كى) الذى ضل .
اختفى عن العيون كملاك
بعد أن صار المرعى له سجنا
إذ لايقر له قرار
ولايمر عليه صديق .

لكنه صحيح الجسم قوى
(كك كى) الذى ضل
منذ أمد يصرخ فى غابة ساكنة .

١٩٥٦م

* * * *

(*) اسم ثور .

على ضفاف النهر

على ضفاف النهر تزحف سلحفاة عجوز .

واليوم ، يوم مشمس ،

وحقل الأرز دافِئ .

السلحفاة العجوز تتمدد فى دفء الشمس ، تنام مستريحة

على ضفاف النهر .

وأنا وحيد على ضفاف النهر

متعب بآلام التمنى ، عينى على الشمس

لكن عينى

لاتدركها لحظة .

فشمسى ،

قد احتجبت عنى بين المياه البعيدة

وصار كل ما ألقاه ، شمسا لى .

من بطئى ،

أم تسرعى ،

شمسى فقط لا تشرق

على ضفاف النهر .

١٩٥٢م

* * * *

طائر التصديق

طائر التصديق ، حزين لبقائه شريداً ،
ذهب صوب دنيا الظلم
ثم عاد متألما لارغبة به للماء والحب
وظل يتدبر أمر
يوم الفتح .

يعرف هذا الخفى بين المختفين
الجماعات المظلومة
ومن كل (آمين) منه ، ذاك الأليف لديهم
يؤلف بينهم
يهون من يأسهم الجالب للخسران
ويقرب بين الأمنيات الخبيئة .

وقد عقد في نحره
قصة أهله .

ونسج خيوطها

على منقاره الحيران .

إنه رمز يوم اليقظة والنصر

يمد يده لأعماق الحياة الخفية ،

يصور العروق الجريحة لهذا الطريق المغبًر

ومن أعماق استغاثات الكادحين ،

يبديها فى هذا الليل البهيم .

وفى اضطراب نظراته المتأملة فى الحياة

ـ التى لايتخلص منها لحظة ـ

يخفى نفسه على سطح أهله

يؤلف لونًا

يتخذ شكلاً

يضحك بحرارة

ويبسط جناحيه العريضين على جدرانهم .

مثل وميض نار فى دخان رماد

يفهم رموز آلام الناس

ويحرك رأسه معبراً عن ألمه .

ولكي تُسمع أنات المتألمين
يسأل عن أحوال الناس
ما حدث ، ومالم يحدث
وكل منهم يُسر لذلك العاقل آلامه .

يقص الناس قصصا دامية
آملين أن تستجيب الأيام
وينادون طائر التصديق باسمه .

تحت أمطار الأصوات الهاتفة :
- (لتنته مظالم الناس .)
وتزداد كل لحظة تلك المظالم .
ويصيح :
- (آمين !
لتنته الآلام المهلكة للناس ،
ولتُجتث أسباب خداعهم .
والقائم على الأمر باسم الخلاص
يخدع الناس بمعسول كلامه .)

والناس يقولون :

(آمين !

فى ليل صار الظلم فيه عرفًا

امنحنا الخلاص ياطائر الليل !

وارشدنا إلى سواء الطريق

وامنح كلا منا ـ أيها العزيز ـ نصيبا مما يرجوه .)

ـ (سيأتى الخلاص

ويتحول الليل إلى صباح مشرق .) يقول الطائر .

يقول الناس :

لكن ذلك السفاح

– وهو عدو قديم للإنسان ـ قد التهم العالم .)

يقول الطائر :

لتُوأد رغباته فى قلبه .)

يقول الناس :

ـ (لكن حروب أطماعه تدق طبولها

كل لحظة .)

يقول الطائر :

ـ(ليقض الله عليه !

وليكن فى موته الدواء

لأمراض البشر الضعفاء

ومن بعد أيام عزته

لتكن أيام مذلته !)

يقول الناس :

ـ(لينته الفساد .)

يقول الطائر :

ـ (لتحل القيود عن كل مقيد .)

يقول الناس :

ـ(لتحل القيود .)

يقول الطائر :

ـ(ليعد المشردون إلى ديارهم

و الليل المرعب

الذى أغار على أمل الضياء

فضاع فيه الهدف ، أوشك على الانتهاء .

وفى أعماق الظلمات ، يغرق ضيق بيوتنا ،

الآن فتحت الأبواب على عيون الضياء .

والضالون المفسدون ، يهربون ،

يعودون من حيث جاءوا ،

خلعهم الخراب والجوع .

وشردهم بلاء الجوع .

الآن ، مثل سجونهم الخربة ،

انكسرت أبواب بساتينهم .

ومثل شمع في أعماق قبر ،

عميت عيونهم في مآقيهم فزعًا .

وكل منهم

جلس على رصيف حيرانا .

في ذهولهم ،يتسلل نشيد الموت إلى آذانهم .)

يقول الناس :

- (لتنكسر أبواب بساتينهم أكثر ،

وليفقد كل منهم أهله ويجلس على رصيف ، أكثر .

ولتُطفأ على أبواب بيوتهم القناديل

من أناشيد موتهم ، أكثر .)

- (ليكن !) يقول صوت من بعيد .

وصوت من قريب ،

يسرع بين جلبة الأصوات قائلا :

- (هذا ما يستحقون ،

ليكن ، بعد كل أنسهم ،

وأيام ملذاتهم .)

يقول الطائر :

- (لتخرب دورهم ،

مثلما عمرت بظلمهم .)

يردد الناس :

- (ليكن ، آمين !)

ولسان من يشعر بآلام الناس يردد مؤمناً :

- (ليكن ، آمين !

وكل ما يدفعنا لليأس والهلاك !)

- (آمين ! آمين !)

وفي زئير لعنات المحرومين ، يحل الخراب

بكل فاسد ظالم للناس .

وفي السجن ، تصرخ جروحهم من جلد السياط :

-(هاهى الآلام ، هاهى الجروح)

لولم يمدح محروم فسادهم

ولم يؤيدهم خوفا من بطشهم !

-(آمين !

حان حساب الزمن الذى

كمموا فيه أفواه أهل الحق

وتحمَّل الأخيار المشقة .)

-(آمين !

وحان حساب الزمن الذى

أبعدوا فيه العقلاء والمفكرين وسخروا منهم .

ولأجل مصالحهم السوداء ،

يسملون العيون المضيئة .)

-(آمين !)

-(لانحراف الفاسدين

الذى لم يوجد سوى خراب شامل

ليكن هذا الجزاء !)

-(آمين !)

-(لأفعالهم المشئومة ،

حين كانوا يحيون بموتنا ،

وانطفأت منها مصابيح الناس .)

-(آمين !)

-(لأفعالهم القبيحة

التى مات بسببها العفاف

وانهارت الرحمة .)

-(آمين !)

-(ليكن هذا عقابا

لأفعالهم المشينة

التى بسببها صار الإيمان بالحق طريقا للنفع ،

وصارت أعمالنا ، كنقش على مستنقع .)

-(آمين ! آمين !)

* * * *

ومع تدفق طنين قول الناس كل لحظة : آمين

(مثل صوت نهر يجرى ويضيع فى مياه مستنقع)

طائر التصديق

يبتعد .

ومن فوق سطح

فى مكان منبسط هادئ ، يصيح ديك من بعيد
وينشق جرم جدار السحر .
ومن قلب دخان بارد هادئ ،
يتضح لونه وشكله .
ويفر الليل .

ويحل الصباح .

١٩٥١م

* * * *

حقد الليل

حين يجثم الليل الحقود على الساحل
يكتسى كل شىء بالحزن
وتُطرق الأشجار
على طريق الغابة والجبل البعيد
كأن قطعة من السواد قد تجسمت .

ويصفر وجه البحر
ويمتص مابقى من حمرة النهار
يمتص
حتى لم تعد شعرة من النور شاردة فى الأفق .
الليل ، طريد فى عينيه شراسة
غرق كل شىء فى سواد نظرته
يمتص ماء فمه حقداً
ويجثم مترصداً
وعلى شفته دائماً
حتى على النجم الصغير
كل لحظة لعنة ،

يمتص نوره من بعيد
ظنا منه أنه رمق من النهار .

صه ، رفقاً
فكل قدم تخشى الأخرى
وفى طريق القرية رجل عار
يده في يد طفل يتيم .
صه ، رفقا ، فمازال الليل المظلم
يمتص
بأسنانه الملوثة بالطين
يريد أن يفنى كل ما يراه .

ولكن ... من يقول
إنه من باب آخر ، هذا النهار المضىء
لن يأتى ؟
الليل إنسان عابث يترقب فى الطريق
الليل يجتر حقده فى قلبه عبثا
فالنهار يأتى

وما يجب أن ينمو ، ينمو

ولو كان السحاب مشبعًا بالرطوبة

فإنه يضحك في وجه الليل .

١٩٤٤م

* * * *

الليل

إنه الليل

ليلة اشتد ظلامها

وعلى فرع تين عتيق ، ينقَ الضفدع كل لحظة

يبشر بالأمطار والإعصار . وأنا أفكر .

إنه الليل

والدنيا معه ، مثل ميت فى القبر .

وعدت أفكر :

ـ لو تهطل الأمطار فى كل مكان ؟

ـ لو تجعل الدنيا كزورق فى المياه ؟ ....

فى هذه الليلة المعتمة

أى فكر ، ولكن ، كيف سيكون صباحنا ؟

حين يطل الصباح من أعلى الجبل ، هل يحل معه الإعصار ؟

١٩٥٠م

* * * *

الطريق .... ساكن

الطريق ساكن ، والليل يحيط كل ركن في الغابة
والظلمة ، يطاردها الصباح
يبحث عن ثغرة عبثًا .
وشخص منزو في ركن
يقص على رفيقه حكاية ، خفية .

وصلت قافلتنا أخيراً إلي باب المدينة - يقول -
في لقاء قافلتنا
تصاعدت صيحات أهل المدينة .

لكن من كان يستمع إلي قصته
نهض ملولاً
يبحث عن اسم وعلامة للمدينة
ويقول له بملل :
(كأنني عشت أعوامًا في تلك المدينة الخفية
كأن لي فيها ، في إحدى حاراتها ،
صديقًا حميمًا أسعد بلقائه .

الطريق ساكن ، لكن الليل هكذا فى الغابة

الظلمة ، يطاردها الصباح

يبحث عن ثغرة عبثا .

وشخص منزو فى ركن

يقص على رفيقه حكاية ، خفية .

١٩٤٩م

* * * *

أضواء الليل

بقيت لحظة من الليل ، يغنى فيها السحر
وضوء الليل يبدو ضعيفا فى مكمنه على الساحل .

مثل مصباحى الخافت فى نافذتى ،
ومثل قلبى الذى ما زالت فيه بقية من من صبر وتحمل ،
ومثل خيال عشقى المرير الذى يغنى .

ومثل مصباحى الخافت فى نافذتى
فإن عينه المشتعلة تنعش فىَّ الأمل ،
وتضىء خافتة فى هذا المنزل المظلم .

١٩٥٠م

* * * *

الليل الحزين

في الليل ، حين يكون ظل كل شيء أعلاه أو أسفله
البحر متقلب
غارق في موجه
انزوى كل ظل شارد في ركن .
ونحو الأمواج المسرعة المتدافعة
اختفى ظل منسحباً من طريق .

هذا الظل ، من طريقه
لاينظر إلى ظلال الساحل الأخرى .
ليس له مكان وإن كان واضحاً ،
يسرع مع تسارع الأمواج . يشق طريقاً ،
تهرب منه الظلال .
وينثني إلى الساحل المضطرب
بانحناء جسد متيبس من الشلل .
هناك بين أكثر الظلال بعداً ،
يختار مكاناً ،

ويسمر عينيه على الطريق .

حينئذ
عند أطراف الساحل الساكن
تنكسر موجة بهدوء
فتسحق موجات أصغر
ثم تأتي موجات فارة من بعيد
فتعتلي تلك الموجة .
وهو ينصت للأمواج ، وخلسة
يرقبها بعينه .

هل من سبيل للثائرين على هذا الليل المظلم
إلى خلوة قصية
شخوص الدنيا
فيها
مرتعدة مقلوبة ؟
ومن يحيون دون

أن يعملوا لحياتهم ،

فيستوى الأحياء لديهم مع الأموات ،

وفى خلوة الليالى المضطربة ،

أتكون حياتهم مع غيرهم حياة ؟

أو تستقيم الحياة هكذا ؟

نهاية هذا الليل

ليست سوى طلوع الصباح المشرق ،

وهناك آخرون

عن العيون

مختفون

ألا يعرف الجميع ما يقولون ؟

يقولون : على الساحل البعيد المقفر

يحيا أناس

مختلفون

وجلود أقدامهم

لاتؤذيها سموم

شجرة (الكراد)(*)

هناك ، مثل الأمواج الهادئة
يمضى كل شىء هادئا لطيفا .
مثلنا ، الطبيعة
لم تسلك طريقا معوجا
وكل كائن
يفيد كما يريد .

لكن هذه الأقوال ليست كلها صحيحة .
ففى خلوة كهذى
تتفتح كل لحظة زهرة بيضاء
بوجهها الصبوح ،
فتقص على الليل حكاية .
والطائر الطروب ، يقع فى فتنة
وبشجون مختلفة
يتغنى كل حين

(*) الكراد : شجرة فى الغابات لها أشواك سامة ، وحين تزهر فى الربيع تسبب أزهارها الصداع .

ويعود ،

بجناح فى لون الدم

ويحط حزينا ،

على حجر مقلوب .

حين يبتسم القمر بعيدا فوق الأمواج

وتعتلى الموجات الصغيرة دوائر بسمته

جرى ذلك الظل إلى الساحل

سلك طريقا ، فضاع

وبقى وحيدا على حجر ،

مكانه ،

ليل حزين .

وجاءت موجة فشوشت أفكار الدنيا

ولوّن كل الموجودات بلون العدم

الليل الحزين .

بشعره الجميل ، فى مكانه ،

لا يريد أن يسلك الطريق
ولا يريد حتى أن يضحك
جلس وحيدا فى معترك هذه الليلة الطويلة
يمسح دموع عينيه
حزناً
على فناء المفقودين وينظر بأسى
إلى هذه الأمواج المدمرة المخيفة .

ومن بين دموعه
يرى كل مكان مهتزاً
فيظن أن شأن كل الظلال مثله ،
هو البكاء .

من كل ناحية حوله
حجر مفصول
أو شبح هارب فى الطريق
أو أشكال ترتعد
وقد وقفن حيارى

ثملا من صوته .

ورماد الجو علّق بومة على الفروع الجافة ،

وعناكب سوداء بالسقف .

١٩٤٠م

* * * *

حتى الصباح

حتى الصباح ، فى هذه الليلة الحارة ،
قد أشعلت المصباح ،
أريد أن أحرك
جدارا فى دار العميان .

وجدت أن أساس العمى
أن يشير الإصبع المعيب
معاتبا أعمى آخر

يسأله : لماذا هذا ، ولماذا ذاك ؟
وبهذا أضع لبنة فوق أخرى
فى بيت العميان
حتى أدلهم غدا
على مكان ظليل
فى حرقة الشمس .
ولهذا أشعلت المصباح

فى هذه الليلة الحارة

أريد أن أحرك

جداراً فى دار العميان .

١٩٥٠م

* * * *

الصباح المدنس

كانت عينى على رحيل الصباح المشرق

ومع لحن مغنى السحر الفرح كنت أغنى للرياض

فى خفايا هذا الوادى

إلى رحيل ألوان النجوم

كنت أنظر دوما .

كنتُ قافلة أفكار تدور حول الدنيا

وتقطع طرق الليل الموحشة

وها قد بلغت أسوار مدينة الصباح .

كنت أمتطى التراب

مرددا هذا الكلام :

(سيحل الصباح الذهبى

ويفر ذوو الوجوه الكئيبة .

وبعد الفراق

ستصافح عينى ضياء وجوه أخرى .)

حتى حل ذاك الصباح .

لكن واأسفا !

رغم تفتح ضحكته

فتحت أسنانه قذارة ليل معتم خفى .

وبدا مدنسٌ أمام راكب التراب

قرينٌ للسوء

إنه الصباح المدنس بوجهه الأبيض أمامى

يجلس مبتسما .

يوجه طعناته إلىَّ .

آه ! هذا الصباح الغامر

حل من الطرق المدهشة لهذه الصحراء

حتى أسرع إلينا عابثًا .

ومن بياض وجهه الأصفر ، أبدى

لونا ورديًا

ثم أصفر ملطخًا ،

فبدا أمام عينى

ألم لامثيل له .

١٩٤١م

* * * *

بيتى ملبد بالغيوم

بيتى ملبد بالغيوم

ومعه اكفهر وجه الأرض كلها .

تدور الرياح

فتخرب الدنيا كلها

وحواسى !

تعال يا عازف الناى

يامن حملك صوت الناى بعيدا عن الطريق ، أين أنت ؟

بيتى ملبد بالغيوم ، ولكن

غطته السحب المطيرة .

وسارحا فى أيامى السعيدة التى فقدتها ،

فإننى نحو الشمس

ونحو اتساع البحر أنظر .

والدنيا كلها خربة ممزقة من الرياح

وفى الطريق ، عازف الناى الذى يعزف دوماً ،
في هذه الدنيا الملبدة بالغيوم
يشق طريقه .

١٩٥٢م

* * * *

حينما

حينما تبكى القيثارة

ويتكاثف السحاب ، كالدخان...

حينما توجه عين البحر الزرقاء ،

إلى الوجه لكمة غضبى ...

فعمن هجرنى

غامزا متدللا

أتسلى بالحجج

وصورة له ، فى الصدر ، منبسطة .

لكن أى بكاء ، وأى إعصار ؟

والليلة مظلمة ، وكل شيء وحيد .

ورجل فى الطريق ينفخ الناى

ويأتى صوته ضعيفًا

وأنا أيضا وحيد ، ومن عينى

ينهمر سيل من الدموع .

حينما تبكى القيثارة

ويتكاثف السحاب كالدخان .

حينما توجه عين البحر الزرقاء ،

إلى الوجه لكمة غضبى ....

١٩٤٨م

* * * *

المصباح

بيت بيت . . . للمصباح

فى آخر لحظات اشتعاله

كل لحظة ، سخافة .

وله مع دوران الليل العتيق ،

شكوى خفية .

إنه قصة يأس وأمل ،

تتحرك بجسده مثل بندول الساعة .

تشُيع اللحظات المحترقة الذاهبة

والبرودة التى تزيد الخوف

وتلك الأشياء فى قلبه ،

تجرى على لسانه كل لحظة .

بيت بيت . . .اقترب منى

لأحكى لك قصة ليلة باردة ،

وكيف أتى بحذاء من نار

من الطريق المظلم نفسه،
ودخل أولا من الباب
بنظرة لا تعرف الخوف .
ومد يده صامتا فربما يسهل الصعب .
وأخيرا ترك الباقى معى
وهو القصة التى أدمت كبدى ،
جاء مع سحاب من الشمال
ودخل مع رياح من الجنوب .

بيت بيت ... لماذا لا أتنفس ؟
لماذا لا أنفث الدخان من كبدى ؟
أنا من وضع القلب فى النيران
أراه يذهب عنى
كأن روحى تخرج من الجسد .

من قبل كان يجلس معى سعيدا
فى كل وقت وكل مكان
ثم غادر كدخان ،

كأمل فى يوم شباب .

أشعل النار فى قلبى وذهب

علمنى الكلمات الدافئة وذهب .

حين وجد المكان خاليا ممن يشاركه كلمات كهذى ،

أحرق قلبى فى النيران وذهب .

بيت بيت ... لم ير مصباحى الصباح

فقد همد جسده

حين كساه الليل لونه ،

وصار كفنا له ....

يحترق هذا المصباح ولكن ،

استبدل بروحه الضجرة

شيئًا من النقاء .

ومازالت على شفتيه مع الليل الطويل ،

كل لحظة حكاية ...

١٩٥٠م

* * * *

شمعة في قارب

فى الليل ، وفوق الأمواج المتلاطمة
كان صياد يسوق قاربا خشبيا
الليل يمر . وشيئا فشيئا
كانت الشمعة فى القارب تتناقص
ويضعف ضوؤها ويصفر .
تلك الشمعة الصامتة تحكى حكاية
وهى تذبل وتتفتت ضعفا ،
فيصل صوتها الخافت للأذن .
وانثنت قامتها المضيئة
تفضى للموج بحديث حزين .
والصياد يجمع بقايا الشمعة
حول الفتيل
ويسوى أطرافها ، ويجمعها
ويقيمها فى مكانها
ويعيد النظر إليها بأمل .
لكن نظرته التالية ، بقيت حيرى

على وجه البحر الذى يبدو من بعيد
وقد تلاطمت أمواجه
وتتابعت كأنها
تتعقب مخلوقات هاربة .
وتبتلع كل ما يعترضها
وتمد أيديها المتسخة إلى الليل البهيم
وفى دنيا الصراع بطولها وعرضها ،
لم يبق شىء دون اضطراب .
وظل : هو والظلام وصوت البحر
وشعلة خافتة تختلس النظر إليه
ولأن هذه الشعلة لاتدوم
فقد تحير يقضم أظافره حسرة ،
والدنيا تبدو لعينيه أكثر قبحا .
قارب متحير ، جسم يعتلى الموج
كقنديل أزرق سقط فى مجمرة
كل شىء يروح ويغدو ، قد بلغ الأوج
إلا أمله ، ظل كما هو

كما كان فى المكان والحدث نفسهما

وعلى أمواج البحر العبوس
ذلك الجسد الهائل المجنون ،
يتخيل كل لحظة شيئا .
وأشكاله المخيفة تبدو للعين

وهو يسوق القارب بهدوء أكثر .

يرهقه قلبه بالمشقة والجدل
ويجعله التعب فى حال أخرى .
وفى تصارع المتاعب والاضطراب ،
يمد يده ثانية إلى مريضه الحزين

ويمسكه بقبضته الباردة .

وينقله برفق إلى مكان آخر
وتحتار عيناه وقد تسمرتا عليه
ورغم أنه قد أواه إلى ركن ،
فإن الشمعة تنطفئ وتفنى :

ويبقى محروما من الضياء ، مثل قلبى .

١٩٢٦م

* * * *

فى مقدمة قاربه

فى مقدمة قاربه يبقى النوتى مفكرا
يصيح دوما من مشقة السفر فى البحر :
(لو يفتح تصارع الموج لى طريقا نحو الساحل ..)
واشتد هيجان البحر
ولا صبر عند النوتى
ليلة حافلة بالأحداث . مثيرة .
لكن النوتى يقف على الساحل مفكرا
يصيح وقد نفد صبره أكثر :
(ليتنى أجد طريقا لأعود للبحر العظيم ..)

١٩٥٦م

* * * *

حقلى

أجدب حقلى

بجوار حقل الجار

مع أنهم يقولون : (على الساحل القريب

يبكى محزونون كثيرون .)

يا رسول أيام الغيم ، أيها الضفدع(*) ، متى تهطل الأمطار ؟

على البساط الذى ليس ببساط

داخل كومتى المظلمة حيث لاذرة من رونق

وجدار أضلاع الناى المعلق على حائط غرفتى يكاد ينفجر من جفافه

- مثل قلوب المحبين عند هجر أحبابهم -

يارسول أيام الغيم ، أيها الضفدع ، متى تهطل الأمطار ؟

١٩٥٢م

* * * *

(*) يُعتقد أن نقيق الضفدع بشير بقرب هطول المطر .

أعلى الأدخنة ...

أعلى الأدخنة المتصاعدة من الزروع المحترقة

ومن قلب الليل ،

عاد بشير يوم الأمطار يغنى .

والسماء مطلية بالسحب .

السماء مطلية بالسحب .

تزداد ،

تحمل ، تأتى بها ، وأسنان كل ضحكة لها تولد أسطورة ،

ولاجدوى قط لصرخة المستغيث فيها .

السماء مطلية بالسحب .

تأخذ ، تجرى ، تحرك فى قلبها صورة من حلم الإعصار متى حان وقته ،

ولا تقلل من عدد لحظاته

ولن تزيده لحظة واحدة .

لكن بشير يوم الأمطار لا يهتم .

فأعلى الأدخنة المتصاعدة من الزروع المحترقة ،

مازال بشير يوم الأمطار يغني .

١٩٤٩م

* * * *

الحداد

فى مكان ضيق ، مع كوره ، الحداد الضعيف

يده على المطرقة

بأمر عروقه

دائماً صيحته ، وصيحة كدُه :

(متى بيدى

يسخن حديدى

وأراه لينا ؟

أيها الحديد الشديد !

لتتمدد ، وتتبسط ، وتنفلق ، ولتصنع حياة كما أتخيل !)

كم هى عجيبة ولذيذة ، الحياة !

وما أكرم الحياة لحظة بحرية ،

والرغبة دون خوف ، والحديث عن الرغبة دون خوف ، إنها السعادة !

مادام العدو يخشاه

فلن يصنع سيفًا .

وحين لا يخشى صانع سيوف ،

فمن استغاثات المقيدين

سيصلح مفاتيح أقفال السلاسل الصدأة . . .

وفى ما صنع بيده

يضع ذلك الحداد

أيدى الناس محل يده .

وبهذه الطريقة ، يمد يده إليهم .

ومهما كان مايصنع ،

فهو ، بيده يصنع الأدوات العظيمة

وهو يجلو الحياة .

١٩٥٢م

* * * *

الهادى

هاج البحر الهائل
وأيقظ الصوت الخفى
فى آذان الروح
بحرا لاساحل له .

أفكار آذانك
والآذان المليئة بالأفكار البعيدة
تقترن وتتحد أصواتها
مع الخبر الآتى من هيبة البحر المعتم .

بعُد به الطريق وأخَّره طول السفر
وها قد جاء منه الخبر
كل لحظة ، خيال ، يسلبه النوم
من الأعماق
يسلبه الخيال النوم ،
ويطيِّره للآفاق .

لكن الآن حمله الطريق
وتقدم به
وإلى كل باب وطريق ،
وإن كان مغلقا
سيأتى بالخبر اليقين .

أيها البرىء !
هو سيأتى
ومعه ، تجمد الشر .
فى مقبرة آذانه ، قُهرت . ماتت
الكلمات التى كانت تهدده
إلى الأبد .
ومن بلغوا بمركبه الساحل
سيحطمون
كل جدار يحول دون الساحل .

هو سيأتى
ومن الطلاسم التى كانت ،

سيجلو كل نقش
لا فائدة منه ،
وتلك النظرات الميتة
فى يأس السجن المظلم للعيون ،
ستحيا بأنفاسه
والأكتاف العارية ، بجروحها
لاستقباله ،
ستنهض
وستزين
ذاك المسافر منذ زمن
دون زينة .

هو سيأتى
دون أعداء ، لم يحققوا شيئا
حين كانوا أصدقاء ،
مع أصدقاء ، كانوا يحتالون
كالأعداء .
بفوران يفوق

كل أسطورة .

بإرادة يصعب كسرها ،

كصلابة العظام .

بصوت شق عروق البحر ،

كخيال يقظة مفاجئ .

هاج البحر الهائل

وأيقظ الصوت الخفى

فى آذان الروح

بحرا لاساحل له .

١٩٥٠م

* * * *

نطفة الأيام

كل فى شأنه
الياسمين تلف ساقها العريان
على جسد الجدار العتيق .
والجدار المشقق
يبدو جدارا .
وشيطانى الوجه
يجلب الظلمة على الظلمة
ويعقِّدها .
يقول اليأس : لا سبيل
يقول الخوف : انهض ، لكن
نطفة الأيام
فى مكمنها
تضحك من الجميع .

* * * *

منهمكة فى عملها
كشيطان

والجدار العتيق

عليه ساق الياسمين العارى .

* * * *

الكل يختلط

الدنى يعلو

والعلى يدنو

وهى ، من مكمنها

تخلط كل الأشياء .

* * * *

يقول اليأس : لا سبيل

يقول الخوف : انهض

حتى لاتختلط العروق والجلود

لكن فى ضحكتها التى تشبه الصباح

فتجعل القلب يموج كالبحر ،

وبوعى كامل

تضحك من الجميع

نطفة الأيام

في مكمنها .

١٩٥٠م

* * * *

غن معي يارفيق السفر

الطريق المظلم يصارع قدمىً
فى الطريق الموحل ، كل لحظة ، تصطدم قدمىً
بالماء القذر ، وبالأحجار .
لكنى أسلك طريقى ، وعينى على قدمي .
مادامت الدنيا تنبض بالحياة ، يمضى كل فى طريقه ،
والعقاب العجوز أيضا ثملة مستغرقة فى تأملها .
تجاوز الليل منتصفه ، ورفع ديك القرية عقيرته ،
لماذا أتخلى عن طريقى
غن معي يارفيق السفر !

فى مطلع الصباح تنادى هذه القافلة المتعبة ،
أنىً تصل البضائع إلى مستقرها
من المفيق ، من اليقظ ، ومن المريض ؟
لا أحد يعرف فى هذا الليل البهيم .

لاتحمدني ، فأنا المتعب في هذا الخراب
وقد رأيت قطار القوافل
التي يحمل الصباح رسائلها ،
وكم سمعت أصوات أجراس العابرين
التي تحيا بالأمل ،
وتحمل عرائس جميلة على ظهور الخيل .
حينها كان كل شيء مثقلا بالنوم ،
حتى ديك الصباح لم يكن يؤذن
ومن هبوب الرياح ، ذبلت
كل الحدائق .
وشرير تحت الشجرة يحطم خلايا القرويين كلها
وأنت تعبر معي أيها الجار اليائس ، وتعي كل خبر
فغن معي يارفيق السفر !

إن رأيت من بعيد مصباحا مزينا لباب
فهو لحديقة غناء يفتحون بابها للناس..
ولو كان ماء البحر يموج ، فهل تنتظر
أن تصل سفينة يوما برا ؟

يحمل ظلام الليل أمل الصباح
الباسم ، وآلاف البسمات على وجوه الحزانى
الذين مات أملهم فى الحياة .
لاتألم ، ولا تأمل
عندك مريض يرفع رأسه ، فخذ بيده
وانظر ماذا يقول شهد شفتيه الباسمتين ،
ومن يبحث في الطريق
مضطربا حزينا
عن صحراء الصخور ، والصخور فى الصحراء .
ورغم أنه يبدو خافتا
فمصباح الصباح يشتعل بعيدا ، أراه
فغن معي يارفيق السفر !

إنهم يريقون سحر هذا الليل المظلم .
وهنا ، على هذا الجدار ، سيقيمون جدارا آخر .
يضيفون ولاينقصون .
من يضحك لنا
ووحده عينه على الطريق ليلا ،

قد جعل قلبه فى عينيه حبا لنا .
من عقد أوتار العود من جلد طائر الطرب ،
حتى لايقول أحد إن وترا قد انقطع .
فلأجل من هؤلاء إن لم يكونوا من أجلنا ؟
مصباح الأحبة يشتعل هناك . أراه جيدا

مازال ذاك الشمع يضىء ويسكب الدموع
ومازالت شجرة التفاح اللذيذ ، أعرفها
فضع قدميك على أثر قدمى ، ولاتعرج
ولاتعد أدراجك
وغن معى يارفيق السفر !

١٩٤٥م

* * * *

نـاده

انشق جيب السحر من صوته ، فالديك
يؤذن .
وعلى القدم العجيبة المسرعة لصوته ، ركب
وإلى أماكن بعيدة ،
انطلق .
صوب الوديان التى فى أحضان الجبال
تنام وهى تأمل فى صباح مشرق .
صوب كل خرب وعامر
وكل صحراء وسفح
فناده !
قد استغرق فى النوم
هذا النائم الأشل ،
فى انتظار
يوم الفرج السعيد .
أوصاله تجمدت

من كثرة مانام .

ومن كثرة مانام ،

أخشى ألا ينهض من ارتخاء جسده

فناده !

رحلت قافلة القرية ، ولمدة

كانت العروس قد وقفت بثوبها الأبيض .

فى وداعة

تقبع القرية تحت الأشجار . وجدار الطريق

قد شكلته أجساد النساء ،

وأجساد الرجال

والأجساد العارية

والأجساد ذات الأسمال البالية ،

وقد جعل السرور الجميع فى حركة .

وصاروا صفا واحدا

ينتزع كل صوت مهزوم من فم .

فناده !

حين وصل

وهو يعدو

لم يجد أحدا فى القلعة .

وإلى ركن

مضى ليستريح ،

دامى القدمين متعب الجسد

كأن الرغبة فى الحياة ،

قد فارقت نفسه يأسا

وهو الآن متعب لايقدر على حرب .

فناده !

استدرج ذئب قطيعا

وهبط به الجبل

مضمرا له الشر ،

كمن عقد أملا على حجر

(وكل شيء يشكل

أركانا ظاهرة لمعركة)

حتى رأى ديكا

يؤذن

وصوته مثل قرع على قطعة صلب

فناده !

١٩٤٦م

* * * *

نحو المدينة الصامتة

المدينة ، منذ أمد تغط فى نوم عميق

(مدينة الصمت

مدينة المنكوبين)

ولا صوت فيها

ولا نفس .

ومنسى مع هدفه المهمل

يشبه ميتا ،

ولاحراك بالجسد

ملقى على جسده النحيل

ثوب .

لكن القافلة التى

أتت لترشد وتذكر ،

أتت لئلا

يكون بالمدينة

من يتخلف ،

بل يمضى قدما

وإن يتنفس إنسان

عبثا ،

أو لا يتأتى

من ميت نفس

فصوب المدينة الصامتة

يدق جرس

نحو تلك الصامتة

تشق القافلة طريقها

حتى تبيع بضاعتها

وتشترى منها ،

صوتها يقصِّر الطريق ، يتراقص من بعيد

(كرسالة لكوكبة أنفاس الصبح الأبلج)

تفتح بعطاء وفير

كنز الأمل فى قلبه .

يغنى الجميع لحن يوم الفتح

ويردده الطريق .

وتحمله مياه النهر ،
فتدخله من جبل لجبل ،
وتخرجه من حجر لحجر .
فإن يمض كثير من الليل
أو لا يمضى

فصوب المدينة الصامتة
يدق جرس .

المدينة فى القيود
بابها مغلق عبثا
وحراسها بعيونهم المخيفة ،
على الأسوار
يجعلون النائمين
أسرى الخوف والهلع ،
تشتعل مصابيحهم عبثا
بضعة حيارى عبثا
بضعة يائسين عبثا
وصوته الجميل يبث النبأ ،
فيوقظ

من كان نائماً

ويوحى إليهم

أن يمسك أحدهم ، بخفة ومهارة

بيد الآخر .

حين يجعل الفقر الجسد خاليا من اللحم

والموت بابتسامة نصره

يظل منافسا ،

والعذاب بعناده الأسود (مثل سجونه السوداء)

يضغط بأسنانه دوما .

والطمع ، بجشعه أعمى كل العيون ،

كأن أكل حقوق الغير قد أصم الأذان ،

وسوّد وجه الدنيا .

والمفسدون مقبولون ،

(لمنفعتهم بأجساد متخمة)

قد اصطفوا .

والمنقذون مرفوضون

(لمنفعة الآخرين)

قد هبوا للعون والخبز فى أيديهم .
والمنحرفون ،
(سكتوا عن الشهادة) لنوم الآخرين
مثل أخرس صار أُذنا لألفاظ خادعة
والعاهرات
قد تزيّن خفية ،
برزق من يحترقون بحر الكدح .
يرتبطن برجال ،
من الحرارة المسلوبة من هزيلى الأجساد
تشتعل وجوههم .
ولكى يجعلوا من قاماتهم الجهنمية المحترقة القصيرة
قامة كالجدار، يقلدون
الحمقى .
ولكى لاتطول قامة كالجدار ،
يسعى السفهاء
ليعيبوا القامات الطويلة .
والطعانون سليطو الألسنة
يتطاولون طمعًا فى النوال .

حينئذ ، هناك جرىء
يفكر فى أمر آخر .
مشغول بإنشاد نشيد اليقظة ،
يطوى الطريق .
ومن الأمل والنشيد
من كل ثغرة فى هذا الدخان الكثيف ،
تخطو (كما تظن)
نطفة الأيقاظ .
يداعب الروح
ويصير دافئا ،
يزين الوجه
وأجساد الأيقاظ
(ليس هوسا)
فصوب المدينة الصامتة
يدق جرس .
ثقلت المدينة بحملها
مثل سجين بارد فى سجن مغلق ،
رسخت فيها نطفة

نطفة يوم الجلاء .

صحت المدينة .
أفاقت المدينة .
تتحرك منها الأهداب
وترنو النظرات ،
صوب الدنيا .
جسدها فى تشنج
وأنفاسها فى اضطراب ،
تمر يدها بخفة
على جبينها المرفوع .
من صوت قدم
تنفرج شفتها
بقبلة للبعيد .

ترى حلما (وحلمها جميل)
أنه قد مرت عليها
ليال ثقيلة ، مثل جسد متجمد ،

وأن الأفق ينفتح
مثل سجن أسود على برزخ
والآن ، أمنيتها التى كانت قد شُلت
تتنفس مع زمزمة الصباح
تتلمس طريقا فى دنيا الأيقاظ
وفى الطريق ، فى كثافة الغبار
تفر الأرواح الكاذبة
(من رأسها حتى القدم)
التى خُدع بها قلب الضياء .
وقد وصلت ، مثقلة بالأحمال ، إلى باب المدينة
القافلة القادمة من بعيد .

وصوته الجميل (الرائع
كجدار السحر ،
يتراقص معه ضياء الصباح)
يزين
كل من كان يتمنى .
وعندئذ ، أيضًا

نهض واحد
ممن استيقظوا ،
يصيخ السمع
للأصوات القادمة .
والأيقاظ الآخرون ،
معه صامتون ،
فللباب والسقف والبناء فى هذا السجن ، عن كل بسمة
خبر .
وهو من أدناه إلى أقصاه أُذن .
وفى كل لحظة تمر دون ضوضاء ،
للقافلة ذكر على شفاه المدينة
كأن للقافلة رسالة ،
لإصلاح قلبها المتعب .
وكل من يبحث عن رفيق
فى هذا المكان الخفى ،
وإن يقلل الزيت
فى هذا المصباح الخافت ،
وإن يبقى أحد ضعيفا مرتبكا ،

فصوب المدينة الصامتة

يدق جرس .

تصل القافلة من طريق طويل .

والمدينة الشلاء (التى يبست عروقها من النوم الثقيل)

تستيقظ من نومها .

وستدرك يوما

أنها بعيون الآخرين العليلة ،

لن ترى ماينفعها أو يضرها .

وبعد النوم الذى ملأ قلبها غشا

(وسلب عروقها العقل

وكبدها الدم ،

ومواتها منه)

حل اليوم المبارك الذى

عرفت فيه العدو من الصديق .

وفى كل لحظة مضيئة ، يقظ

بيده شربة هنيئة ،

يغنى بحرارة .

يجرى

فيعود العقل إلى عروقه .

كطائر يثوب إلى رشده ، فيفلت بنفسه

من داخل قفصه ،

وصوب المدينة الصامتة

يدق جرس .

فى هذا الوقت الحرج ،

ومع ثقل الليل ،

الممل ، كأن الحجر فيه

يفر من الحجر ،

تتعلق القافلة بقلبه المتعب .

(المقيد كجسده)

يترصد بحماس الأمر فى الخارج .

هذا متخف ،

وذاك متحمس ،

ويده على نبضه ، يدقق الأمر فى الداخل .

يسأل عن الأحوال .

يبحث عن الطريق .

يأتى مسرعا .

يقول كلاما .

يداوى جرح قلبه

وينشد لتعمير خرائب كل متعب .

ينشق كل باب

عن أثر لجدار منهدم .

ضعيفا مفتتا ،

يتشقق الجسد .

وفى معركة القيامة هذه ،

يصل لنجدة المحترقين

صديق معين .

فصوب المدينة الصامتة

يدق جرس .

١٩٤٩م

* * * *

الناقوس(*)

في سكون السحر

صوت الناقوس المرتفع الساحر

قد شق بيدر الكون الرمادى .

ومن كل شق صنعه بجراحه ،

يمزق جدران السحر الباردة

كل لحظة .

والسحاب يشبه طائراً

يطير حراً

في الفضاء الساكن للمستنقعات البعيدة .

يطير كل لحظة بالحقيقة ،

التى تصاحب طنينه .

متخفياً مع طنينه فى حقيقة أخرى

(*) يصب الشاعر كل أمانيه وآمال قومه فى الخلاص من مختلف أنواع الظلم والقهر فى رمز (الناقوس) الذى بنى عليه مقطوعة شعرية طويلة تشغل نصف مجموعته الشعرية التى تحمل نفس الاسم ، ويتردد صوت دقاته فى بداية كل مقطع منها فينسج فكرة متكاملة للشاعر تنتهى بنهاية المقطع . ويظل (الناقوس) بعد ذلك هو المحور الوحيد والرمز الحى الذى تنطلق منه الدفقات الشعورية فى كل المقاطع .

تنبعث من هذا الطنين .
ترن ترن .. أى صوت
أيها الناقوس !
من مات ؟ من بقى؟
لطالما جثم الظل على الماء
فولد آلاف الأحداث الجسام ،
ولم يفق هذا النائم بعد من سباته .
لكن خبرني .. ماذا حدث الآن ؟
فلم يعد أحد من النائمين يغط فى النوم ،
وأسواق المسلمين الرائجة ،
هل صارت إلى كساد ؟
أم أن جموع القرويين الضعفاء .
قد امتلأوا ألما ؟
أم أن جسداً سمينا لسفاح
قد سقط من أعلى قصره فاختلط بدمائنا ؟
أم أن قصر(الكرجى)
قد صار طعما لألسنة النار ؟
أم أن عدوا لدودا ،

يمضى صوب مدينتنا
أم أن صباحاً باسم الثغر
ينبعث من الليل الحائل .
(الذى يندفع الهول
باكيا منه إلى الطريق) ؟
أم أنه ليل
يفر من الصباح
صوب هذه الصحراء الشاسعة ؟

ترن ترن ... ما الخبر ؟
من يعبر ؟
ومن الشمع المحترق فى الدهليز
أى لص
قد أفاد ؟
وعن أى مأتم أو أى عرس يدور الحديث ؟
أيها الناقوس !
من ظل سعيداً ، ومن المحزون ؟

الناقوس الرقيق
بث الدفء برقته فى قلب السحر البارد
وينساب صوته فى كل ناحية .
صوب المرتفعات التى تعرفها ،
والمنخفضات التى تألفها ،
يتسلل إلى ثقوب خراباتنا المظلمة ،
ويؤثر فى كل مكان انطفأ فيه نور مصباح ،
أو خفت ضوؤه .
و يشرح كيف ضاع النهار والزمان البهى ،
فى ضباب ليلة باردة
وقد ذهل عن عقله بكل جوارحه .
وكل نغمة تصدر عنه ،
وتنطق بلذة السعادة
فهو ينشدها .
وهو بصوته الدافئ ،
يسوق إلى الجميع حديثه .
ليؤلف بين
القلوب المتعبة.

وشيئًا فشيئًا يسلب الكادحين قلوبهم والعقول .

وفى أعماقهم

تتنفس الريح بقوة صوته الساحر .

حتى لا يظلوا غافلين

ولا يبالغوا فى يأس عقيم .

وينساب فى سُداة نسيج الأمة ولُحمتها

وبكل همسة رقيقة منه ،

يفسر سرا خفيا .

ومن كل صوت له ،

ذاعت تلك الحقيقة :

إن هذا الجهاز البالى

يتغير .

ترن ترن .. لحظة بلحظة

طريق إلى الحياة

من مطلع الوجود

إلى حيث العدم .

وإن يضحك مؤيد مثل النار ،

أو يتشدد معارض كقبر بارد ،

فإن الطريق ينفتح من نطفة قد نمت

وتبدأ منه حكاية أخرى .

وينهار فيه الجدار واهى الأساس ،

ويتغير بسببه كل شيء

وبسببه تتضح رقع

هذا النظام البالى ومزقه .

وشديد الجهل من

لا يصدق هذه الحقيقة لجهله .

ترن ترن ... ولا شك

أن الأكثر جهلا

قد ضموا مآسيهم إلى القافلة .

ومن الخوف ، يشحذون سيوف العدو

ويتظاهر هؤلاء الأدنياء بأنهم يتعففون

بينما يحرقون فى قلب الليل البارد ،

قبورهم التى كانوا قد عمروها بأيديهم

عبثا .

وقد سمروا عيون آمالهم
على السهو .
ومزجوها بالموت
وأهدروا ما ينفعهم
وما ينفع الآخرين هباء .
وهم يصمدون للريح – حين تهب– حينا ،
وحينا لا يصمدون .
ولا يفكرون إلا فى أنفسهم ،
حتى تتحقق رغباتهم .
ويبدون أمام الصديق
كأصدقاء مخلصين ، وفى الحقيقة :
هم أعداء منافقون ، يُزيدون
مشاقًا فوق مشاق .

(هو) قائم فى عالم الأحياء . ولكن
هناك أمر آخر
فمن كل خبر يأتى ، يولد خبر آخر .
يضيف إلى خطه ـ الذى يشبه

الطلاسم بين الخطوط المنتظمة ـ
ما يقرأ اليوم .
وهذه الكلمات منه ،
آذان فى العين
وعيون فى الأذن
تُسمع غدا .

ترن ترن ! ترن ترن !
ارتفع هذا الصوت الوليد إلى جنبات الفلك
ومن طرف خفى ، تناقل الجميع هذا الخبر .
أنصتوا جيدا
لهذا الصوت
فنغماته المتراقصة
قد انسابت
ومن اليوم الآتى
وعن اليوم الآتى
يمحو الشك
ويجدد الأمل ،

وعلى فراش التراب
قد قيد المخادع
بطيات التراب .
ومع صوته ،
يحمل أسراراً كثيرة
وفى كل منها ،
كثير لم يقل ، فكن بروحك
باحثا عن ذلك الخفى ،
الذى صار معلوما فى عالم الأحياء
وأرشد إلى نواميس ،
تهدى الناس للخير والسلامة
وتكلم كثيراً ،
ليرفع الحجب عن المبهمات .
ولكنه لم ينبس بحرف
مع أنه مخلوق فى هذا السبيل !
ومعمل المجرمين
مفتوح هكذا
ومما قالوه ، أو لم يقولوه ،

ومن كل ألم باد لجماعة ،
تتضح حقيقة لا خلاف عليها
وهى أن الإنسان ما لم يجل عن قلبه
صدأ الأفكار الخاوية
فلن يكون جديراً بنيل ما يحتاج ،
وهيهات أن ينفتح باب
في وجوهنا عبثًا .
ودون الجهد الواجب ، والتحايل الكائن
فلن يتحرر الطائر الأسير من القيد
أما المسيء المخادع ،
فلن يكف عن السوء والوعظ .

ترن ترن .. في مسيرة الصحراء ،
في مقابر العيون ،
مع تلك النظرات الميتة كلها ؛
في السجون التى اكتست بلون الليل
مع النائمين عراة ضعفاء ،
في السراديب تحت الأرض (حيث

تنسج أنفاس المستغرقين فى النوم قصة مع الموت)
فى احتدام الصراع بين العاجز والقوى .
فى معبر شهوات الأشرار القبيحة ،
فى الخرابات الخالية المهجورة (التى يتعلم
فيها الفقر المقهور شريعة النهب)
فى الأحلام الشيطانية التي
اعتاد عليها السفاحون ،
حيثما كان معدم
يرجو ثمرة ،
أو كان مضطرب القلب ملتاعا
قد سقط أو أُثقل بالجراح ،
فإنه يسرى ،
وينبه ،
ويثير .
ومن رنينه المتلاحق
يستيقظ
المستغرقون فى النوم
ويفيق

الغارقون فى الموت .

سوف تمطر فى إثر سحابه المشبع بالمعاناة
(من آهاتنا)
أمطار مضيئة .
تشبه البرد
والقصص المفعمة بالحزن ،
سوف تتحول . .
إلى قصص للغضب .
وسوف يحل زمان تشب
فيه النار فى قصر الأهوال وتضطرم ،
وتحمل فيه يد حديدية ،
جرحى المعركة
برغشة المحبة .
وتتحول الزروع المحترقة ،
إلى رياض ندية .
وما كان أمنية للأجيال ،
سوف يكون قرة لعيون الناس .

والنار التى تبحث فيها
الأجسام الباردة عن الدفء ،
سوف تكون دفئًا للدنيا .

ترن ترن ! بلغ الباب .
ذلك الصوت الساحر
من منزل السحر
ليطفىء
القناديل فى خلاء منازل الموت الحزينة .
ارتفع هذا النداء ،
حتى يرتعش أساس البلاء
من هوله .
ويلقى بماء الجسد الآسن فى العفن
ويتحرر القلب وينتعش .
وفى القافلة المتعبة ،
لا ينسج ذاك المحتال بعد
أسطورة الخداع لمنفعته .

وتعمق ذلك النداء .

ومن كل جدار فى المدينة

ارتفع قائلا : أيها الرفيق !

حتى يشعل الجار

مصباحه الخامد ،

ويتدفق الدم فى عروقه

بعد أن كان مجمدا من الألم .

حتى تستطيع شفتاه

أن تنفرجا عن بسمة ،

على النعوش الباقية من تلك النقوش الماضية .

ترن ترن . . د فعة واحدة .

من الميمنة ،

إلى الميسرة ،

تمزق ذلك النسيج .

وأهريمن الشرير

صب أسفه وأضاعه .

فقد انطوت

وانقلبت

وتفككت

دعائم الخرافة المتهالكة ،

والألفاظ المتناقضة

والمعانى الزائفة للشرائع

وعيوبهم (التى كانوا

يبدونها كفضائل) ،

ومنافعهم(التى كانت

عين الضرر) ،

نُسخت

ورفُضت

ورُدت

الرياح التى كانت تُطفأ

بسببها مصابيح الناس ،

والطرق التى شُنت

فيها الغارات على حدائق الناس .

ترن ترن . .في سرعة

ومع كل إبطاء

تكمن بشارات كثيرة

وبأنفاسه الرقيقة

فإن ذلك الناقوس الخبير بالسحر

لا يحمل فى توهجه الخفى ، عبثاً .

ولا يحمل مع قصته ،

سوى الخير للبشر .

ومع لطائف أخبار صباحه الباسم

(التى تفتحت معها آلاف النقوش

ومحت اللون الأسود من دمائنا)

يُدون على هذه الصحيفة ،

خطا مختلفاً .

وهذه الكلمات من أرغنون ألحانه

تقول :

تُصلح تلك الجميلة فى جلوتها ،

سلاسلا مصنوعة من الحديد ،

وهى فى غاية الشوق .

ترن ترن ... باردا وحارا

طوى الطريق نحونا ،

وأضفى صفاء وهدوءا ،

ودبر كما يحلو له

(فلا يتطرق التقصير

والفشل قط إلى عمله)

مقتفيا أثر منافسه ،

ضامنًا تحقيق آمال الناس ،

في معركة حياته .

ونظرته الثاقبة ،

رفيقة سفره

تتباطأ في نقاط حافلة بالحركة ،

ومع كل إبطاءْ يعلم الكسل ،

تتضح في كل لحظة جدوى الهجوم .

جدوى الهجوم ،

الهروب من الشر

والتواءم مع الخير .

وسوف ينكشف لنا ،
ما رسم في بيوتنا من صور خادعة .
وعندئذ ستوضع القيود ،
في مواجهة الشيطان .
ومن أجل الحياة ،
سينصب الميزان (كما ينبغي) .
فكل نغمة خفية له تقول :
(لابد من التفكير فيما يجب أن يكون)

ترن ترن . . . في تأمل الحياة الكائنة ،
هذا هو الطريق إلى يوم الخلاص .
ومعه المفتاح الهادي للصباح ،
وبه ينتهي الليل الأسود .
وهذا حساب يليق بالحياة ،
قد اقترن بأداة يوم العمل ،
واستمد روحه من رؤية الشباب .
ودون ريب ، فإن كل ما يشرحه الناقوس
كلمات جديرة بالإنصات :

(لا قيمة للعمر القصير
إن لم يثمر خيراً
للبشر .
ولا ينبغى نفع الآلاف
مع ضرر القلة
وإن لم يرغبوا .)

ترن ترن ....هكذا
أصدر الناقوس طنيناً بصوته ،
وأتى بالخبر
عن الصبح الجديد ،
من أركان جيب السحر .
وهو يصور
بشائر العالم الجديد .
ومع كل صوت له ،
يبحث فى الطريق (حين يبحث معك)
ويهمس لك بهذه الحقيقة الخفية :
" تصلح تلك الجميلة فى جلوتها ،

سلاسلا مصنوعة من حديد ،

وهى فى غاية الشوق . "

١٩٤٤م

* * * *

الجميلات

عند الغروب القاتم ، ومع دوران المياه ،
تنساب موجة قلقة بعد أخرى ،
وبسبب هروب البحر ، أسرع كل شيء
مطلا برأسه من مكمنه .
ولم يبق شيء سيئ ، لكن
صار الشاطيء الرحب حزينا .
وعلى جسر المسرعين إلى البحر ،
جلست الجميلات حزينات .
والشيطان أيضاً من طول انتظاره للأمواج
قد خرج من الماء .
وانطلق خياله الحائر
فاقترب خلسة ،
من الجميلات
يتحدث معهن ،
عن هدفه في الدنيا .

أنا واحد من هؤلاء

المسرعين إلى البحر

خرجت أملا فيكن

أيتها الجميلات سالبات الألباب ، ملائكيات الوجوه

بشعوركن الذهبية ، وأجسادكن الفضية

وعيونكن الواسعة الساحرة .

ولاشأن لى بهوس هؤلاء

المسرعين عبثا ، بعد .

فما فائدة هذا الهوس ، الذى يشبه بقعة من ظلام الليل

علقت بصدر السحر المشرق ،

ليظلم فى عيون البشر

لون كل لحظة ؟

وحين يحل الصباح ببسمة على شفتيه ،

يصير هذا الهوس

مجلبة للعار .

ولكن حين ألقى البحر

بكنزه العتيق ،

ليفيد منه الجميع ،

سعد كل كائن أينما كان ،

حتى السمكة بين الأمواج المظلمة

يكسو جسدها الياقوت .

حين قال ذاك الطريد هذا الكلام

ركب قمم الأمواج المزمجرة

مثل عصفور طار من برودة الموج

ثم عاد ،

وتصاعد صوته ،

أكثر وضوحا .

كم أخرج من جواهر من البحر ،

وكم من الكنوز

من كد الجنيات

اللاتى يسكن قاع البحر ،

ومن صنع أيدى

مئات الرجال والفنانين ،

قد أُعدً .

يا قمريات الوجوه ،
من حلقات سلاسل البسمات
التى تفتحت وتدفقت على كنز الشفاه الجميلة ،
ومن لون الأمانى البعيدة
العتيق مثلهن ،
أنتزع اللون الأسود
الأكثر عتمة من هذه الليلة
الآتية من بعيد ،
وأغرس فى قلبها صباحا
وبظفرى اللامع فى إصبعى البللورى ،
أحرك الشمس المشرقة .

ها ! صدقا ما قلت .
سفينة البضائع التى وصلت من بعيد ،
تحفل بأنواع المأكولات الكثيرة !
وعطر زهرة الليل الصحراوية هذا ،
قد عبق فى أنف السحر البارد .
والكنز العتيق فى قاع البحر ،

قد تعلق بالأمواج السريعة .
وقد ركبه
رجل قلق .
لتبدو بعد ذلك أكثرجمالا ، شجرة البلوط
فى الغابة .
وقبع حزينا القارب
على الساحل اليابس ،
لا يركبه أحد قط
ليجريه على الماء من جديد .
فيأتى إلى الأماكن الباردة فى ذلك الساحل البعيد
حيث الجميلات بأجسادهن المستورة ،
ينتظرن نداء الرياح العاصفة
الهابط من أعلى الجبال الشامخة .

آه !
احترق منى القلب
حزنًا على المنتظرين
للصباح ، لكنه اختفى .

ها قد عثرت على بقية من الصبح المشرق
على جبين نجم بارد ،
فتلاشى الشر من صدرى
فصدقونى ، إننى لأمثالكن
أيتها الحسناوات القابعات فى وحدة ،
خير معين .
هذه زهرة جميلة متفتحة
نامت دهرا فى دعة .
ومن حنثوا بعهودهم ،
ألن يأتلفوا ثانية ؟
ألا ينبلج الضياء
من ظلمة الحزن
بمشقة بالغة ؟

ثم ألقى القارب فى الماء
شرير القلب ذاك ، وبسمته على الشفاه ،
وركبته الحسناوات للجواب .
فساق حديثه هامساً :

هل كذب أن الفاكهة حين تجف
تسقط على الأرض ؟
لقد جف خيالى من سوء فعلى
وها أنا أسقط على الأرض كالمرضى !
وتسيل دموعى أمطارا
وها أنا وأنتم قد صرنا أصدقاء
فلكم أمنح
مفتاح كنوز البحر ،
وعلى كل جميل ، أينما كان
عقدت عقدة تُحل
بأناملكن ؛ وتطال قدرتكن
أعماق البحار
وأعالى الفضاء ،
أفلا يخفف هذا من أحزانكم ؟
أجيبونى : أيجوز
القلق من بقعة ألم
خاطتها يد الظلام فى ليلة باردة ؟
ألا تؤدى الظلمة

أمرا ما للدنيا أيضا ؟
وهذه الحياة حين تكون
كالسحر دوما ، ألايكون
على وجهها بقعة ظلام ؟
يامن تسكنون البحار
اسألوا هاتيك الحسناوات ،
أن يشققن قلب الأمواج
التى غطت كل مكان ،
فغيرت الأشكال
لتُبدى لهن
أسرار العالم .

لكن واحدة من تلك الجميلات لم تحرك ساكنا ،
وفكر ذاك الطريد
لم يؤثر فيهن .
وكما كان شأنهن الغناء دوما ،
ومع أن حركة الأمواج ضعفت
فقد أخذن فى الغناء بأصواتهن الحزينة .

وعلت أصواتهن الحزينة
فركبت الأمواج ،
ودارت معها إلى بعيد
وهناك ، ككل شخص ، كان الشيطان
يسرع بقاربه ليشق
الأمواج بيسر .

ومع ضربات مجدافه ،
كانت الأصوات الحزينة
تبلغ أذنه واضحة .
كنوز قاع البحر فى كفه ،
وبالأخرى يقود القارب :
وفى قلب الليل همهمة عميقة ،
لايعرفن عنها شيئا
إذ دق ناقوس الفراق .
وبسط طائر أبيض جناحيه ،
وحلق خفيفا كالهواء

ومر بطيئا فوق رأسه .

وذاك الطريد ، يقول لنفسه :
كنوز هذه الدنيا
لاتسعد قلوب وحيدات ساحل البحر .
وهن لايتخلين
عن غنائهن الحزين .
وعلى ساحل ساكن ، حط
على جسره غراب ،
أو نبتت شجرة بلوط وحيدة
فهناك يبدو كل شيء متعبا ،
وهن متشبثات بغنائهن ،
فكل الجميلات
يغنين غناء مختلفا .

١٩٤٠م

* * * *

أبـى

فى الصباح ، ومن فرحة ابتسامة ودودة
أقفز من فراشى .
الجميع نيام مستريحون ،
ولكن الحزن دق بابى .

أفتح الباب بحذر ،
للنسيم العليل .
المداوى للعلل .

أنا وذاك النسيم
نتعانق
كلانا ثمل ، إلا أننى نار ،
وهو بارد هادئ .

عبر من قلب سحاب أسود
أعلى قمم جبال بيضاء .
ونهضت أنا من بين

أفكار حزينة .

أقبل أيها الضيف ، فأنا تعب
أيها النسيم ، أيها الشارد فى الآفاق
أنت وحيد مثلى ، لكنك
تعبر بلغة أخرى .

هو ، كان مثلك نشوان حرا
سعيدا فى سفوح الجبال .
مثلك كان بعيدا عن الجميع ،
يسير حرا فى كل اتجاه .

هو كان مثلك رشيقا
يهبط من قمة إلى سفح
ويسعى خلفه غلامان
وأى غلامين ، خفيفين شجاعين .
كان لنا القلب والأمل
حين يصل إلى القرية ، حبيبها ذاك

كان الليل مظلما ، والدنيا غارقة
في سكون مخيف .
في معابر الوادى والصحراء
كان كل شيء ساكنا ، عدا نيران الرعاة
والرياح تدور باردة تزمجر ،
والقرية تنصت لزمجرتها .

كنت أرى رجلا مسلحا
شاربه مدلى ، بيده عصا
وأثر بسمة على وجهه دوما
حين يأتى إلينا متعبا .

تقفز أمى لتشعل المصباح ،
فيبدو ظل كأنه فى قطران
قد قيد فرس ، أو فى الحديقة
قد انهار جدار .
يظل يقظا حتى الصباح
يتحدث عن الكدح ،

ونحن نتحلق حوله

ويديم النظر لوجوهنا .

يسأل عن حال كل منا

يفترش الأرض كالأبطال

ودود مع الناس جميعا

لطيف المعشر حلو الحديث ،

هو مثلك سريع المرور

ذهب وتركنى حزينا عليه .

اختفى وسافر خفيفا ،

وأموت حزنا عليه .

لكن عينى على الطريق

أبحث عنه دوما ،

حتى تأتينى أنت متعبا ،

فأقول لقلبى المتعب :

ليته أتى . من هذه النافذة ،

أناديه من بعيد : أقبل

وأقول لعالية زوجتى :

(قد جاء أبى فافتحى الباب) .

١٩٣٩م

* * * *

من عمارة أبي

الاسم هو ماتبقى من عمارة أبى
طرفها الشمالى : دهليز
وطرفها الجنوبى يؤدى للباب
طرفها الخارجى : الحظيرة
والبوم ، هو ساكنها الآن
ولوح على مدخلها ، كباب

باب مفتوح ودار معتمة ،
وأحيانا يضاء مصباح فى غرفة
فيها رجل ملقى فى الفراش .

محنية رأسه فوق كتاب
يجلس القرفصاء ،
تدور يده فوق المكتب .

الليل والظلام ومصباح ذاك الرجل

تمازجوا ، فصنعوا

على المكتب ، عمارة أخرى .

خطت يده على ورقة :

الاسم ، هو ما بقي من عمارة أبى

جسدها بلا روح ، كجسدى .

١٩٤٦م

* * * *

إلى الملكة(*)

بقلب حزين من دار الخراب هذى
سرت أخيرا إلى مدينة الأحبة ....

أيتها السحب القاتمة : اجعلى وجوه
الوديان ، مأوى الصامتين الخفى ،
أكثر إظلاما .

إن يكن نهارا ، فاجعليه ليلا
هيا ، سوديه بآلاف الظلمات
التى تعرفينها .
حتى لايظن من يسلكون الطريق متتابعين (مثل صف من طيور
اللقلق صوب جهة واحدة)

(*) كانت ثنائية القرية والمدينة تشكل قسما كبيرا من إبداعات شعراء العصر الحديث ، وكثيرا ما أبدى " نيما " نفوره الشديد من الحياة فى المدينة وعذابه بسبب اضطراره إلى الرحيل إليها لقضاء مصالحه . وهنا تتصارع فى نفسه الأفكار والمشاعر بين البقاء فى قريته والرحيل إلى المدينة ، بل إنه يشكو الإحساس بالاغتراب حتى بين معارفه والمقربين منه .

أن التعب لن يدق عظام أجسادهم مثل مطارق الحدادين القوية .

أيتـهـا الرياح : يا من تثـيـرين على الكون عـواصف الصـحـارى وأعـاصـيـر البحار المخيفة ،

لتثيرى أعاصير مزمجرة هائلة ،

ولتفجرى الأرض والسماء بالمياه

حتى لايبقى كائن مستقرا ، حتى السنجاب الصغير

وإن يلجأ إلى خفاء الغابات البعيدة ،

فلا يهدأ لحظة .حتى تمنعى من

يسيرون نحو مدينة الأحبة

بقلوب هائمة ،

من الوصول إلى منتصف الطريق

بل يضيعون كعصفور ضعيف فى إعصار .

ولكى أعرف الطريق إلى خلوة الأحباب

مع عابرى الصحارى وقائمى السحر ، سرت

فربما تشغلنى

أعاجيب قصصهم الساحرة

عن أهوال الطريق .
ومددت يدى إلى العازفين السعداء للرياح القريبة والبعيدة
الذين يبشرون بربيع مزدهر .
واستعنت بمن ينبع السرور من ألحانهم العذبة
ويضاعفون السعادة ،
لأشق جدار الصمت المريرفى الوديان .
وإن يجعلنى إعصار كهذا أشلاء ،
فبقوة صفاء قلبى ، أستطيع التخلص .
ولكى أستفسر عن الطريق من كل شخص ،
فقد اختلطت بأناس قلوبهم باردة ميتة
تجعل الإنسان يتجمد فى مكانه كالثلج .
وأحاديثهم الفجة السمجة
بسبب حمقهم وجهلهم وأنانيتهم ،
تذيب القلب وتُخرس أمل الحياة .
ولكن بما كان معى من سحر ، والتعاويذ
التى عقدتها أمى على ساعدى ،
تغلبت على تلك المصاعب .
وغبار تلك المتاعب الخفية

التى باتت حاضرة فى القلب والعيون ،
كنت أمحوها من خاطرى .
حتى لايظن هؤلاء أننى لست واحدا منهم ،
ويتحلقون حول بعضهم قائلين :
(هناك غرباء بيننا) فيؤذوننى .
حتى اعتدت على مابهم من سوء .

ومثل الأمواج التى تفر من الساحل ثم تعود إليه ،
أو سحابات متتابعة تتألق بالأضواء فى ليلة معتمة
وتعبر فوق أرض لازوردية ،
شققت طريقى .
وبدنيا من الألم الدفين ، أدركت أنه
لرؤية الأحباب ، لابد من معاناة الألم
والسير فى الطرق الوعرة ،
وامتلاك رأس فارغة منتفخة
مثل كرة متدحرجة أو قشة ،
لإقرار لها على صفحة البحر المائجة ،
حتى تعود إلى الساحل فى وقت ما .

ثم اقترب اليوم الرائع للقاء
وقبل أن ينقضى الشتاء البارد ،
كسا السفح من كل جانب
ربيع جديد كالحرير الأخضر .
والشقائق فى خلاء الجبل ،
حبست ضحكتها فى كأس قلبها الأحمر .
وجوار النباتات النضرة ، كانت الخضرة وفيرة .
وقد غادرت حياة آبائى الشيقة
وابتعدت عن هؤلاء الرعاة .
واضطررت لهجر مرحهم العذب ،
فزأرت تحتى أفاعى ثملة تثير الأعاصير .
وفى يدى سياط رياح عنيفة
تلح عليَّ بلحن الوصال كل لحظة ،
كأن سحرى يساندنى .
ووصلت إلى طريق ماسلكته طوال حياتى ،
حيث تنعدم إشارة لليل أو صباح مضىء ،
ولكل شأنه فى مكمنه .
والأيام الماضية ،

بلحظاتها الرائعة
مثل ناقوس عالى الصوت ،
كانت فى مقام الحبيب .
ونجم الصباح مثل فص من عقيق أصفر ،
كان يتألق فى كف السحر البارد .
لن أنسى قط تلك اللحظة الرقيقة
ففى الوديان المظلمة من السحب السائرة لاستقبال الصباح ،
كان كل ساكن يتحرك
والرعاة يسوقون قطعانهم على أنغام الدف والناى الهادئة .

والرجال والنساء ، من أصحاب الأراضى المجاورة ، لايدركون
ما ألمّ بى ،
وقفوا مذهولين
و خلسة ، بعيون حاسدة
ينظرون إلىَّ .
وأرواح الأشرار المدفونين تدور فى المكان
مثل أشجار (الكراد) تجلب الصداع عند الإزهار ،
قد تسلحت بأشواكها من كل جانب

تختلس النظر إليَّ .
وكنت أرى الأرض المليئة بالأشواك
قد أطرقت برؤوسها ،
لأنها إن تفتحت فى الطريق
لصارت الزهرات النضرة الضاحكة عند الصباح ،
سدا متربا كبيرا فى الطريق .

لكن لاشىء فى الدنيا يؤلم أكثر من
أن يروا :
طائرين بديعين تقاربا فى عشهما فى ضوء القمر
يغردان معا بصوتهما الدافئ
فيسحقونهما بتركيباتهم السحرية
ويجعلونهما كشحم الثعالب الفارة ،
ثم يشعلون بهذا الشحم مصباحا فى دهاليز الصحارى
وحين يبحث عابر سبيل عن طريق وهو متعب ،
تنعقد عيناه على ذلك الضوء
وكلما سلك طريقا ، عاد أدراجه
وكلما اقترب أبعدوا عنه

مصباحهم ،

حتى تمر الليالى الطوال وهم

يؤلمونه بما لا ينبغى لعابر سبيل أن يلقاه .

يارفيقى ! اغتنم لحظة تنعم فيها بحديث الأحبة .

ففى هذه الخلوة ، إن تجد قلبا متعاطفا

فلا تبع ذاك الحديث بأى شىء تافه .

فلا شىء أكثر لذة فى الحياة

من قصة الحياة ذاتها .

ولحظات الصمت الغارقة فى صوت القبلات الدافئة العذبة

عن هوى الأحباب وعذابهم ، تحكى

وعن ماضيهم الحافل بالحسرة ، تقص .

لكننى كنت مشغولا بأمرى

وكنت سعيدا هكذا .

حملتنى حيات مزمجرة عنيدة ،

بعيدا عن ديارى .

وألقتنى فى ضيق وديان مليئة بسموم الخوف

فى أراض ترتعد أساساتها خوفا .وتتلاصق أحجارها متجاورة حقدا .
حتى حينما لايكون الشيطان حاضرا يمارس حقده
بين هؤلاء الجهنميين ،
فكل ماهناك
يجعل الحياة أكثر ثقلا .
والعيون الخضر للحيات ، تلتمع كالزمرد .
ومرآها يذكرنى
بالعذاب والقهر حين يهدأ باردا .

وأسفل وادى الأفاعى
وصلنا إلى ساحة وديان الجداول العذبة .
ومثل جنة عدن
كان سحر خرير الجداول يبعث على النوم .
ويهدئ توتر الإنسان وهواه وثورته ،
مثل السحاب الذى
يمطر فى فضاء حزين لليلة ساكنة .
وسرنا من هناك إلى رياض جفت من الرياح الساخنة ،
كأن فى كل ناحية منها

عود مكسور ، عاشق هارب
أو بقايا نار خامدة لقافلة رحلت .
تجسد
لحظات من الخراب ،
تبين
قصر عمر الإنسان .
وتدفع للتفكير فى الأيام
التى لا تزدهر فيها روضة بسبب عنف الخريف ،
فتغرس الحزن والسأم فى قلب الإنسان ،
فيقول لنفسه :
لادوام لنسيم الصباح !
ولا تبقى متراقصة حتى السحر
شعلة هذا الشمع كما تهوى !

حين مرت كل هذه الصعاب ،
الألحان الخفيفة للرياح القريبة والبعيدة
سرت بنغماتها العذبة إلى الأذن ،
قائلة : ها قد اقتربت اللحظات السعيدة

فأنصت إليها تُعزف من ثنايا هذا الطريق .
ولجمال لحنها الأكثر لطفا من الصبا ، والذى أحيا فيَّ السرور
ظننت
أن بابا من الجنة قد فُتح فى حرم السماء .
تقفز الآن القرمزيات الحمراء من الشفق
وتحت سقف الليل ، تدق عارية بأقدامها .
انزاحت جانبا أعاصير الآلام والمتاعب ،
ورأيت طريقى إلى دنيا جديدة .
فالسماء فوق رأسى ملآنة بجواهر سحبها ،
والأرض رفعت قامتها طربا
والسماء ، بعزة
تقبل أقدامها .

لم يكن هناك شىء كما أراه .
ومازلت منتشيا بذكراه .
ـ مثل من لايشرب حين يسكره الشراب المر ـ
فقد بدت مدينة الأحبة لى
جذابة تسلب القلب

مثل جديلة تتطاير فتبدو
كطيف أمل قد اختفى ،
ثم عاد إلى قلبى .
ديارها قبضة بلون الشرر في جدار الرماد البارد ،
مثل كواكب فى خط متعرج لمجرة .
ومن أطراف السحر مازال شيء باقيا
من الحبيب ، فعلا صوتى
كرضيع جائع وحيد فى حجر أبيه
علا صوته حين رأى وجه أمه .

حقا . كانت لحظة حلوة خلال عمرى المفعم بالحسرة ،
حين وصلت إلى المدينة
التى سكنها قلبى ، وكأننى فى قلب حلم .
ورأيتنى أمام بوابة يتألق سقفها المزركش ،
وحراسها يلقون على الأرض
بالسلاسل والأقفال
ومن صوت تساقط السلاسل على الأرض ،
كنت أتخيل جداولا تصدر خريرا

وأن هذه نغمات تعزفها ،
أو أن مياها غزيرة تصب من بعيد
من بحار فى بحار .

من اليمين واليسار
تصاعد هذا النداء ولف الأطراف ،
كأنه يتصاعد الآن
ولم يخفف مرور الأيام من قوته :
(حل موعد لقاء ملك الملوك
مع راع
من سلالة القرويين الرائعة .
فى هذه اللحظة العطرة
التى ليس للغرباء نصيب من فضلها
آه ، أيكون للأبناء وربيبى هذه الحياة البسيطة
ـ الذين قضوا حياتهم مع قطعانهم
واقتصر أمرهم على حسن رمى السهم من القوس ـ
يوم تصيرلهم فيه مكانة ؟
وهل حقا يكون

من مقلاع هذا الليل الداجى
ضوء أكثر جلاء ؟
وفى ظلمة كقلب الكرة ، أيوجد سهم يُرمى
ليستقر على جبين ضياء الصباح ؟
أحقا يأتى الياقوت من منجمه الخفى يوما ما ؟

ومن أجل هذا ،
وضعت على بساط أعتابه جعبة سهامى وقوسى
دليل شجاعة أجدادى .
ثم مرت أمام عينى ظلال لأناس ،
تتعالى من أحذيتهم السحرية أصوات القبلات .
ورأيت شكلها
بقامتها الرقيقة .
تحجبها ظلال الأرجوان المزهرة .
وقد ألقت عليها القناديل ،
ظلال ألوان خضراء وباهتة ومتألقة مختلطة .
وكأنى أصل الآن
ورفاق سفرى الآن حولى ،

قد تحلقوا ينظرون إليَّ .
كانت تلك الحسناء كالصورة
على كتفيها الفضيتين ، تدلت جدائلها
كصف من الأشباح ، قد تحلقت .
وساكنة على شفتيها ،
أسطورة ليل ساحرة .
وكأنه بتلك الأسطورة
قد تمازجت روحانا .
وكل ما انتهى ، مرة أخرى
بدأ مع أسطورتها .
وفنيت فى وجهها الجميل ،
الذى زاده جمال الخُلق سحرا .

قلت لنفسى ، لأقترب مرة ، من الهالة الزاخرة بالأفاعى
تلك الحسناء التى كانت كل فكرى
مثل زهرة تتفتح بابتسامتها الجميلة ، قالت : نعم
ـ قبل أن أقول تفضلى بالجلوس
أو يبدأ كلام رقيق ـ

علا صوتي من بين شفتي : آه !

أيُفتح كنز من اللؤلؤ في حرم السماء ؟

أم أن خازني خلوة السحر الرائعة ،

يدقون قصر الفلك في ليلة مقمرة ؟

وحين رأت اللب قد طار مني

قالت بضحكة تسحر الروح :

(أيام الفراق

غيرت الدنيا

في عينيك

فأنت ترى الدنيا بشكل مختلف ،

وتحت جفنيك المتعبين من الحزن

تنسج رؤيا عذبة

يستعذبها العاشقون .

يامن جئت من طرق بعيدة

انظر إليَّ بالعيون نفسها .

فأنت تعرفني ،

وللسانك

أنا أقرب من سويداء قلبك .

وأنت تقول الشعر برموز مفعمة بالمعانى ،
وكل شعر لك سمعته من أحد ،
كان فى قلبى .
وأتمنى يوما فى الحياة ، أكون لك عينا .)

ولما رأت وقار طبعى ، حاطتنى بدلالها
وبمودة صافية
أجلستنى بجوارها .
وحينها ، عقدت أشجار الصفصاف
قبابا زمردية مزدانة فوق رؤوسنا ،
وعلى ذلك البناء الضبابى ،
تعبر أذيال الطاووس وأطياف الأشباح .
كأنهم يمنحوننى العالم ،
وكل شىء فيه يجرى كما أهوى .
وكنت أقول لنفسى كل حين :
(إن طرح ألم العشق لايتأتى
إلا بسلوك الخرائب صوب منزل الحبيب
لكنكم ، أيها الناس ، بعدتم عن هذا .

ما أسعد ذاك الشجاع الذى يسعى حتى الرمق الأخير

ليحصل على الجوهر الثمين .

وحين يقولون : إنه كالذهب ولاشيء سواه .

حينها تتقرب منه

فيعادى الناس

وتلك دنيا الأشرار .

وما أكثر ما زال من أضرار ،

وما هرب إلى الصحارى من ضوار ،

لكن طائر السعادة

عاد إلى عشه .

واستبقاك سعيدا مستغرقا فى النظر إليه ،

وهو نصب عينيك

ظانا أنه آمن .

وأهل مدينة الشوق غير المرئيين ،

قد أقاموا سوقا بين الظلال المتناثرة .

ومرت سنوات وأنت تظن ،

أن كلا منهم صديق لك .

لأن من يصاحب أهل الصفا يلقى الصفا ،

ومن يسعى إلى الناس يسرع الخطى .

لكن واأسفاه ! ذاك المحبوب
كان ليله بجوارالشمع الضاحك ،
بينما كنت حزينا مشتاقا إليه .
فإن يكن سفر صوب مدينة محبوبك
فلابد لك منه .
تلك الجماعة ، خوف الذئاب ، لاتطفئ نيرانها .
لكنهم حين يقصون الحكايات عن
أيامهم الماضية الجميلة ، بجوار النار ،
لاينسون الحسرات المتتالية .
تلك الجماعة المجاورة للصحراء الخطرة ،
عيونهم على الطريق تترقب القافلة
وآذانهم تنصت لأجراسها .
لم تظن رحيلى إلى مدينة الأحبة كل لحظة ؟
لأخفف أحزانى .
فمن يطوى طريق الصحراء البعيدة ؟
وفى هذا الخلاء أى بومة تنعق حزينة على غصن ؟

ومن طول بقائها ساكنة حزينة ارتسم شكلها على التراب ،
فأنىً يكون لها حديث مع الناس ؟

حين تشابكت أيدينا واستعدنا ذكرى
ليلة حزينة لقلوبنا المتعبة ،
تجددت قصص أحزانى .
آه ، فى هذا الوادى ، كنت أبحث عمن يشاركنى حزنى
فأقص عليه ما جرى معى
وأسمعه ما بقلبى ، وأسمع ما بقلبه
لكن عظامى احترقت
وأثقل من الجبل ، بدت همومى لى .
وأنا الذى أنصتُّ إلى أقواله المثيرة ،
ولم أعرف كم من وقت مضى وليال مرت .
وفتحت عيونى على بحر مضطرب
ظنا منى أن جدارا قد انفصل عن السماء ،
وأن جدر الدنيا قد فُصلت عن بعضها وطرحت أرضا ،
وإن نجلس لحظة
لاستسلمت للأهوال .

ونهضت

وإن لم يكن قلب شريكى معى ،

لأجتاز هذه الآلام الهائلة .

علا النداء المتألم من قلب تلك الحسناء يخاطبنى :

(لم تختار البعاد ؟ ومم تتألم ؟ ....

بعد أن قطعت كل الطرق المتعبة ،

وبقيت وحيدا دون من يشاركك أحزانك .

وكفحيح الأفاعى

أذبت القلب مثل كور نيران الحداد ،

فلم تحزن لمصيرك الآن ؟

شوقا لقبلتك ، كان قلبى يحترق

وكنت أدفن حزنا

يسحق العظام فى قلبى الحزين .

تلك الليالى التى كنت أبكى

فيها حتى الصباح

وأنصت لزئير الوحوش فى الصحراء والطرق المعتمة والمضيئة ،

لو فى مسير السيل

أشعلت ضياء ، لقلت ها قد جاء ....

المتألم الذى يجدنى شريك آلامه .....
وبعد أن عرفت قصتك الحزينة ،
أدركت أن ذاك الليل المظلم كان خرافة
وتآلفت مع هذيان قلبى .
فاجلس على وسادة السحر الحزينة ، مثل ضحكة مشرقة
وهات يدك إلى أحضانى
ياهوى قلبى ، يارجل الصحراء ،
لا تستعد قبلاتك من الحزانى ! ...)

وحين كان
مستغرقا فى أحاديثه الدافئة ،
وهويحرق منى الكبد
مثلما كان هو فى هواه
ابتعد ت عن حرمة خلوته
أهيم فى الصحراء الموحشة ، حيث منزلى
والطريق الجبلى كأفعى ،
رأسها نحو السقف المزركش
تقف كالغول فى كل مكان ، كالسفاح .

وفى ليل موحش حول مصباح ضعيف
تتناثر أشكال مبهمة تبدو كزينة على جدار عريض .
والأفاعى تعاند مسيرى ، كصخرة أمامى ،
والحيات تتفرق عن بعضها كالحبال ......
كأن قلب الأرض العليل ، بطنا تصدعت ،
وأخرجت من بطنها كل تلك العاهرات .

لن تنفصم قصة حياتى عن أحزانى المضطربة ،
فمذ غادرت كوخ أبى الصغير
وابتعدت عن ذوى الكلام العذب والحكايات ،
اقترن قلبى بالبلاء !
لم أتجرع كأسا يخلو من السم !
ولم أول وجهة تخلو من الضياع !
ولم أحمل حجرا يصلح أساسا لبيتى !
أرأيت ياقلبى عاقبة جدائله المسكية !
وكيف تدمى الوردة فى البستان ، وإن بدت باسمة !
أزف إليها بشرى الصباح الذهبى ، فتقول : كفى ،
فالقصص التى غرد بها الطائر عذب الألحان كانت رموزا للأذى .

وأى خطر يحمله وجه البحر الجميل !
وحتى جبين الصباح الخلاب ،
حين تسقط الحجب ، تكشف أسرار آلامه .....

من رواحهم وغدوهم صوب مدينة الضجر تلك ،
يعلمون جميعا لوعتي .
أنا من ذقت لذة الوصال ،
صرت أسير أرض المرارة .
يصير كل شوق وكل لقاء
غلافا لقصة مريرة أمام عينى .
كأن قلبى صار هدفا لكل حزن
فى خفاء الوجود ودنيا الحيرة .
الغرباء يهربون منى ،
والمقربون لايتحدثون معى سوى لحظة
لأن نيرانى لاتشتعل داخلهم ،
ولا أحد منهم يستطيع
أن ينصت بقلبه لما ينبع من قلبى ،
فيختارون البعد عنى .

آه لو تتشقق كل عروقى !
فلن تسمع منى سوى الحزن .
أيتها الحسناء مليكة مدينة الأحباب !
ذاك الشمع فى ليلك ،
يضىء وحيدا بوجهه الشاحب من ذاك الحزين
الذى يحترق فى نار الحسرة ،
حين يتذكر تلك الأيام ، عندما تبدأين الكلام .

١٩٤٣م

* * * *

فـي (فـروبـنـد)(*)

في (فروبند) لم تعد لي
رغبة في لقاء أحد .
والتفكير في هذا المنزل
وكيف كان عامرا ، هوس .

حل هوس ، ووضع لبنة
لكنها دفعة للتشرد
رأيته ، وسألته فقال :
بعد هذا الليل والخراب .

قلت : ذاك الوعد بشفتيك الياقوتيتين ؟
قال : كان سرابا .
قلت : وذاك الجدار العال ؟

(*) يتحدث الشاعر عن ابتعاده عن الناس حين عاش في (فروبند)، بعيدا عن أصدقائه ومعارفه وعن مجالات نشر أشعاره، وهي إحدى المدن الصغيرة في إيران.

قال :كان دليل خراب .

قلت : تلك النقطة التى أثارت دخانا ؟
قال : اضطرام نيران محرقة .
فبقايا السقف وبابه
جعلوا للموت لذة .

قلت : لن تبتسم بعد الآن
شمس ، ولا مصباح لى .
قال : الأفضل أن تخفى
وجهك بيدك خجلا .

قلت : لكن الأيدى الحزينة
تمتد للأرض خلف الباب .
ضحك وقال : ولكن
هو لا يتربص بالطريق .

إن يتألق الأفق ، فهناك شيطان

يلونه بالحمرة بيده المليئة بالدخان
ورجل بالباب ، يأمل أن يفتحه
رغم أنه طريقه لصحراء الهلاك .

الطريق خال ، والشجرة ذابلة
ذبل كل شيء من طول الألم
وبُح كل صوت في هذه الخرابة
مثل صوت في صحراء .

وبعد نوم كل زهرة ، تخفى
زهرة النرجس وجهها بين الأشواك .
فى (فروبند) لم يعد لأحد ،
رغبة للقاء أحد .

١٩٤٨م

* * * *

تمثال الطائر

طائر مختف فوق سطح دارنا ،
وطائر آخر حط على شجرة الصنوبر ،
هذا يغرد بحرارة ، كأنه يغرد لنا ،
وذاك ساكن ، كأنه دخان على سطح عاجى .

لاعين له مفتوحة ، ولاجناح منبسط ،
متيبس فى مكانه لايتحرك .
منقاره نارى ، وأجنحته ذهبية ،
يبدو وكأنه تمثال .

وهذا الطائر الآخر كل همه التغريد ،
يرتعش جسده من الرأس إلى القدم .
لارغبة له فى البقاء فى ظل الصنوبر ،
ولاطاقة له للخلاص من ذلك المكان المقبض .
لكن حين تتأمل هذين الطائرين ،
فالمغرد ميت ، ليس إلا .
والطائر الذى يبدو متجمدا فى مكانه ،

فى ذروة الحياة ، مقترن بصراعها .
الطائر المختف فوق سطح دارنا ،
ينسج حكاية غامضة عجيبة .

فقد تخلص منًا ، لكنه فى هوانا ،
يتغنى لنا بهذه الحكاية .

١٩٣٩م

* * * *

كل ليلة

كل ليلة ، امرأة كل مكان
كانت تأتينى .

حين كانت تأتينى ، وأنا متعب
كان على نافذتى
ياسمين أزرق فقط
مثلها حين تأتى إلىَّ ، متخفية .
وفى إحدى الليالى
وكانت ليلة موحشة ،
فيها كل مرير قائم ،
وامرأة كل مكان تلك
كانت تزورنى
وجدائلها الطويلة ـ مثل الحرير على الماء ـ
تحيط برأسى ،
فألقت بى فى ضعف وارتباك .

ومنذ تلك الليلة ، وكل ما يلوح لعينى
مثل حديثى عنها
كشمع يحترق معى فى وثاقى ، متخفيا .

١٩٥٢م

* * * *

ذكرى

أذكر يوما أسود ومكانا رطبا
في غابة بعيدة جدا .
كانت نهاية الشتاء وكل مكان مغطى بالمطر .
كأن كل شيء قد انكمش منزويا ،
ولا صوت .
واصطفت في كل جانب أشواك نبات العليق ،
ونأت كل خلوة .
وذكرى ذاك اليوم السعيد !
كما لو كان جسدى قد انسلخ عن كل شيء
فقد فررت من وجه هذا السقف الأسود
إلى تلك الخلوة المزهرة ،
لأودع قطعة من قلبى هناك
ولأجلب معي قطعة من الخلوة
الساحرة لليوم الحزين .

آه ! يقولون إذا مضى يوم

يمضى معه كل شيء .

ثم يقولون إن شأن الحياة النوم

ولاينبغي ذكره ،

ولا أن يكدر الإنسان خاطره

به عبثا .

لكن أمام عينى

لايمر شيء دون أثر

فأنا أصوره

وهكذا أذكر ذلك اليوم !

١٩٤١م

* * * *

ضيائى

ذهب عنى ضيائى ليلة الأمس ! آه ! وبقيت فى الدنيا

أحمل تلك الخيوط المنسوجة من شفة الأمل المشرق .

لن يضحك لى النرجس - كما كان يضحك - ثانية

فى الرياض .

وأنا تحت شجرة التين الجافة هذى

التى نسجت خيوط العنكبوت على فروعها ،

أجلس أياما كسيرا

حتى يجف جلدى على جسدى .

يامن تحمل آلام الشعر فى خلوة بيت

هات حمل أشعارى لأجعلها تحت رأسى

- وجهى تحت السماء ، وقدمى بعيدة عن ديارى -

إن يخفف ذلك حزنى أم لا ،

فالنوم الثقيل يغلبنى

كما أود .

١٩٤١م

* * * *

ماخ اولا(*)

ماخ اولا ، جسد نهر طويل
يجرى إلى المجهول
يهدر كل لحظة ،
يقفز من حجر إلى حجر
كهارب
ـ لايسلك الطريق الممهد ـ
ينحدر إلى أسفل ،
ويسرع إلى أعلى
يسير شريدا ،
مع الليل البهيم ، كمجنون مع مجنون .

جرى منذ أمد فى طريقه
واتصل بأنهار كثيرة ،

(*) ماخ اولا : مضيق بقرية الشاعر تكتنفه أحجار كبيرة من الجانبين وتصنع فجوات بينها تشبه المغارات قالوا إن الساحرات يسكن فيها . وهو اسم لنهر أيضا يجرى بين هذه الأحجار وأشباه المغارات ، وقيل إن من يبقى وحيدا فى الليل هناك يمسه الجنون .

لايقلق بشأنه أحد
وهو فى خريره ، صامت
حتى اختفى عن العيون
فى سفح تلك الخرابة .

من خرير مائه الأبكم
رسالة عن معرفة (ماخ اولا)
وكلام عن مقصده المعروف
لكنه يجرى
فى طريقه
مثل غريب فى غريب .

يجرى إلى المجهول
يهدر كل لحظة
حتى منهله
مثل طريدى الديار .

١٩٤٩م

* * * *

الجدول يبكى

الجدول يبكى والقمر ضاحك
يضحك وفق هوى قلبى .
وفوق ذاك التل الخرب ،
تلحق بى بومة أيضا .
ومن قلب الليل المجبول على السواد ،
عينه تختلس ،
النظر إليً .

لاجرأة لديه ليقول :
لماذا يبكى .
لا تحزن لوفائى ،
فما راح ، من البكاء لن يعود .
ومن هذه الديار الحزينة ، إلى بعيد
بكاؤك الضائع
اتخذ طريقه .....

١٩٤٨م

* * * *

من بعيد

الجدول يغنى فى الوادى الهادى
ويحتضن صباحا مضببا ،
وكأن هزة خفية
قد أهالت على رأسه التراب .
والقطيع يسير مع صوت الناى ،
كأن السماء فتحت طوقا
فانفرطت حباته
تتدحرج على الأرض .

الشجر و كل ما هو موجود
يبدو أمامى كقامة الحبيب ،
لكن واأسفاه ! وقفت فى الطريق
لخداعى والتغرير بى .

ظلت تطلب إلىَّ

أن أقف إلى جوارها ،

وحين أنظر إليها من بعيد

تبتسم في وجهي من قريب .

١٩٤٧م

* * * *

الحباب

أردت أن أرى وجهه ،
فهاج مزمجرا .
أردت أن أتحرك ،
فهاجت الدنيا وماجت .

أردت الأمان بالعين الزرقاء
فوقع القلب فى دوامة لاتهدأ ،
وتعالت الأمواج
بلا نهاية .

أردت أن أتخلص من تلك الورطة ،
فبقى هزيل وشاطئ ساكن
وليل وقارب قابع على اليابسة
مضى زائل وبقى مدهوش .

أردت ان أعرف معنى ذلك ،
فثار حباب
عاقدا قبة
ولونا وشكلا .

أردت فرصة أخيرة
أعيد فيها قول القصة ،
وأرسمها فى عقلى
لأعود إليها لاحقا .

إن كان هناك حباب حقا
فى النوم أو فى اليقظة
فقد وُلد من ضحكة رياح
وعاد إلى الماء بسبب البكاء .

١٩٤٦م

* * * *

المفقودون

في المعركة المخيفة للبحر العظيم
تبدأ كل لحظة حكاية .
قد تعلقت بالليل الأسود ، بغضا .
وكأن عقدة قد انحلت من حلْق .

مع حركة البحر المزمجر السريعة
تحرك مع هديره من موجة إلى موجة .
وكل انكسار له - كأنه طيف العداوة -
يرتفع عاليا في هذه المعركة .

يأتي بكل ضجيجه أخْذه وعطائه
يدق أطراف الساحل المتعرج
فينحت ويجرف ويفور ، وقلبه
يهتاج بعد كل هدوء .

يأتى ثائرا من أسفل ،
فيلقى بكل مايحمل إلى أعلى .
وتكون نهاية الحكاية مع دورانه ،
لتبدأ مع دورة أخرى .

وبعينه البحرية التى لا تنام ،
ينظر إلى الساحل ونوامه .
وحين يستريح الظل فى بيت الموج ،
يتجاوز بيته الخرب .

ولأن جوابا لصيحاته لايأتيه من الساحل ،
يبقى غافلا عن كل حسن وقبيح .
فيدور وينثنى ويبتعد ،
ويضيع ، ولكن ليس من ذاكرة الجميع .

١٩٤١م

* * * *

قصة قديمة

عند المساء حين كان البحر

يخفى نقوشا فى زرقته

نسج قصة غير جديدة

فعقد خيطا وفك آخر

وأطلق خيوطا أخرى مع الماء

هناك كان الفندق القديم

يبسط ظلاله على الأرض .

وحين كف ماء الغدير عن الجريان ،

تيبس غصن واصفرَّت ورقة شجر

وسرعان ما أطاحت بهما الرياح

وهكذا فتح الباب وأشعل الشمع ،

ذلك المحبوب الماهر

وجلس وأنصت للعود

ثم أطلق المصباح مع أنفاس الرياح

وأزال كل ما بنا بعتاب رقيق

نسج قصة غير جديدة ، نعم

وبما سلبنا ، صوب طريق السعداء

سار ولم يعقب

وصارعامرا بخرابنا

سلبنا قلبا ، لكنه خرب !

١٩٤٦م

* * * *

ضحكة باردة

فى الصباح ، حين يبقى
القمر الأبنوسى مقيدا ،
ويبسط الطاووس ريش ذيله
ويغتسل هذا السقف من القطران .

ورسامو هذا الكون ،
أمسكوا بجعبة الألوان .
ويسرع وحش فيشق الظهر
ليعتلى الأمواج كالصدف .

وتضحك من كل صوب ،
على نشاط قائمى السحر
الأضواء التى تغرق رأسها فى الماء
وتتعلق بشعرة .

وفاتنات الماء على الشاطئ ،
اصطففن .

والعابرون يروحون ويغدون ،

مسرعين .

لكن الرياح المزمجرة تهب

عنيدة قوية ،

فتغادر البسمة الشفاه ،

ويبقى هيكل وا قفا .

ويسكن الصباح ،

مثل قافلة نُهبت .

يسمر عينيه على اللص الفار ،

ويتعلم الضحكة الباردة .

١٩٤٠م

* * * *

جيـران الـنـار

جيران النار ، الغدير العميق والرياح العاصفة ،
يدورون حول النيران المشتعلة عبثا .
الرياح : إننى أهب حتى أجعل
الغدير كنهر جاف
بشعلاتك الملتهبة .
الغدير : لن أُجرى مياهى فى
قلبك المضىء المشتعل
بل أمهد الطريق أيتها النار
كى تزدادى تألقا واشتعالا
وإحراقا وأذى وجرأة .
لكن لاتدعى الرياح توجهك نحوى
حتى لايكون للجفاف إلىَّ سبيل .
فإن لايغرق هذا الكهل الأحدب
فى مجاهل ماء فمى ،
فلن تنبت فاكهة طيبة
حلوة ناعمة على فرع .

لكن النار تزداد اشتعالا
بألسنتها الملتهبة ،
تزداد أملا
ويزداد وجهها بياضا كلون السحر
فتبالغ فى إحراق كل ماتجد .

وكلما ألهبتها الرياح بسياطها
ازدادت التهاما للرطب واليابس .
وشفاه العشق مفتوحة بلون الدم
والمرضى بوجوههم المصفرة ألما
التفتوا إلى الدنيا المفعمة بالحزن .
وكلما ازداد هبوب الرياح ،
يجف الغدير الحزين .
وتحت الفروع المحملة بالثمار ،
جلس كهل يجمع أوراق الشجر
وأضاء وجه الفلك من شدة النيران !

١٩٤٠م

* * * *

" رى را "

" رى را " صوت يأتى الليلة
من خلف أشجار الصنوبر حيث جدول الماء .
والبرق الأسود يرسم بلمعانه ،
صورة للخراب .
كأن شخصا يغنى ......

لكن ليس هذا صوت إنسان .
وفى شعرى الذى يسلب العقل ،
سمعت أصوات أناس
مع دوران ليال ثقيلة ،
أكثر ثقلا
من همومى .
وأنا أحفظ ،
كل أصوات الآدميين .

فذات ليلة ، فى قارب

غنوا لى هكذا .

وما زلت أرى

عظمة البحر ،

فى المنام .

رى را . رى را

إنه الهواء يغنى ،

فى هذه الليلة السوداء .

وقد ذهل عن نفسه

وتمادى مع صوته ، لكنه

لا يستطيع الغناء .

١٩٥٢م

* * * *

العشب

ازدهرت الغابة وأفاقت

والياسمين ينام في أحضانها في دعة

وربيب الخلاء ، طائر (التوكا)

يتبختر في مرعاه الدافيء .

وبينما تتدلل زهرة (مريم) ،

كان عشب (اللرك)(*) يزدهر .

وحينها ، كانت الشجرة العتيقة

تختزن الأوراق في بيدرها .

وعشب (كندنا) (*) في هذا الخضم

أطل كأنه يقول : ها أنا

(*) أسماء محلية لأعشاب ، والثاني يشبه الكُراث في شكله .

وعبثا يفكر حينئذ

أبساقي فرع أم لا .

١٩٤٧م

* * * *

قِطْع من الليل

مضى قِطْع من الليل

وغادر الأضياف المكان . الوقت متأخر

جلس المضيف في داره وحده

في كوخه على الساحل المهجور ، يشتعل موقده

وهو متعب .

احتبست على شفتيه

كلمات كثيرة ، لكنه

متعلق بصوت نايه في هذا الليل المعتم .

ولأن أحدا لايقصد سجينا قط

فقد جلس المضيف في بيته وحيدا .

١٩٥٧م

* * * *

إنه الليل

إنه الليل ، ليلة رطبة ، والأرض
فقدت لونها .
والرياح ، وليدة السحاب ، من فوق الجبل
قد هبت عليَّ .

* * * *

إنه الليل ، وقد سكن الهواء مثل جسد ساكن متورم
ولذا ، لو ضل أحد طريقه فلن يراه .

* * * *

والصحراء المديدة بجسدها الساخن ،
تشبه ميتا فى قبره الضيق .
وتشبه قلبى المحترق ،
وجسدى المتعب الذى يشتعل من شدة الحمى !
إنه الليل ، حقا ، إنه الليل .

١٩٥٥م

* * * *

مع قطار الليل والنهار

في خفاء الأيام والليالى الباردة
ثار حديث ،
حديث حقا
بصوت قلب حزين لجسد مريض
مازال تحت أضلع ضعيفة لليل معتم
مع قطار الليل والنهار .

* * * *

بقع من الدخان تعبر الصحراء
تمر ،
ومن الباب والسقف وشقوق الجدران
عند خروجها من الديار تودع تلك الكلمات الخفية .

* * * *

مع قطار الليل والنهار

حين يعقد مابين الليالى الغادرة

والأيام السوداء للغافلين .

تظل أُذنى مقبرة لتلك الكلمات الخفية

التى لايقبلها قلبى .

وبمخالبها القوية ،

تعشش فى عروقى فتخرج قوية

بلسان قلبى ،

مع أنى طاردها

مع قطار الأيام والليالى

* * * *

ماذا أحكى

عما يقوله مريض لمريض ،

قال : (ذاك غزال سعيد) قال : (شرد)

قال : (ذاك نرجس ندى) قال : (ذبل) .

١٩٤٩م

* * * *

زهرة نور القمر

حين كانت الأمواج
تتعالى على وجه الماء
مبتعدة ،
كان شكل مهيب
يخترق العين فى قلب الليل ،
لرجل يمتطى جوادا عاريا ،
بيده سوط من نار
يجرى بعيدا على الساحل .
يداه ماهرتان ،
وقاربنا يجرى ينساب على المياه سعيدا .
ومن ألوان ضوء القمر المتداخلة
بدا لون أكثر إبهارا
مثل لحظة انبلاج الصبح
فى نهاية الليل
حين تشرق بعد ليلة حالكة .
صارت الأزهار ندية من الأنفاس الباردة
ومن الأساطير الحزينة المتخمة بتفاصيل الحياة ،

صورت أشكالا جديدة ،
مصابيح الناس حين خرجت للطريق .
وأسرع جمع للطريق
وتلك الوليدة رائقة اللون
تفتحت كزهرة مفعمة بالنور
تبدى قامتها لنا .
وبوجنتيها الباردتين وقبضتيها الصفراوين ،
اقتربت من تلك الجبال البعيدة
وبعينيها الصافيتين كالماء
رمقتنا .

ولكى تراها العيون
أكثر وضوحا ،
تصف أيدى العابرين
بسلاسة .
وتهبط على أعشاش تضم أصواتا
وعلى أجنحة مزينة بنقوش أطيار لازوردية ،

ترسم دائرة ذهبية .
ومن كل أصفر ،
تصنع جديدا .

أسرعنا نحو الشاطئ
ونحن بين الثمالة والصحو .
وأراد رفيقى أن يقبل يدها
وأردت منه أن يكون مثلى متيما بها .
أردت أن أقرأ فى عينيها
أسطورة أخرى خوف الموت .
أردت على ذاك الساحل الهادئ ،
أن أستغرق فى نومى .
وسوى صوتها
لاأنصت لصوت آخر عبثا .
وهناك بجوار نيران جارى
أشعل نارا خفية .

ولكن فجأة ،

أظلمت الأمواج ،
وجرى شكل من أسفل ،
حتى اعتلى الأمواج .
وأمامنا زهرة نور القمر
بدت شاحبة معتمة .
وتحت أشجار الصنوبر على الساحل ،
سُحرت وذبلت
الزهرة الخلابة .
وخيم الهول ، وهب شيء
وراحت فتاة فى طريق آخر !

١٩٣٩م

* * * *

مع غروبه

ارتعش ولملم أطرافه ومضى
النهار الذى كان مشغولا بالعمل
على قمم الجبال الصفراء والزرقاء
كقافلة مثقلة بالأحمال .

وسُلب كل ماكان لديه
الضحكات ، القيل والقال ، فى القرية .
سُلب كل ذلك ، لذا
صار كل مكان حزينا صامتا سليبا .

لم أر شيئا بقى بعد رحيله ،
فى خلاء الصحراء والجبل .
وماكان مسرعا فى سيره ،
صار كجدول هادئ المسير .

لكن بقى شيء خفيا لم يره النهار
عند غروبه حين غرب كل شيء

وذاك الخفي : قصة قلبين

لم تنته بسببه .

فبعد أن حمل متاعه وراح

هيكل النهار من دنيا الأسى

ظل هناك ، تحت هاتين الشجرتين

هذان الحبيبان ، ولهانين .

١٩٤٤م

* * * *

أنا عين لك

أنا عين لك فى الطريق ليلا
حين تتشح الظلال بالسواد تحت فروع الشجر
وتتراكم عليك الهموم ،
فأنا عين لك فى الطريق .

فى الليل ،حين تغفو الوديان كالأفاعى الميتة
وحين تنصب أيدى الزنابق شباكها للسرو الجبلى
إن تذكرنى أم لا ، فلن أنساك
وأنا عين لك فى الطريق .

١٩٥٧م

* * * *

موت عصفور(*)

في خلاء الغابة ، وكاليوم السابق
كل ركن ينبئ بقدوم الصبح .
ومن ضحكاتها المريرة تلون قلبها ،
الزنابق الزرقاء التي التفت حول (المجر)(**)

وكاليوم السابق ، ظل الهواء ساكنا باردا .
إن يهب نسيم بارد أو لايهب
فعلى حجر صلد قد مات العصفور ،
كأن الندى قد نقش رسما له .

بقيت عينه نصف مفتوحة عبثا ،
وعبثا أشرق عليه النور وهو على الحجر ،
ورغم جمال صوته حين كان يغرد
فقد كف الآن عن التغريد .

(*) ذكره الشاعر باسم (كاكلى) وهو طائر صغير يقتات على الحشرات ويفيد الفلاح .

(**) اسم محلى لنبات .

غاب صوته فى قبره ،
بعد أن كان الجميع ينصت له .
لكن ذكراه تملأ أجواء الصباح ،
والسكون يحمل تغريده للأذن .
لم تحرك المياه ساكنا ، لكن
شجرة البلوط العتيقة تطل برأسها ،
وكاليوم السابق ، فشجرة (ميمرز)(*)
قد تدلت بفروعها المثمرة على حجر .

١٩٤٨م

* * * *

(*) اسم شجرة فى الغابة.

البجعة

في الصباح حين يشرق وجه الشمس
على سطح البحر العنيد
تبسط الأمواج الزرقاء
جبة من الذهب الخالص على كتفيها .

في الصباح ، البارد الرطب ، حين
يهب نسيم البحر
وزهرة (مريم) ، يعلوها الندى
فيغسل صدرها والجسد .

في الصباح ، عند انزواء الوقت والمكان
ساحرة جذابة ،
على شاطئ الجزر الخفية
تبدو قامة البجعة الوقورة .

كأنها باقة ورد
تناجي المياه وحيدة ،

بين الخضرة والعشب

جسمها أكثر جمالا من العشب .

تحرك قدمها ، ربما

لتخلص جسدها من التعب .

وتبسط جناحيها الأبيضين ،

وتحلق فوق الوادى .

تطير صوب البحر ،

فى فضاء كالسحر .

وتترك دنيانا الحيرى ،

وتضرب بجناحيها فى الظلام

تذهب إلى مكان مظلم ،

بخيال يرافقها ،

فى خط مضىء دقيق كالشعرة

ترى مايليق بها :

بقعة السحاب التى تبقى بعيدا
الأمواج التى تُحدث صوتا ،
وهناك لا يعرف أحد
أية أشكال تتكون .

لكن طائر الجزر الزرقاء ،
حين تكون وحيدة
خالية النفس من التفكير ،
فإنها تفكر فى البحر .

ونظرت نحو الشمس ،
ورنت إلى الألوان الرقيقة ،
وهزت أجنحتها البيضاء
وقفزت إلى المياه العميقة .

وخلافا لتصور الجميع ، فإنها
سعيدة راضية برؤية الماء

إن ينظر إليها أحد أم لا ،

فالبجعة تنام فى أحضان المياه .

١٩٢٦م

* * * *

يضحك

عند السحر ، هذا الطائر الذهبى
أخفى جناحيه الناثرين للذهب
يصوغ الذهب خفية ، لكن
ليس على رؤوس الأشهاد .

أعرف ذاك الجميل القابع خلف جدران الليل الرمادية
فى هذا الطريق المضىء لقمم الجبال ،
حين يأتي إلى الشاطىء الهادىء
ويتنصت على أحاديث العابرين .

قد جلس وسط الزورق الذهبى
ليسلبنى القلب ثانية
ثم يتركنى .
يأتى كالطائر
يقترب بخفة ،
يأتى ، ضفائره مسدلة ،
محمر الوجه كالقمر .

يأتى ، باسم الثغر ،
كأنه ربيع أعقب الشتاء .
لكن حين تقع عينى عليه
لا تجد سوى ظل يقبع وحيدا على الشاطئ .
يضحك له محبوبى من بعيد .

١٩٣٨م

* * * *

الجبل العظيم

في هذا الغروب الضبابي الكئيب ،
انظر إلى الجبل العظيم ،
كيف استقر بوقار
وقد تناثرالغبار العاجي على قمته .

كأنه من قبر أسود
قد مزق ميت أكفانه ،
وقفت بومة ساكنة في السفح ،
في قلبها كلام لكنها لا تنبس بحرف .

لكن ذات يوم هانئ ،
جلس حبيبان سعيدان
وبعد ذهابهما ، لم يأت
صوت حديث لأذن .

وهناك أيضا اشتعلت الحرب
وتصارع الرجال

وبعد لحظات ، أسلم كل شيء
قصة الحرب للخراب .

وبعد أن عاد الربيع ،
واكتسى كل شيء بلون ساحر
بسط الجبل العظيم
ظلا لشكله .

وبقي له من الغزال المرح
ذكرى من كل جانب .
لكن لم يضف ذلك شيئا له
ولم يُنقصه شيئا كذلك .

تحجرت ضحكته وانحبست
ولم يكن يمل الضحك .
رأى كل شيء ولم ينبس بحرف
فهو مع كل تلك الجبال ، جبل .

انظر إلى الجبل العظيم

أثر البومة قد تجمد على حجر منه .

لكن لونه ليس كالأمس ،

كأن لونا قد حل بلون .

١٩٤٨م

* * * *

الموقد البارد

بقيت من الليالى البعيدة
فى طريق الغابة الساكن ،
قطعة حجر من موقد صغير
فيه رماد بارد .

كما فى غبار أفكارى المشوشة ،
نقش كل مافيه
قصة مؤلمة .

الأيام الحلوة التى كانت تصالحنى ،
صارت أثرا شاحبا .
بردت ، تحجرت ،
ومع أنفاس الخريف ، صار عمرى رمزا لربيع مصفر الوجه .

وهكذا بقيت من الليالى البعيدة
فى طريق الغابة الساكنة ،

قطعة حجر من موقد صغير

فيه رماد بارد .

١٩٤٨م

* * * *

الجمال

حين كانت ريح الصبا تسرع إلى الصحراء
خاطبتها وردة حمراء تفتحت لتوها
قالت : من أجلى أنا
الأجمل والأفضل بين الزهور ،
من حيث أتيت ، ماذا جلبت ؟
قالت : لا أنكر شيئا مما قلت .
لأنك أجمل الجميع ،
فقد جلبت هذه الورقة لتغطى وجهك
حتى لا يصيبك من الناس أذى ،
ولايصيب تفتحك ضرر .
ـ هيهات ، قالت لها : لم تأت بشيء
سوى كلام غامض سخيف !
لقد ملأت سمع الدنيا ،
فالجمال والحسن لايبقيان سرا

١٩٤٠م

* * * *

العود

المنزل خال ، والحارس ثمل
والليل لاينشغل بما كان أو لم يكن
لكنى أعلم أن فى موقدى
منذ أمد ، عود يحترق .

بأناملى ، انزلق من القلب
ليضىء لى عود فى البيت .
وما احترق أولا بناره ،
أحرقنى أخيرا بها .

يصنع أشكالا ويمنحها روحا ،
أو يجعلها تحلق .
ويمر سريعا كشبح
يسخر منى .

بساق ياسمين ساخن ضاحك ،
أطرق برأسه على جسده .

وأطلق حلقات متتابعة ،
كأنها حلقات ضفيرة .

ومثل قمر يشتعل بين السحب ،
يبدى قده الساحر .
وبنظرتى التى لم تعد إلىَّ ،
أغرق فى صورته .

يؤنسنى منذ أمد ،
عود يشتعل فى مجمرتى .
ويمر سريعا كشبح ،
فيبدو كحبيب لى .

١٩٤٨م

* * * *

صوت العود

زين صاحبى وجهه فى المرآة ،
وبحث عنى فى ركن مجلسه .
وصحبنى وسار نحو الصحراء ،
حين كانت الشقائق البرية تتفتح فى الجبال .
وجلس غير حاذق ثملا بغروره ،
وكل ما عزفه كان نشازا
فلم يكن للمسكين علم بألحانى ،
ولامعرفة بالأنامل الرقيقة .
فقال متحيرا : (ماهذا الصوت الفاجع !
لم تكن هكذا من قبل ياعودى !)
قلت له :
(ليس هذا صوتى ، فقد
رددت لحنك . هذا صوتك !)

١٩٤٨م

* * * *

مانلى(*)

لا أعرف لماذا

أعود لأحكى قصة رجل ،

مجنون بالسفر فى البحر .

لكننى أعلم أن ذاك الصياد ،

اتخذ طريقه إلى البحر العظيم تلك الليلة أيضا

كما يفعل فى الليالى الأخرى ،

وأملا أن يقع صيد فى شباكه ،

أبحر بمركبه فى هدوء .

وبين كل الليالى ، كانت

تلك الليلة هادئة .

وكان دائم النظر إلى أعلى ، إلى القمر

الذى كان يتوارى عنه بين السحب المسافرة .

وكانت الرياح هادئة ،

(*) منظومة طويلة للشاعر باسم (مانلى) وهواسم لصياد نادته عروس البحر ، والفكرة متداولة فى الآداب المختلفة إلا أن " نيما " يتناولها بشكل جديد فيعالج من خلالها حياة الكادحين ومايعانون من شظف العيش حتى إن الحياة قد تستوى لديهم مع الموت .

والبحر ساكنا .
والرجل المسكين رفيق الليل الموحش ،
وهو يتبع هوى قلبه الحسير ، يبحر
في بحر خال مهيب ، يغنى :

(تعال أيها الجميل
ياصاحب قوام الغزال
والعيون الجميلة)

لكن لم يمض وقت طويل
من الليل بضوء قمره الخافت ،
حتى أفلتت الرياح لجامها
وهبت على البحر من كل صوب .
وعلت شيئا فشيئا
زمجرة البحر الهائل وهديره .
وتتابعت الأمواج ،
ومن ذاك الهياج ،
علت موجة فوق كل موجة تفر .
و ماكان بيد الرجل ، أفلت
وحل محله الخوف .

واضطربت نفسه من هياج الأمواج
ودقق الفكر فى أمره .
قال فى نفسه : (أية ليلة هذى !
إنها مظلمة رغم ابتسام نور قمرها .
وعين هذا الأزرق ،
كم تحملق فىَّ بوحشة !
والوعتاه !
من يحرسنى فى وحشة هذا الليل البهيم ؟
ومن يملك دواء لحالى ؟
ومن يجلب الرزق ليدى الخاوية ،
فى هذا البحر الخضم ؟
وأى نور للأمل هنا ،
إذا انطفأ كل مصباح على الساحل الساكن البعيد !

وأنا خالى الوفاض مسكين ،
فأين سأذهب ؟
وأين المفر ؟
فمع مرور الليل ،

قد آوت كل سمكة إلى ناحية ،
فلم تبق سمكة صغيرة ،
ولا كبيرة .

ماذا يخفف متاعب عملي ...
ولماذا أظل أسير الجسد والروح ،
من أجل أنفاس سرعان ماتزول ...
أليس من الأفضل أن أقترب من النهر رويدا رويدا
لعل سمكة تقع فى الشباك ؟)
وبعد هذا القول ،
حرك مجدافه فى يده ،
وكسر قلب الأمواج المتدفقة
وتحرك فوق الأمواج بكل صعوبة
وكل مايفكر فيه :
يجب أن أمضى فى طريقى
فلن يرعانى أحد .
- مهما ينفون - فكل إنسان وحيد .
ومن يرعانى هو عملى .

ولا أريد أن أبقى أسيرا .

وحين يشرق الصباح ،

سيعلم كل إنسان ويعذرنى

ويعرف لم ذهبت إلى تلك المياه البعيدة ،

ولم كان عذابى .

* * * *

وحينئذ ، إن كان سيربح أو يخسر ،

فقد سار فى طريقه يفكر فى أمر آخر .

يأخذه الولع بالبحر ،

حين ينصت لكل صوت ،

ويبدو له أن العابرين

يرددون اسمه .

وظل البحر هادئا ،

وهيبة ظلمته تهمس بنشيد صامت فى أذنيه .

وبأصواتها التى تشبه صوت قلبه ،

كانت تمر حية أمام عينيه

الأشياء التى يحبها .

فما كان في قلبه ،
بدا أمام عينيه .
كما لو كان البحر ،
يشاركه .
فالأمواج تتراقص
حينما تعلو وتهبط .
ولو غلبه النوم ،
لتسلل عقله من رأسه
منتشيا إلى الماء .
وانحصر فكره في : إلى أين
يحمله القارب .
وأنىّ له الخلاص من وسوسة الأمواج ،
وهو يسوقه بخياله سعيدا إلى المجهول
ويغني .

* * * *

وبينما كان على هذه الحال ،
من بين تلاطم الأمواج المزمجرة

بدت أمام عينيه فجأة ،
فاتنة أعماق البحار .
عارية القد ،
تشبه بسيل دموعها الحارقة
شمعا يحترق من رأسه إلى قدمه .
ينساب شعرها على كتفيها
والأعشاب البحرية
معلقة على كتفيها ، كأنها لباسها .
قالت له : (لم حمَّلت نفسك كل مشاق الطريق
أيها الرجل ولم جئت إلى هنا ؟
فى قلب هذا الليل البهيم الذى
صار ضوء قمره ثمالة فى قاع زجاجة ؟
وبعصاة ضعيفة
وقارب يتأرجح
تغدو لمسة موجة خفيفة لطمة له ؟)
فقد الرجل القدرة على الكلام ،
وظل مجدافه فى يده ،
كخيال مكبل .

ومن شدة الخوف

وقف شعر جسده .

وبشفاه مرتعشة

تحدث إلى قمرية البحر تلك :

(يا عاقلة العقلاء ،

وربيبة الأعماق ،

وابنة مليك هذه المدينة ،

إننى برىء ،

عملى الصيد فى المياه .

وعلى أمل رزق ضئيل ،

أهدرت عمرى فى المياه .

ليس هناك من هو أضيق رزقا منى ،

فى دنيا يعيش المرء فيها بدم القلب .

ومع أن معاناتى تفوق آلام الناس ،

فإننى أضعفهم جميعا ،

وأقلهم حظا .

فلم عتابك ؟

وبم أجيبك ؟

لم يتقدم بى العمر ،
ولكن ضعف جسدى .
فمشقة عملى صارت ،
كالمبرد لجسدى .
وأذابنى الماء ،
وسحق عظامى .)
قرأت فاتنة البحر أفكاره ،
ونفذت إلى قلبها .
فأجلسته على صخرة
وتلطفت فى الحديث إليه :
(لم تظن بى سوءا ؟
ولم الخوف دون داع ؟
ولم تتحدث إلىَّ هكذا ؟
تشجع أيها الرجل ،
ولا تعد أدراجك .
ودعك من الضيق ،
ولا تخف ولا تغتم .

أيها الصياد المسكين !

من أين تأتى ؟

وأين تسكن ؟

من أى مدينة أنت ؟ ومن ملك تلك المدينة ؟

لاأحد أكثر منى رفقا ،

في الدنيا التى تقول عنها : " العيش فيها بدم القلب "

لست من تظننى ،

فأنا عون لك .

لماذا تسىء الظن بى إلى هذا الحد ؟

تقدم وكن معى واستمع إلىَّ .

أنا وليدة البحار العميقة ، بيتى الأمواج ،

وحيدة أكثر مما تظن .

ولأبعد مما يصل إليه فكرك البشرى الحاد ،

أو تقصرعنه الآمال ،

فأننى أكثر الجميع جمالا .

وأنا آسرة قلوب الناس .

وكل لحظة مفقودة فى روعة وجه السحر ،

بدا فيها وجه القمر شاحبا

والليل يودع معها آخر لحظاته ،
تردد قصة حزينة
اسمى ،
وتحمل رسالتى .
ولايستطيع أى إنسان ـ أيها المسكين ـ
أن يرانى كما ترانى ،
أو يصل إلىّ كما وصلت أنت ببساطة .)

* * * *

وجم الرجل فلم يقل شيئا .
وسرب من الطيور ،
يدور قرب رأسها .
كأن شمعا يشتعل
أعلى قارب يقترب منهما .
وعلى صفحة الموج ،
تمر الأيدى
عارية متشابكة
راقصة ، ثم تمضى .

* * * *

كانت الأمواج تتلاحق ،

من أعلى إلى أسفل

ومن أسفل إلى أعلى .

كان البحر يتلاطم ،

فيسمع صوته من بعيد .

* * * *

قالت فاتنة البحر له :

« لم تظل صامتا ؟

– فمن الشيطان الرجيم –

إن لم يظهر لك صيد ،

وإن لم توفق فى عملك ،

فليست نهاية العالم .

فلتفكر ،

ولا تسأم !

لكنك لم تقل ،

ما اسمك ؟

في قلب هذا الليل المظلم ، وفي البحر الغادر الذي يشبه القبر

يتسلل الخوف حتى إلى قلب الشيطان .

فلتغمض عينيك ،

إن كان البحر يخيفك .)

أجابها الرجل المضطرب :

(لقد فكرت في كلامك الجميل .

وأقدر كل ماقلت .

لكن مافائدة أن تعرفي

اسمي ومكاني على الأرض ؟

ومن يهتم بي أو باسمي !

وفي معركة مخيفة كهذي ، خضتها بسبب ضيق الرزق ،

من يهتم بي ؟

ومن يداوي جرحي العميق !

وحين تُذكر أسماء الناس

فمن أكون أنا حتى يذكرني أحد .

يا أفضل وليد للبحر العظيم ،

كما قلت لي ،

فإن اسم " مانلى " للذم

إن يذكره أحد .

ففى البستان الحافل بالأزاهير ،

مالى سوى الشوك .

فانظرى إلى كدى

وعملى ،

لتعرفى كل شىء عنى .

لقد أذاب سيل العرق جلد جبهتى ،

وذهبت المشقة بشعر رأسى .

والموت يدق بابى كل يوم من قهر الفقر .

آه ! ما أطيب هدوء الماء ،

وصفاء الهواء .

ألم تسأمى من لقائى !

* * * *

أجابته فاتنة البحر :

(لا ، أنك أجمل وأفضل إنسان ، فلم الحزن ؟

هنا حيث تعمل

وعملك أيضا جميل مثلك ،

ينفعك وينفع الآخرين .

الذم والتحقير لايقلل قيمة أحد ،

فلكل سبيله .

ومن يدرك قيمة الآخرين ،

يخلو قلبه من الغل والغش .

ولابد لعين القلب ،

أن ترى فى كل لون معنى .

فلم تفكر دائما ،

ماذا زرعت وماذا تحصد ؟

ولم صرت مفعما بالحزن يا " مانلى " ؟

ولم تغضب من القدر هكذا ؟

قال :

(رغم طيب كلامك ،

فبم أجيبك !

ومع كل ماسمعته من أهل الأرض ، فما أصعب

السنون التى مرت ، لكننى

مع هذا القارب دون لحظة خمول ،

أخوض كل ليلة معركة مخيفة مع البحر المهول
حين أركب القارب ،
فكيف أحصل على ما أريد ؟
فالدنيا مليئة بالعبث
والجميع يكذبون ،
فلا تهتمى بكلامى ،
ودعك منى .
فإن المساكين
الملهوفين على قوت يومهم ،
يبذلون ما بوسعهم
للحصول على أى شىء .
فيعملون الليالى الطوال من أجل نفع ضئيل .)

* * * *

قالت الجميلة البحرية :
(إن جهد فرد واحد ،
غالبا مايكون دون عائد ، لكن
مع الجهد المتواصل ،

تظهر قيمة الرجل .

وإن كانت الحياة

صعبة عليك ،

والرزق قليل

ورزقك بقدر عملك ،

فهناك مايعوضك .

فقد جئت من طريق بعيد ،

تنظر من قريب ،

إلى البعيد .

ولأن الحياة ليست سوى مخاطرة ،

فلاتكدر خاطرك .

وتقبل الأمور بساطة ،

حتى لا يصعب عليك الأمر .

ولاتقض عمرك هكذا ،

ولا تحزن .

فنحن سواء فى الحزن ،

ولكل منًا همومه .

ودون المعاناة ،

لا تكن حياة

ولا عاقل بين الناس .

ولابد من نقصان شيء ،

لإتمام آخر .

وكل من ينشد الكمال

في شأن ما ،

فلابد أن يتغاضى

عن الكمال في غيره .

وهكذا الحياة .

ألا تسعى من أجل نفسك وزوجتك ،

وتدع ماعدا ذلك ؟

لكن في نفسي شيء ،

فأجبني عنه بصراحة :

أأنا أكثر بياضا ، وجسدي أكثر نعومة أم زوجتك ؟

وهل تبدو عيوني أم عيونها

أكثر اسودادا برأيك ؟

* * * *

وبعد هذا السؤال رأى الرجل أنها أجمل .

حقا بأى جمال زُينت !

لم ير لها نظيرا ،

فى دياره ولامثيلا .

إنها ساحرة فاتنة ،

تسلب الألباب !

كأنها زهرة صيغت

من ضوء القمر وغُرست فى الماء .

ومن أعماق تلك المياه الهائلة ،

تجسد معنى الخلق .

لكنها تقارن بينها وبين زوجتى فى كل شىء ،

وظل حائرا ،

واتكأ على قاربه .

وقال لها :

(ليست زوجتى كذلك ، ولا أريد ذلك .

فكل جميل يضحى خشنا إذا ماصار لى ،

ولو كان حريرا .

وما من شىء ،

يبقى معى رقيقا .

والدنيا كلها سوداء فى نظرى ،
ولا يبدو شىء أبيض فى عينى ،
حتى ألحظ بياضك أو بياض غيرك .)

* * * *

ضحكت فاتنة البحر برقة وقالت له :
(مادام كل شىء يبدو لك أسود ،
فبأى جميلة تزين دارك ؟
أيها الكاذب المحتال !
أتحداك أن تواجهنى بمثل هذا الكلام !
فلم التدلل الزائد ؟
ولم اعتبار الناعم خشنا ؟
ولماذا تقول
إن سمك (الثعبان) ناعم الجلد ،
بينما تود لو ـ من نافذة بيتك ،
الياسمين بجسده العريان وساقه البيضاء ـ
يتسلق إليك ويطل عليك ببسمة أزهاره ؟
آه ! عرفت الآن .

لعلك تعلمت ذلك من جيرانك ،

الذين لاينطقون سوى الرياء ،
ودائما يرددون :
" لا يجب الاهتمام بما ليس له بقاء . "
ولكن لدينا ، ما يبقى ومالايبقى فهو معنا .
ولأجل الحركة الهائلة ،
يكون السكون .
كما يكون النوم لأجل اليقظة ،
أو لانطلاق الطوفان ،
سكون بحر عميق يزخر بالمياه .
والدنيا قلب مفتوح ، فلم نغضَ عنها ؟
ومن لا يعرف الجمال فى حياته ،
فلا جمال فى مكان هو فيه .
ومن يلتمس معنى هنا ،
تنفتح عيونه علينا
فتختلط المياه بالألوان .

* * * *

" مانلى " . أيها الصياد !

الجار قرين الجار،
لاأقول بهتانا ، ولكن
أخبار من ينظمون الغزل وينشدون الأناشيد
خلف كل حجاب ،
قد بلغتنى بحلوها ومرها .
وما يحدث للأحباب ،
فى تلك الدنيا الخانقة ،
وفى تلك السجون المميتة ،
وما يصيبهم من عنت صباحا ومساء
فهم غرقى رغباتهم .
ومن صوت القبلات المتتابعة ، لماذا
يضيع نوم السحر اللذيذ من عيون ثقلت به ؟
وحتى يتنفس الصباح ، من الذى
وقف ساكنا مستندا إلى الجدار ؟
ولم البسمة المضيئة ؟
ولم البكاء الملتاع ؟
أليست الإرادة ،

هى مايجبر الإنسان على الحياة ؟

* * * *

لقاؤنا معا : أنا وأنت والبحر والليل ،
هو ما حملنا على الثرثرة
لكنا لسنا فى ديارنا ،
فأنا وأنت وحيدان .
أيها المسكين . لم لا تملك شيئا قط ؟
ولماذا أهملت الحياة مع الناس ؟
ولماذا تخيلت أن الأمر يستقيم بانعدام الألم ؟
وأنه ليس على العظام إلا العروق والجلد ؟
وأى رياء بكفه الخالى ،
يحب المساكين !
وتفر النفوس من المتعة ،
كدخان ألقى بجسده هاربا
من نيران جهنم الحمراء .

* * * *

آه ! عرفت لم اعتدت على هذا الخلق .

من كثرة ما خابت آمالك ،
فترت همتك ، وثبطت عزيمتك .
وكنت من قبل تقرن بين أحزان الحياة وبهجتها
وتعزى قلبك الحزين ،
بأن تضحك من كل شيء .
ورغم أنك أكثر الجميع استحقاقا ،
إلا أنك أكثرهم معاناة ،
وأبعدهم عن الثناء .
وكأنك تنحدر من عل ،
حين لا تنال المراد .
فماذا أفضل من دنيا جديدة
تجد لها معنى ،
ولنفسك مكانا ؟
حيث الجميع غرباء .
ويكفيك هناك ،
ألايعرف الجميع آلامك
حين تسيل دموعك كالشمع

حزنا ، فلن تكون كالآخرين
أضحوكة للحمقى ،
بل تنال ما تستحق ، فما رأيك ؟

* * * *

لكن أيها المحب للبحر
لا تحزن لهذا ،
وانتبه ؛
فسأعطيك أفضل من كل هذا :
سأتعهدك بالرعاية ،
ولن يكون سعيك إلى رزق ضئيل .
والماء العظيم سيكون ميسرا لك ،
وإن تكن أمامك عقبة
فتأتى إلىَّ ،
أنثر بين يديك ماأراه حسنا ، وأزيد
من زهرات المرجان وحفان اللؤلؤ .
فلهذه الأشياء قيمة على الأرض ،
ولها رونقها فى هذه الدنيا الفانية .

وسأبذل كل جهد ،

وأقدمه لك وأنا سعيدة .

ومن ألوان الغروب الراحلة

حيرى مثلنا ،

تقفز من حجر إلى حجر ،

سأضفى لونا على حياتك ،

لأسعد أيامك

وأُضىء لياليك .

وأُنزل نبع النور ،

من الفلك الأعلى ،

لأصنع لك رداء

وأنسج من أجرام السماء السائرة إلى الصبح المنير

على صفحة الماء ،

ما يليق بك من ثياب .

وسيكون لك كل ما تريد ،

وكل ما أملك من دوران الماء ،

وكل مالى فى البحار العظيمة ،

سيكون لنا معا .

وبعيدا عن أعين الغرباء ،

سنقضى أيامنا فى سعادة .)

* * * *

لمعت عينا الرجل الحيران ،

مما تقول .

فلماذا تهتم به !

وتسمر كمسمار ثُبِّت فى مكانه ، فأذنه عقل

وأذناه عين ،

وعينه أُذن !

ومع أنه سعد بما قالت ،

إلا أنه لم ينطق بكلمة شكر .

وعرفت تلك المخلوقة البحرية أنه

قد استغرق مفكرا فى كلامها .

فقالت لنفسها فى صمت :

من حُمت حوله ، ودققت فى أمره

قد اقترب منى الآن .

نعم ، إنه يحترق

لكن الدخان يتصاعد من الاحتراق
ولايرى أحد ضوءا
إن لم ير احتراقا .

* * * *

ولكى تجذبه إليها أكثر ،
تحلت بغمزة أكثر جمالا .
وكانت على صفحة الماء ،
كسحاب ملون بضوء القمر .
وعلى صدرها الفتان حبتا رمان ،
كأنهما روح تتصل بالجسد .
وتأوهت وهى تتحدث
بكلام أكثر سحرا من شفتيها الحلوتين :
(نعم ، كل ما تشتهى فى أعماق البحر ،
أكثر جمالا مما على الأرض .
وفى الأعماق من هم أفضل من البشر ،
إن كانوا حقا بشرا .

* * * *

ففي قاع البحر ،

كل شيء أزرق .

و طينته من المرجان .

وسترى كل ماتفكر فيه :

جميلات مثيرات ،

يرقصن فيذهبن بالعقل .

وأطيارا تغرد ،

في الرياض المزدانة بالألوان .

وكل منهم بمنقاره ،

نشد لحنا .

والأزاهير الخلابة ،

تبتسم كل لحظة بلون مختلف .

ولو تسلل شذاها إلى أنفك ،

لظللت طوال حياتك ثملا .

* * * *

آه لو علمت كثرة

من حظوا بذلك

فقضوا حياتهم فى البحار .

يامن اقتصرت على الطعام والنوم :

لتقم بما ينبغى لنفسك ،

ولتجعل عينك تسمع ،

وأذنك ترى .

* * * *

والرجل المسكين السجين طوال عمره

لم يذكر يوما

ولاتمنى لحظة

أن يجد مايوافق مراده .

(أية ليلة بدت للمسكين فيها حقيقة بؤسه)

لكنه فى هذه اللحظة ،

كان أكثر اضطرابا واستغراقا فى التفكير .

يرى أن الليل قد مضى وأضاع فرصته

وما بقى من الليل ينقضى ،

والقليل الباقى

ينفقه فى الكلام .

فنظر إليها بسرعة ،

وانتصب واقفا

وقال لنفسه :

(لم العناء ؟

ماذا تملك لى ،

حتى جعلتنى أتسمر مكانى ؟

ولم كل هذا التوقف فى الطريق ؟

وماجدوى معرفة اسمها ورسمها ؟

ولم أذهلتنى بكلامها ؟

فأحاديث النساء معسولة .

إنه الليل ، والأمواج تتلاطم بشكل مهول ،

ومع مثلها تكون الفتنة .

وإن يغضب البحر منى

ويصرفنى عن عملى ،

فبم تنفعنى ؟

وهل يبقى لى كل ما رأيته منها ،

قليلا كان أو كثيرا ؟)

* * * *

ولهذا أخذ مجدافه

من قاع قاربه ،

وأطبق يده عليه

وقال فى نفسه :

(لايكونن للشيطان

سبيل إلىَّ ،

لقد أسرتنى بكلامها

فلعنة الله على الشيطان .)

وشغل نفسه بفكرة أخرى ،

منشغلا بعمله .

وضرب بمجدافه ماء البحر ،

فبدا كقطعة معتمة وسط ضياء القمر .

وتلاحقت الأمواج متقاربة ،

تتدافع كأنها تتسابق

إلى ركن بعيد خفى ،

حيث يتدفق الماء إلى منحدر .

وأمام عينيه على الساحل القريب يبدو ،

كوخ خرب لصياد .

فيه ضوء خافت يتلاشى لموقد ،
وترسو بجواره بضعة قوارب .
ومثله تماما لايبدو ،
أحد يهتم بها .
كل ما يراه يبدو حزينا ميتا ،
وهو يعانى سيلا من المرارة
فأشاح بوجهه ، لعل عينه
لاتقع على هذه الأشياء .
أو لعله لايرى كثيرا ،
مما يحزنه .

* * * *

ولاح له من بعيد
ناى الراعى ينشد لحن الرحيل ،
وعلى صوت الناى ، شخص يغنى ، حزينا ككل شىء :
(أنا من سكن دائرة العشق
ظلم ، إن أدع قلبى التعب بعيدا عن الوطن ،
ينهمر سيل دموعى مع هوى القلب

وألما إن لم أسرع إلى منزل الأحبة .)

* * * *

لكن عينايه وقعتا على
أشباح بعض السكان ،
في مواجهته تماما ،
يقطعون عليه الطريق . لكنه ...
– مع أنه قطع الطريق بخياله ـ
عاد إلى حيث كان .
وكأن يدا تسلبه كل شيء ،
لم يعد يميز شيئا .
يهمس له رجل قائلا :

(توقف يا " مانلى " ، لاتذهب
فالبحر هادر غدار ،
وتلك الجميلة وحيدة .
يا أسير الماء والطين ،
لتفكر قليلا فى قلبك ،
ولتسمو بفكرك .

إلام تبقى سجينا ؟
ولم هذا العناد ؟
تعيش كالحيوان من أجل العلف والماء ،
فما هدف بني الإنسان ؟
لتخط إلى الأمام
ولترفع يديك لأعلى
ولتكن لنفسك
ولاتُضع أيامك هكذا .)

* * * *

قال : إنها فتنة .
قال : لتُفتن .
قال : لقد سلبتني
كل ما أرادت .
قال : كف عن هذا القول ،
فصاحب الوجه الجميل يسلب الناس ألبابهم .

* * * *

قال : هل أمسك بيدى

تلك الجديلة السوداء ؟

قال : ولم العجلة ؟

قال : وإن يهزأوا بى ؟ قال :

حين يضحك السحاب الأسود فسرعان ما يبكى .

* * * *

ولكنى يا رفيق لياليَّ البحرية ،

كنت مثلك فى هذا السبيل

لك فى قلبى كلام ،

لم أطلق لسانى به .

يقولون : الدنيا ظالمة ،

ليس لها مثل رحمتى بإنسان .

ونكون أكثر ظلما ،

حين لانتكلم

متناسين كل مايحدث .

فأنىَّ لقلبى ،

أن يحيا بصفاء .

* * * *

أطلت فاتنة البحر ،

بعينيها الزرقاوين .

وركزت عينيها عليه بنظرة تأسر الروح ، وقالت :

(لم التردد والتراجع ؟

ماذا حدث لك أيها الصياد ؟

ألا من سبيل إليك ؟

أتحن إلى دار الوحشة والأذى ؟

حيث الحياة أصعب ،

على من هو أكثر عقلا ؟

الحى فيها : عارٍ نائم بجوار جدار ،

والميت فيها : قد غُطى قبره بأحجار ثقيلة .

ليس فيها خال من العشق ،

ولافيها حديث يخلو من الخطر والقلق .

ولارشفة فيها بغير سموم .

ولابغير خداع وتضليل ،

يمكن أن يحبك أحد .

آه ! واحسرتاه !

فليس للعقلاء

في الدنيا مكان للحياة !

* * * *

وأظن أنك نسيت كيف كان حالك .

فأنت إنسان تصبو إلى الكثير ،

وتريد أن تحوز الدنيا بقبضتك .

وإن يكن الحجرمن ماء ، أو الماء من حجر

فإن أصدقاءك المقربين ،

يضعون أعينهم عليك .

فما أمرك معى ؟

لو كان جسدك متعبا ،

فأنا عون لك .

وإن انفلت من يدك المجداف ،

فليس إلا آلة .

ولو جذبت المرساة القارب لأسفل ،

سوف أرفعه لأعلى .)

فقال لها :

(لا ، إن مجدافى ينساب بهدوء فى يدى

ولاذنب لقاربى ،

ولم يسبب أيهما الأذى لى .

لكن أفكارى أثقلت روحى ،

وصارقلبى أسيرا لك .

وبكلامك الدافىء المعسول ،

صرت مسحورا .

مهما كان طريقى وعرا ،

وما أمامى صحراء .)

* * * *

ونظر إليها بعيون مفعمة بالأمل تقول :

(لقد انقطعت بى السبل ،

وقصرت أنفاسى

عن بلوغ مكان .

فإن لم تكونى أنت من يمنحنى الراحة ،

فإلى أين أذهب ؟

وإلى من أنظر ؟

يا دواء عينى ،

أنت من يروى ظمئى الآن ،
ولاأستطيع أن أخفى حبى لك ،
ولايمكن لقلبى أن يفارقك .
فلا تتركينى ، فذاك الخراب .
وتحرقنى نار وجهك ، وأنا على الماء .
فأنا الترابى الفانى ،
وليس هناك من يداوينى .)

* * * *

قالت تلك الفاتنة له :
(لقد كان لى أمل دفين
فكن عينى ، وكنت كلاما فصرت أُذنا
تسمع حديثك .
ومازال فى عمرنا بقية ،
لننطلق من المعلوم للمجهول
والحياة تحتاج ،
لكل غامض .
فإما أن تعيش لجسدك ،

أو تزين بالروح الجسد .
وسيأتى زمان يا " مانلى "
لن يبحث إنسان ،
إلا عن هذا الدواء
فيكون الحى حيا برؤياه ،
كما يحيا بأمله .
وستكون هذه القوة أقوى مايملك ،
وحين تتأمله ، تجده أكثر حياة .

* * * *

حقا أيها الصياد .
فى الوجود والفناء ،
يكون القليل والكثير .
وحين تخطو بقدمك تريد أن تمتلك شيئا
ـ ورغم أن ما تمتلكه قد
يبدو قليلا أو كثيرا ـ
فإنك تصبو إلى شىء
لتمتلك أشياء أخرى .

ما أجمل أن تلحق بى
فهذه هدية الليلة ،
ولقائى كان معك .
وقد قلت لك ما قلت . آه ، انظر
إن الماء يبتسم مع دوران القمر
بلسان صامت حين يعانق الشاطىء .
والنرجس الثمل ،
يفتح عينيه ليخرج من وحدته .

* * * *

أيها الرجل : لقد خلصت قلبى من الهموم الليلة ،
ولا أخفى عنك .
أتعلم لماذا ؟
مع مقامى العظيم فى بلدتى البحرية
فإننى وحيدة ، آه !
مثل الميت ، بعيد البون عن الأحياء
والشمع الضاحك مشتعلا ، لكن فى القبر .
مصيبة الوحدة ،

أعانيها بشدة .

وأتحرق للحديث لحظة مع عاقل ،

وأنا هناك حيث أعيش .

وأنت الرجل الذى حلّ عقدتى

ولاأستطيع ، مثلك ، أن أبتعد عنك ،

حين تنفك كل قيودى .

فإن شوقي إليك ،

يسكن روحى .

آه ما أجملك !

بل أنت أجمل الجميع !

ومهما يبلغ عمرك ،

فأنت الأكثر شبابا .

وإن لم يتعلق بك إنسان

فصدقنى يا " مانلى " ، إننى أحبك .

وكان قلبك هو

ما يشغلنى فى نومى .

وكل شريان فى جسدى مفتون بما لم تقله شفتاك .

فقلبك ساكن من ثقل ما يحمل .

وآه من حلاوة شفتيك ،
كأنها مستقر للقبلات الملتهبة
كان يوما ، وأى يوم !
لكن الوقت تأخر الآن .....!!!

* * * *

واحسرتاه ! إننى حزينة !
فقد استولى الألم
على حياتى .
ومن ألمى ، يقطر لسانى ألما .
كما فى تلك الأرض
يعانى الناس الآلام ،
فالآلام أيضا فى البحار .
وقد أخبرنى السحرة ،
أن دواء آلامى
لايوجد إلا فى طعام ترابى .
فلا طعام لى
إلامن مائدتك .)

* * * *

فقبض ذلك البائس
قبضة من الأرز الناضج
كان يختزنه كزاد للطريق
وأعطاه لتلك الجميلة قائلا :

(أيليق بك هذا !
لكن الجواهر تشبه الفخار ،
وعين الماء تصب فى البحار .)

قالت فاتنة البحر :

(لكن ،
وأنا مليكة البحار
أخرجنى شوقى إليك إلى صفحة الماء .
أيها الأرضى ،
مع الغرباء المفتونين بك ،
لا تُفتن بحب آخر .
والهواء على سطح البحر ،
يجفف جلد جسدى الرقيق .
فلو تتفضل ،
وتغطى جسدى بثوبك ؟

أسرع الرجل فخلع
ثوبه القديم و أعطاه لها .
قال : (ليبعد عن جسدك كل مرض سيئ ،
وليكن على شفتيك كل شيء لذيذا .
هذا ما طلبته منى ،
لكن للمساكين طلب عندك ،
ألا تجعلى الجبين ينضح بعرق الخجل .
فأنا متعب النفس محترق الفؤاد ،
ومن كثرة ما خطت فيه من رقع ،
صرت حيا كما ترين فى أسمال .
فأمثالى فى الحياة ،
لايُبلغهم عملهم مكانا .)

* * * *

مدت البحرية يدها الباردة ،
ووضعتها على كتفه العارى ،
فبدت لها عظامه بارزة .
فأثنت عليه قائلة :

(مع من أنا ! ومن معى !
آه ! ما أطيب هذا ! وما أجمله !
أى عظيم أنت !
وأى عاقل ،
ماهر فى عمله .
الحبيب لايبحث إلا عن حبيبه ،
وما يعرفه عن نفسه يعرفه عن حبيبه .
وطالما بقيت حية ،
سيكون أمرك إلىَّ ،
لأننى سعيدة بك .
حقا إن الأغنياء ،
قصيرو النظر ضجرون .
أما الرحمة والسخاء ، فلدى الفقراء .

إننى قلقة مضطربة ، ولكن
لا ينبغى ذلك الآن
مادمت أتحدث إليك .
لقد تمردت علىَّ كل أسماكى ،

وهربن منى جميعا إلى الماء العذب .

وبقيت متحيرة أفكر ،

كيف أتخلص من هذا المأزق .

فهل تعيرنى أيها الشهم

شباك صيدك ،

فربما أمسك بهاتيك القاسيات العنيدات ؟)

* * * *

والرجل الذى أعطاها كل ما يملك ، أعطاها هذا أيضا .

ـ ومع أنه دون أدواته ،

لم يكن ينام الليل هادئا ـ

لم يجد غضاضة فى طلبها .

* * * *

وجلس فى قاربه ،

وقلبه معلق بفاتنة البحر ،

وعيناه على فمها .

فتح ذراعيه

وكأنه ذهل عن نفسه ،
اندفع إلى أحضانها .

* * * *

ضحكت فاتنة البحر .
وابتلعهما البحر فورا .
ومع دوران الماء ،
لايبقى جميل ولاقبيح ،
ولاسرور ولاعذاب .
رسم الموج دوائر ،
تتابعت واتسعت ، وبدت صغيرة بينها
دائرة ضوء القمر على الماء .
ثم تواصلت ،
كحلقات من سلسلة
حلقات من الذهب المذاب فى الماء .
كما لو كانت على هيكل من نار فى واد سحيق
قد صُبت بغزارة ،
هياكل كائنات عدة

فتهرب مضطربة مسرعة .

* * * *

واختفى القمر بين السحاب ،
فاختفى أثره من على الماء .
وثقلت صفحة الماء .

* * * *

مع تصارع المياه ،
حين تبدو وتمضى مسرعة ،
كأنها كائنات
تسرع فى طريقها .

* * * *

ولكن ، صوب الساحل الخالى
كان قارب يسير بغير صاحب .
وكان كل شىء فى مكانه ،
والأشجار قائمة فى الطريق .

وعصا " مانلى " الخشبية ،

فى نفس مكانها

بجوار حجر .

* * * *

وحين كانت معركة الوجود

يتصاعد منها دخان السحر ،

رأى ذلك الصياد

نفسه على الشاطىء قادما من الطريق .

وبدت القرية قريبة منه

وأعلى حمامه ،

سقف يشبه القلنسوة .

لكن لم يكن أحد يسير فى القرية .

هناك فقط رجل خلف شجيرة ،

يمسك عصا ويسير مبتعدا .

* * * *

يُحكى أن

تلك الفاتنة قالت له :

(حبالك وشباكك معى ، هنا فى البحر
فلتعد إلى منزلك ثم تأتينى مسرعا .)

* * * *

ومع أنه فكر بروية ،
لكنه لم يعرف لماذا جاء .
ومتى ستكون عودته .
والطرق التى سلكها
فى الليالى الأُخر ،
قد نسيها .
فأنفاس البحر ،
قد أسكرته .
وأصبح ذاك المسكين ،
يتمنى التغيير .
ومحبوبته البحرية ،
تناديه من بعيد .
وفى فكره ،
كل أحلام الليلة الماضية .

* * * *

هذه المرة رأى نفسه وحيدا فى الغابة ،
وقد تشابكت الأغصان وسرى صوت خفى بين الأغصان .
كأنما فى خراباتها ،
قد كمن فم مفترس
يضغط أسنانه ببعضها .

* * * *

لكن ، ما أفضل من هذا ؟
خلافا لليالى الأُخر ،
فكل ماأسرًته إليه
وكل حسن أو سيئ فى الدنيا ،
يردده القلب خفية .
وألصق تمساح نفسه بحجر
وقال ـ بجسده الرصاصى اللون ـ :
(وصلت متأخرا من السفر
فقد أسفر الصبح ،
وتلون الليل بالندى ، وجرى الماء .)

* * * *

وعلى مرمى أقدام منه

رأى زهرة " نيلوفر " زرقاء على شجرة صفصاف .

فقالت الزهرة البرية له :

(صدق ذلك الحيوان .

فمن خلف هذا الحجاب ،

يأتى السحر

ويهل الضياء .

وزوجتك عينها على الطريق ،

فأسرع يا مانلى ، فقد أشرق الصباح .)

* * * *

وصاح الديك يناديه من بعيد ،

أن : تعال من هذا الطريق .

وفى ظلام عميق كالبغض ،

ينتهى إلى مضيق

تجلت أمام ناظريه بقعة ،

بدت فيها زوجته وبيته .

فرأى زوجته تنتظره ،

تغالب النعاس أمام موقد ،
يحترق فيه بعض الوقود .
ورأى كلبه " بابلى " ممددا ،
ينظر بعينيه المسبلتين إلى طريق البحر قلقا .
يغلق عينيه ثم يفتحهما متعبا :
متى سيعود ؟

* * * *

قال لنفسه : (الجميع أيقاظ فى انتظارى !
فماذا أحمل لهم ؟
حتى الخميلة ،
كأنها فى ليالى الربيع
تهتز فتهز اليراع .
لم يتأخر أحد فى عمله مثلى ،
ولم يقاس أحد بقدرى .
فما أكثر ما عانيت واستمتعت خفية !
وأية أفكار تبعدنى الآن .)

* * * *

ثم عاد فقال في نفسه :

(لم صرت مضطربا ؟

ولم تحيرت في آخر العمر !

من أين يأتي هذا الكلام ،

ومن يفسد روحي !

وأية خدعة ،

ألقتني في الماء ، وأثَّرت فيَّ !

حتى صار كل شيء غريبا عني .

أيكون قلب البحر المجنون ،

قد جعلني مجنونا مثله ؟

لم يبدُ كل شيء بلون البحر في عيني ؟

وعلى هذا الحجر ،

من أين أتى " نيلوفر " أزرق

بزهرته المبتسمة ؟

* * * *

واها ! لقد طويت ذلك الطريق الطويل

وكنت نائما طوال الليل في بحر كهذا ،

وأنا الأرضى عاشق البحر ،
أرى كل ما حولى بحرا .
ويسلبنى كل ما أملك .
فمتى يبدو لى طريق ؟
وإلى أين أسير ؟
وإلى أين يحملنى الطريق ؟
بينما جسدى على الأرض ، فعينى على الماء
ولكل منهما عذاب .
وماذا أفعل بالجسد ، إن تجاهلت العين ؟
وإن اخترت العين ، فما أفعل بالجسد ؟
فإن يكن الأمر كله ضر ، أو كله نفع
فقد قرر البحر مصيرى ، وكيف سيكون !

* * * *

وحين أعود للقرية ،
وألتقى بأحد فى الطريق
له صورة إنسان ، لكنه من أكلة لحوم البشر
أو بعنيد ينكر كل شىء ،

ويصعب عليه أن يفكر بسلاسة ،

أو صرت مع الناس كما يريدون ،

فأى كلام سيكون لى معهم بينما روحى ميتة ؟

وطوال عمرى سيكون علىَّ ،

أن أتجرع السم ألوانا .

وأعانى الملل من اللوم ،

الذى سينالنى منهم .

إن أستسلم لهراء

كل شخص ، أو لاأفعل ،

فإن شوقى العجيب للبحر

من تعرضى لأحجار الحمقى ،

سوف يُزين الجسد بورود دمى .

واأسفاه ! مع كل ما لى من قوة إبصار

فلابد أن أسمع كل حسن وقبيح !)

* * * *

حملته تلك الأفكار ،

على الإسراع فى الطريق .

ومع أن قلبه لم يكن يحركه من مكانه ،
إلا أن قدماه كانتا تسرعان به .
وكان أثر قدميه ،
يبدو أسرع مع كل خطوة .

* * * *

وكلما استغرق فى فكره المضطرب ،
كان يسأل نفسه مع كل خطوة :
(فيم قضيت ليلة الأمس ؟
ولم كنت فى ذلك الطريق ؟
وإن تسألنى زوجتى : أين ثوبك ؟
فبم أجيب ؟
ومن سيقبل هذا الكلام ،
بمعايير الدنيا ؟
فقد ظهرت سريعا ، ومضت ببطء
ومع اضطراب اختفائها ، لم ينظر إليها كل الناس .)

* * * *

ومع حيرته وسرعته

صارت كل كومة من تراب الصحراء ،

جسرا تحت قدميه على نهر من الماء .

وتكسرت الأحجار ،

لتصنع له طريقا إلى بيته .

* * * *

ولكن ، كلما وقعت نظرة منه

على الطريق ،

لم يكن يعرف إلى أين سيحمله الطريق .

فقد ضاع بيته من عينيه ،

ونفسه تهفو للبحر .

ومن كل قلبه تمنى ،

أن تسمع أذناه أسطورة البحر العظيم

وهى تنشد قصة حزنه .

ومن هذا المكان ،

عاد إلى البحر العظيم .

١٩٤٥

* * * *

بيت " سريفيلى "(*)

ساكنو وديان الشمال الجبلية الباردة

فى ذلك الزمان ،

كانت حياتهم هادئة .

ولم تكن أفكارهم تضطرب ،

من خداع الأشرار .

وكان كل منهم مشغولا بعمله .

ومن بين أوراق الأشجار الملتفة ،

تتسلل أشعة الشمس بلونها الخلاب . والليالى الرطبة ، ترخى أسدال الظلام

(*) فى منظومة (بيت سريفيلى) يحكى " نيما " قصة الشاعر الذى كان يعيش مع زوجته وكلبه فى قرية قرب الغابة . وكان يسعد بالطيور حين تحط فى صحن داره وتبقى أياما مغردة فيه عند هجرتها كل موسم .

وذات ليلة اشتدت أمطارها واكفهرت سماؤها وأظلم ليلها ، حل الشيطان ببيته يطلب المأوى ، ورفض " سريفيلى " ودارت بينهما أحاديث طويلة دخل الشيطان بعدها الدار ، وأخذ يقتلع شعره وأظافره ليصنع منها فراشا ينام عليه . وفى الصباح تحول الشعر والأظافر إلى حيات وزواحف ملأت البيت وخاف " سريفيلى " فأخذ يكنسها لكنها ملأت القرية . وبدأت حرب بينه وبين الشيطان وأتباعه . وظن أهله أنه قد جُن . وخربت داره . ومرت أعوام ، والطيور تأتى بالأعشاب بمناقيرها وتضعها فى المكان حتى أعادت بناء الدار . ويعود مع زوجته وكلبه ولكن للأسف ، لم تعد الطيور تحط فى صحن داره عند هجرتها . وظل تعسا للأبد .

على الخمائل فى صمت وهدوء .

و " سريفيلى " ذلك الشاعر القروى ،

قد أنس بحياة الريف .

فكان يعيش ،

سعيدا مسرورا .

وكان فناء بيته يمتلئ بأشجار السرو

الجبلية ، والنباتات وأشجارالورود

ـ التى جلبت بلابل الربيع بذورها

من الغابات البعيدة ـ

تلتف على جدرانه وسقفه .

والسحب الرطيبة ،

تناثرت فوق مراتعه

لتثمر أشجاره ما تمنى .

وعند الخريف ، حين يحل

بأحزانه الصفراء ،

كانت الطيور عذبة الألحان

تهجر أعشاشها الخفية
وتطير إلى بيته الفسيح .
وهناك ، بين أشجار الورود المصفرة
تحط لأيام .
وحالما يحل الربيع الأخضر الغض
بعرائسه الجميلة ،
تبنى تلك الطيور أعشاشها بين الأشجار .

وكان " سريفيلى " يتأمل تلك الطيور الملونة الجذابة
واحدا واحدا بنظراته الودودة .
والطيور ذات الألحان العذبة ،
تغرد له بنغمات رقيقة ،
فيطرب لها قلبه .

وأحيانا تحت السيف والقوس رمز شجاعة آبائه ،
وأمام السهم الأخضر العتيق المعلق على الجدار ،
كانت خلوته المفضلة لقول الشعر .
وأحيانا ، عند غروب الشمس فى الأيام السعيدة

كان يتطلع إلى الأبقار عند عودتها من المراعى ،
برؤوسها وقرونها الذهبية ،
ويستمع من بعيد إلى أصوات أجراسها
وقد امتزجت بأصوات لمئات الرجال والنساء .
وكان يراها بوضوح رغم غبار الطريق ،
كأنها صور باهتة مثيرة
خرجت من قلب بيدر النار .

ولكن ..
ذات ليلة ثقيلة ،
حل ببابه
محتال حقير
ذوخلق ووجه أسوأ من أقذار الطريق .
وكان للظلام فى تلك الليلة هيبة محيرة ،
كأنما حلت التعاسة بكل كائنات الأرض
فيهربون من بعضهم .
أو أن طبقات السماء الزرقاء قد اسودت ،
وانطفأت الأنوار .

أو أن كل ما يربط جسد الدنيا ،
قد انفك تماما .
لم يبق كائن في طريق الغابة .
وفرَّ كل شيء من كل مكان .
ولم يمض إلا قليل من تلك الليلة
حتى أرعدت السحب
وغضبت السماء فجأة ،
وماجت الأرض بالأعاصير
وامتطت الرياح جيادا جامحة ،
اندفعت نحو سفوح الجبال كالمغيرين المجانين .
وهاجت من مكامنها السيول والأمطار
وفاضت الأنهار مزمجرة بوحشية ،
كالحيات الهائجة
تدق الأحجار برؤوسها كل آن ،
وتجرف الأحجار والأشجار والتربة من بين الوديان ،
وتقتلع مئات القرى الجميلة والأسقف والأبواب والجدران .

وبدأ ذلك المحتال يدق أبواب الناس ،

بمخالبه وأظافره الملوثة بالدماء .

وكأنه وقع فى بلاء شديد ،

أخذ يئن ضعيفا ذليلا :

(سريفيلى ، يا شاعر القوم ، يامن يُلجأ إليه فى الملمات

يا أشهر أهل المروءة ومُكرم الأضياف ،

لقد أصاب الدنيا إعصار موحش

فأصابها بالمحن والأهوال .

فافتح باب البيت ،

فقد جاءك من بعيد ضيف متعب .)

قال " سريفيلى " :

(إننى سعيد ،

أضحك فى نفسى من ذاك المحتال

عجبا ! فأهل تلك المدن البعيدة

يحبون

أن يأووا الناس .

وهم يبدون مودتهم

مخلصين .

ولكن حينما

يذكرون عن الأشرار
قصصا قديمة ،
ومن أجلهم
يمدحون الحسن والسيئ فى قصصهم ،
كان غضبى منهم يشتد
وأسخر من فساد أمرهم .
فكأنما يسطو لص
على ذيل طاووس ، ليلون يده
بينما يملك جعبة ألوان .
أو يدعون أنهم عميان ،
لايرون أبدا روضة
لأنهم لايريدون أن يروا مصباحا مُطفأ
قد أُضيء تحت سقفهم العتيق .
لكنهم سمعوا اسم الروض ووصف المصباح
مثل ذئب شارد أو خنزير يجرى .)

ودون شك ، استطاع " سريفيلى "
من فتحة الباب أن يعرف بحدسه ،
أنه أسوأ فتن الدنيا .

وفى فكره السيئ قرأ سطور الأذى الشديد :

(آه ! ذاك الطريد المؤذى
يُبدى المودة لى ، فى ليلة عاصفة كهذى
يأتينى ضيفا .
كأنه لم يجد من هو أضعف منى ،
لهذا ترك الجميع وجاءنى .
ينمق أحاديثه الكاذبة
بكل تؤدة ، لكن لا أحد يصدق
أننى أتعس التعساء ،
ملجأ للوحوش !
أنا مأوى طيور السحر ، لكننى مطمع للثعالب ،
تجرى تحوى كلها من كل مكان .
آه ! قد راحت سدى جواهر الأمل
التى غرستها فى جبين الصباح المشرق !
وصدق من قالوا :
" سوف تسود حياة سريفيلى بسبب المحتالين "
فالسحرة الذين يسكنون الجبال البعيدة ،
ويثملون فى الليل بمشاعل البخور

لايتفوهون عبثا ،

مع أنهم لايبغون سوى العبث .

فهم كنساء الغجر يحملون متاعهم على الأكتاف

مع ما يجمعون من حبوب ،

وينظرون إلى حياة الناس : أسعادة أم شقاء .

ومن ثقب إبرة معلقة على الماء بخيط

تتلون نبوءاتهم ،

فى أعماق المياه .

ومع أنهم لايبوحون بالسر لأحد

فكلماتهم للجميع ليست سواء ،

لكنهم يستمتعون بقولهم :

إلام يبقى المصباح مطفأ ؟)

* * * *

حينئذ أحس ذاك الطريد

أن " سريفيلى " يمكن أن يستجيب له .

ثم عاد " سريفيلى " فقال لنفسه :

(لابد أن أذهب إلى الجبال البعيدة ،

وأشرد مع الوحوش المفترسة .

مثل الحيات التى تزحف فى الشتاء إلى الشقوق الخفية ،

لتحتمى من البرودة والرياح ،

أشق قلب الأرض لأبحث عن سبيل للخلاص .

لابد بعد هذا

ـ واحسرتاه بعيدا عن وطنى ـ

أن أجلس تحت ظل شجرة حزينة

حتى ينادينى غراب حزين قبيح ،

عند غروب شاحب

فأحكى قصتى حزينا مهموما .)

(يا سريفيلى ، لاتدعنى هكذا

تحت الأمطار

لاتتركنى أشكو وأتأوه !

فالكون يبكى ويزيدنى حزنا ،

ويهرب كل من فى الصحراء

كما لو كان أهريمن

يجذب كل شىء من ناحية إلى أخرى .

والتفت جذور الأشجار العتيقة حول بعضها ،

أمام السيل المزمجر .

وهو يندفع جارفا الأحجار ،

كما لو كانت حيَّات تتدافع إثر حيَّات .

فلم هذه الحكايات ؟

ولم تقطب جبينك فى وجه غلمانك ؟

إن أحدا لاينزعج من ضيف حل به ،

ولو وجده سيئا ، أو جافاه يوما ، أو سمع عنه قبحا ،

فالجميع يقول : يجب أن يُكرم الضيف .)

* * * *

قال " سريفيلى " :

(لكننى اعتزلت الجميع ،

وانزويت فى ركن بعيدا عنهم ،

وشوقى للحديث طائر طار إلى أرض مهجورة .

وقد رأتنى أمى ذات ليلة

أهب من نومى فزعا

وحين مررت يدها علىَّ

تأوهت وقالت :
لقد فقدت هذا الغلام ،
فسوف يشارك جنسا آخر
وبسببه لن يُشعل مصباح ،
وسيبدو وجه الروض أتونا لعينيه .
وفى الأيام ذات الليالى السوداء
حين ينطفئ مصباح ساحر فى ليلة معتمة ،
سيعبر الغابة بمصباحه ذى الضوء الخافت .
حينئذ سوف تكسو ظلمة الليل جناح الغراب فيزداد قبحا ،
وتبسط الغربان الأخرى أجنحتها على كل مكان .)

(رغم كل ماقلته يا " سريفيلى "
فإنك خيِّر ، والأخيار
من أجل مداواة المرضى ،
يتحملون الصعاب
وكل وجه منفِّر .
ماذا تساوى كلمات هذه الدنيا وأفعالها القبيحة ،
حتى يرتعد منها قلب رجل خيِّر ؟

أيمضى فى الطريق أم يتعثر ؟
وأنت من أهل الجبال ، والشهامة من شيمك
ولم يتوان رجل من أهل الجبال يوما عن المروءة .
هيا ! أيتها الأرواح الخفية !
اسعدى وأنيرى منازل
المضَّيفين
بنظراتك المفعمة بالمحبة ،
حتى يعرف كل شخص
ما لديهم من مودة ومحبة .
وتآلفى مع عيونهم وأصواتهم الدافئة .
هيا اسدلى على رؤوسهم الظلال الحارسة ،
من أجنحة الطيور البحرية .
حتى يظلوا سعداء بذكرى ضحكات الربيع ،
وبأشعة شمس مشرقة تتسلل من بين
أوراق الورود المصفوفة .)

ابتسم له " سريفيلى " ابتسامة باردة ذات مغزى
ولم يفتح الباب لذاك المحتال ،

وقال : «لم ير أحد قط باب بيتى يُفتح لمجهول ،
ولم ير أحد قط واحدا منهم يأتينى .
وأنا لا أريد أن أخالط أى منحرف
ولا أميل لتقصى عيوبهم ، وإن فعلت
فإن طرد الضيف أفضل من استضافة شرير .
والبخل أفضل من إكرام الأشرار
والبعد عنهم مراعاة للنفس أفضل .
ولا أريد أن أقترن بشرير ،
ليثنوا علىَّ بالطيبة والخير ،
ولئلا ألام حتى أنزوى بعيدا عن الناس .

وأنا أعرف قصص الخير والشر لهؤلاء البسطاء ،
ورأيت من يصعدون بالحبل إلى السقف ،
وربما يصعدون منه إلى السماء .
وأتألم من البصر فى مدينة العميان .
ولا أريد أن أنفخ الأبواق عبثا ،
لأُعلم الناس أننى قد وصلت .
فهذا التسرع الساذج يليق بالأطفال .

وستصل القافلة يوما إلى بيتى ،
فلم إزعاج القافلة ؟
آه ! إننى أعرف طبع الدنيا والحياة ،
وسرورى هراء إن خفت خيالى .
وفى الحياة : الظلمة من الليل ، والإشراق لون الصباح .
ومظهر أى شىء ينعكس عليه من شىء آخر .
ولكن ماذا فى النهاية ؟
من يمتطى صهوة هذه الحياة الجامحة ليروضها ؟
ماأكثر ما زرعت فى قلبى من آمال ،
ورسمت من عرائس فاتنات !
وها أنا أحيا حياة مختلفة .
وماكنت أسعى وراءه يوما ما ، أهرب منه الآن
حتى أصبحت أعادى نفسى .)

قال ذاك الطريد :

(ولهذا السبب ،
جئت إليك
فى ليلة عاصفة كهذى ،

تبدو فيها الدنيا كأنما انفصمت عراها .
ولهذا السبب ،
عندى أمل فيك ،
يزداد كل لحظة .
جئتك وعندى أفكار كثيرة ،
فمنذ طفولتى
أحببت الشعراء .
وقد مدحوا جميعا - إلا قليلا - آبائى .
وكانوا يبرزون فى الاحتفالات ،
وينهضون للرقص مع الجميلات الفاتنات ،
ببهجة وسرور !
فما أجمل هذا !
وحولهم السقاة يحملون كئوس الخمر ،
بأحزمتهم الذهبية وأقبيتهم الحريرية .
آه ! ما أطيب ذاك الوقت !
كما لو كان لأبى عهد صداقة معهم من أول يوم ،
ولن أنسى ذلك أبدا .
أما أنا ،

فكلها ذكريات لطيفة ،
تشبه عقود الجواهر المستديرة الثقيلة ،
على رقبة رقيقة
تسلب قلبى الآن
وتفتح عين بصيرتى .
كانوا يُدفئون دماء الناس بشعرهم ،
ويصفون أرواحهم .
فكانت أشعارهم فى صفاء السحر ،
تستقيم بها أمور الدنيا .
وكان أبى قد خاض حروبا عنيفة من قبل .
وحين أمسكت بأول كأس بللورى ،
بين تهليل أهلى ،
كان المغنون ينشدوننى الشعر (كثير منه من شعرك)
وتعلم كم تكون لحظة سقيمة
حين لايدرك إنسان ،
ما يريد الشاعر أن يقوله .
ولهذا يمتلئ قلبى حزنا ،
وأحب الشجن فى شعرالشعراء .)

* * * *

قال " سريفيلى " :

(وآأسفاه !

إننى آسف لقولك هذا .

لقد تعقدت الدنيا أمامى !

وتكاثفت السحب المظلمة وحملت هما وغما !

من قرأ عليك أشعارى ؟

وأنا الذى أحمل أشعارى على كتفى ،

أو على ظهور الحيوانات والثيران ،

وأسحبها من غابة إلى أخرى .

وأختفى داخل شرنقتى كدودة القز .

إلى متى يؤذينى

هؤلاء القرويون ؟

من أين علمت ؟ ومن قرأ عليك أشعارى

التى أخفيت فيها مشاعرى المتوقدة ؟

وآأسفاه !

من الآن سأنظم أشعارى

فى شكل آخر .

سأنزل فى حفرة عميقة مظلمة فى الغابات البعيدة ،

بين الموت والحياة فى قلب ليلة مظلمة ،
تُخنق فيها أصوات الناس .
وسوف أنظم معانى مشرقة ،
لأن جسدى ـ حتى النخاع ـ يرتعد
حين يشيد بى من هو مثلك .
وأضع يدى على عينىَّ المبللتين
بدموع الخزى والخجل ،
حين أراك سعيدا
بشعرى .)
ـ (لماذا ؟ ....
ولم هذا النفور ؟
أتؤذينى لأنك ذائع الصيت ؟
أيمكن أن تخفى قطعة من الماس بين قطع من الزجاج ؟
أو تحجب سحابة وجه الشمس للأبد ؟
أم يمكن أن تجعل هذه الحكايات
الناس يشيحون بوجوههم عن العقلاء ؟
ماقلته إن لهم فى قلوبنا
منزلة عظيمة رفيعة

ويجب تكريمهم فى كل الأحوال .)

قال " سريفيلى " :

(لكننى لست
ممن تجعل لهم مقاما رفيعا
ولست من هؤلاء الفصحاء المشهورين الذين سلبوا لبك .
فأنا لسان مختلف ، ولى قصة أخرى .
والأفضل أن تطرق أبواب أولئك ،
من منحرفى الفكر و السلوك .
فهم يجلسون فى الطرقات ،
وقد بسطوا أيديهم وأرجلهم ،
ينظرون للخلف : أيراهم الناس .....
لايسأمون من عواء الحيوانات المفترسة فى آذانهم ،
كأنهم من فصيلتهم .
يودون لو يجالسونك لحظة ،
حتى تراهم .
يهبون فزعين من نوم أسود ثقيل ،
حين يرون حلم يوم وصال فى هواك .

يحلمون بالعظمة والثراء وزينة الحياة
يمسكون بجناح غراب ،
ويظنون أن مظلتهم من ريش الطاووس .)

* * * *

لكن ذلك الطريد
لم يبد يأسا
ولم يترك مكانه تأثرا بقول " سريفيلى " .
ولكن لكى يستميله ،
قال بنبرة أكثر ضعفا :

(آه ! عرفت ، يبدو لى ،
أنك من شدة اندماجك فى الشعر ،
لم تعد قادرا على معرفة الناس
فى هذه الدنيا .
ولهذا يتساوى لديك ،
الأصدقاء والأعداء .
فتُسعد قلب العدو ،
وتُغضب الصديق بظلمك .

فخير لك إذن أن تبقى منزويا

مشغولا بقول الشعر ،

يعرفك من بعيد العقلاء فى هذا السبيل .

لكننى آسف لذلك ،

فلماذا يا " سريفيلى " يكون إنصات الغرباء

لشاعر ذى رؤية ثاقبة مثلك ؟

بينما الأذى من الأصدقاء الأبرياء ؟

ولم البعد عنهم دون سبب ؟

ومَن من أهل السوء ،

يأتى إلى بابك ؟

وهؤلاء البخلاء يكثرون الادعاء ،

ورؤوسهم محشوة بخواء النخوة والظن

وهم متحمسون لذلك .

يظنون أنهم يدقون الأرض

ويطهرون السماء من ظلمتها ،

ويضفون عليها اللون والرونق ،

ليخدعوا الناس بسحرهم

وماأكثر كذبهم وخداعهم .

فأنىً للناس رفيق مثلك ،
يرددون اسمه بين آلاف الكلمات ؟

وأنا واحد من جيرانك النجباء ،
فى سفوح الجبال الخضراء القريبة .
ألم تكن أبقارنا ترعى معا ،
وراع واحد
يعزف الناى لقطعان خرافنا ،
وهى ترعى فى سكون المساء ؟
ونكيل ألباننا فى الربيع فى مكان واحد .
فكيف يا " سريفيلى " لاتعرفنى ؟
ولم تهاجمنى وتُسىء الظن بى هكذا ،
مع أننى محبط من الحياة مثلك ....؟

آه ! عبث هى الحياة !
تموت البراعم فى ربيعها ،
والصباح - بصفائه -
لايدوم أكثر من لحظة .

والإنسان وحيد مع آلامه .

وكما يمطر سحاب سريع على حقل شوك ،
تبقى الدموع بلا طائل .
ويمضى الزمان وتتحول إلى أسطورة جميلة .
من يعرف سبب آلام الناس ؟
لقد ضاع الناس فى دخان آهاتهم .
وكل فرد يسعى لمنفعته ،
ولم يعد لأحد وفاء ولاصفاء .
يعانون الحسد إن سُعدوا ،
على وجه البسيطة الملبد بالدخان .
والحياة كرة دوارة ، تتدحرج
على أراض ممهدة أو وعرة ،
ومن صخرة إلى أخرى حتى تتمزق يوما !
وأعرف فى قريتنا رجلا ،
من الحسد ، لايستطيع أن يرى شيئا للآخرين
لذا فهو سيئ القول كذاب .
وحين تذهب المروءة ،
يكثر كلام المرء .

ومن ينازع الأشرار ،

لايلقى إلا شرا .

وهذه سنة الحياة .

يا خادعة البشر .. آه ! أية حياة عابثة !...آه ! أية حياة قصيرة ...!)

قال " سريفيلى " باسما :

(أعرف

ما يحدث لك .

فأنا أقرأ فى نفوس الناس مالا يعلمونه هم ،

وأعرف كل أسرارهم .

ولكن لا تشكو هكذا من السوء وأهله ،

أهناك ماهو أسوأ من اللون الأسود ؟)

* * * *

الشيطان : (نعم

أحقاد الناس وسيول الظلم والأذى ،

تجعل الظلمة أكثر اسودادا .

لو تعلم كيف صار سوء الظن والعمل ،
أكمل ما فى الدنيا !
وكل مقدمة جديدة يقولها الناس ،
هى لتحقيق رغبة ما .
والأشرار يسعون دوما ،
ليكونوا أفضل من الأخيار .
ويظهرون الباطل فى ثوب الحق .
كمموا أفواه طيور الصباح بحسدهم ،
ويُظلمون وجه السماء ،
حتى لا ترى عيون الناس شمسا ،
وتبقى شموعهم العمياء هى ما يضىء الدنيا .)

قال "سريفيلى" :

(لكننى ،
لاقيت الكثير من المشقة واللوم
ولن أتحدث عن هذا .
وفى مروجنا طائر
يغرد فوق الصخور الخالية الساكنة ،

ولايعرف لغة غير لغته .)

قال ذلك المحتال لنفسه :

(وما أفضل من ذلك الليلة ،

إذ ترتعد الدنيا من الإعصار .

سأريحك بطريقة أخرى .) وبعد قليل ،

حين لاحظ بلؤمه جمال منزله ورونقه ،

اشتعلت في قلبه الرغبة في النزول به .

فزاد هطول الأمطار وشدة الإعصار ،

بماء أنفه وعطساته الباردة .

وفارت بحور من السماء ،

واندفعت سيولا إلى الصحراء .

وفي الصحارى المخيفة ،

المليئة بأصوات الحيوانات المفترسة ،

تهاوت الأشجار على الصخور .

حينئذ صاح من أعماقه :

(لقد زادت حدة الإعصار ! .....

كأنما ينشق سقف السماء ،

ولايقر للأرض قرار ،
من هول تساقط أنقاض السماء .
وتنجرف الصخور فى المياه ،
وتفتت المياه المندفعة الأحجار ....)

ويظل يضاعف من أنينه قائلا :

(آه ، الآن صار السير ،
أكثر صعوبة على أهلى !
فخيولهم بألجمتها الذهبية ،
انغرست فى الطين والأوحال .
وعلى قمم الجبال العالية يتبادل
الرعد والرياح تفتيت الصخور الثقيلة .
وانا أرتعد من كثرة وقوفى على سيوف الشجعان ،
وعلى نعوش الشبان .
فكل من تعرفهم ،
كأنما انفصلت أرواحهم عن الأجساد ،
يفرون وهم يتوجعون .)

قال " سريفيلى " :

(لماذا

لا تتحدث عن القرويين ،
الذين لايجدون جوادا يمتطونه فى هذه المحنة ؟
إنهم مساكين ،
فى الصحراء ،
تضيع حياتهم هباء .
حياة كلها مرارة ،
لاحول لهم ولا قوة .
ولا دواء لآلامهم ،
كأنما تصب أرواحهم اللعنات ،
على من تذكر من الشباب .

الشيطان : (فى المقابل ، لو كان
هؤلاء القرويون مساكين ،
فإن حياتهم كالنقوش الجميلة فى الصحارى .)

قال " سريفيلى " لنفسه :
(انظر إلى هذا المحتال !
واجلس لحظة مع هذا المنافق ،

لتعرف كيف يفكر ،

ويدبر ويحتال ،

ليفسد حياة الناس .

فهو وجماعته يرون الناس جميعا سواء ،

ويغفلون عن أسد فى الغابة كائنة ،

إن يجدوا ولو كأسا مكسورة فى الطريق ،

يبعدوها عن الطريق بأيديهم .

لكن ليس لدى هؤلاء المفترسين ،

سوى عين الترصد .

صحيح أن الحياة فى الجبال والقرى رائعة خلابة ،

لكن يأتى يوم ،

لا يملك الفقير شيئا .

فلا يكون جمال الطبيعة

فى عينيه سوى بلاء ،

لايصلح لشفائه دواء !

لم لاتتحدث عن أجران القمح

التى تجرفها السيول ،

فى هذا الإعصار ؟

سيل مثل نيران الفتنة ،

ينحدر من الجبال إلى الوديان المنخفضة ،
ليترك أهل القرى أكثر جوعا
ويسلبهم ما يملكون من قمح !
ولماذا تتحدث كالمحاربين ،
بينما حرابك هى حيلك ؟
وكل شجاعتك تنحصر
فى إعمال حيلك البذيئة .
وكل حروبك لإفساد الناس على بعضهم
ومن ذلك تتربح .

ولماذا لم تذكر ،
طفلا نام جائعا تحت حجر ؟
فيا سيئ الطوية ، بسبب فكرك الأسود
– مع كل ما تدعى من طيبة وخير –
مثل ليالى الشقاء
أنىَّ لك أن تعرفنى ؟
وكيف يعرف الحنظل من لم يذق مرارته ؟
ألست من يخرب

ـ دون خوف ـ أعشاش صغار الطير ،

لتصنع جسرا صغيرا فى إيوانك العالى ؟

وإن تتصاعد آهات ملتاعة فى طريق ،

ـ تعلم أنت سببها ـ

ألست من يشغل الناس حتى لاينصتوا لها ؟

ألست من يطبق الظلام ،

ويمنع تلامس أدنى شرر

يمكن أن يرى به تحت قدميه ،

فى قلب الليل عابر سبيل ......؟)

قال ذلك المحتال :

(لقد اعتدت على سماع

تلك الأقاويل المرة من الأصدقاء .

وهل هناك حياة دون كذب ونقص ؟

ألا يتلوث وجه البحر ـ مع طهارته ـ

يوما بالطين ؟

ألا يشدو عذب الصوت دوما

على فرع فى السحر رغم ألمه ؟

فالدنيا اقترنت منذ الأزل بالسوء ،

وليست الحياة سوى السوء .

تبدأ بسعى حثيث ،

وتنتهى بالنكبات .

ومهما نبذل من جهد ،

أو نحاول إصلاح أنفسنا ،

تضربنا سياط الرياح العاتية ، ولا مفر منها .

فلم الحماس عبثا ؟

إذ لا يُحفر مجرى لغير ماء .

يا " سريفيلى " ، أعيد عليك القول :

أنت شاعر هذا الزمان الأوحد

واسمك ،

سيعلى صوتا عجيبا فى الدنيا .

ومن هذه الغابة المجهولة ،

سوف يعلو شأن الشعر

وتغدو حياته أبهى حياة .

ومن يجدّ فى هذا السبيل ،

لايقنع بالشىء الحقير

ولايقول شيئا عبثا .
وقد سمعت :
أنك تكسو السيئ ثوب الجمال .
ومن لحظات التعاسة ،
تؤلف نغمات هادئة .
ومن الليالى المظلمة التى تعرفها ،
تنشد على مسامع الناس ،
قصص الضياء .
أى خيال ساذج ! أتريد من الآخرين
أن يفكروا مثلك !
وأن يتساووا بك
فى دقة الرؤية وسرعة البديهة والعقل !
وأن يكونوا مثلك حين اختزلت الحياة
فى كل نافع وخالد !
أو يكونوا مثلك حين تصير قبضة من القش
ملقاة فى حقل شوك ، تلا من الجواهر تحت قدميك !)

قال " سريفيلى " :

(ما هدفك من هذه الأقوال ؟
ولم إزعاج الهاجعين فى منتصف الليل ؟
وما الأمل فى النصر على أسد مفترس ؟
لقد وضعتُ الدنيا - أيا كانت - تحت قدميَّ ،
وانزويت بعيدا عن كل شىء فيها .
وحتى أُحسن النظر إليها ،
أستعين ببريق بسمة
من أعماق ظلمة آلامى .
ومن الابتسامات السعيدة والمرة ،
أخدع الآلام بالخرافات .
لقد سخرت هذه الدنيا العتيقة
حتى أُخضع آلامها وشهواتها لما أريد .
ودون أن ينصحنى أحد ، أنصح نفسى .)

* * * *

وازدادت حدة الإعصار ،
فلاعجب أن استطاع ذلك المحتال ،
أن يخيف " سريفيلى " من ألم الوحدة

فيحقق غرضه :

(مع أنه لاقدرة لى

على خلاصك ،

والنوم يجبرنى على الفرار منك فى هذا الإعصار المزمجر !

إلا أنك لو لم تكن وحيدا ،

ماخرجت من بين شفتيك

هذه الكلمات قط !

فكلها سوء ظن ، ولو لم تكن لديك ثقة بى

فهذا بسبب وحدتك يوما واحدا .

حين فقدت الحقائق الجميلة الطريفة ،

ونعق الغراب على فرع فقلت : كل الطيور غربان .

وكنت أرقبك حينها ،

وحزنت بشدة من أجلك ....)

ـ فقاطع " سريفيلى " كلامه ،

وخاطبه قائلا : (أنت محتال ،

وهذا خطأ آخر .

فهذا كلام لاطائل من ورائه ،

فمن يستطيع أن يقرأ أفكارى فى خلوتى ؟
والعميان هم من ينفرون من الرؤية ،
ويظنون حين أقفل فمى
وأحركهم كالدمى خفية ،
أننى قد مت أو خمدت الروح فى جسدى .
لكننى أبقى وحيدا كالقمر ، من سوء الظن .
وأبتعد عن دخان مساوئ عشيرتى ،
وعن التحمس لكل ما يقال .
وأنا أشبه قطرة صغيرة ، ولكن
فوران قلبى الدائم يشبه بحرا هادرا .
وبقوتى أهدم هذه الدنيا المؤلمة ،
وأقيم من تراب هديمها دنيا أخرى .
ثم أبدع ،
على جبالها ووهادها الصفراء الحزينة ،
دنيا أكثر اختلافا .
ولأننى وحيد ،
فإن أفكارى تنبع منى . ولكن

قوتى الخفية هذه لاتموت أبدا .

ولاتشتعل بداخلى ،
نيران الحقراء التافهة .
وخير لك أن تشعل مصباحها لآخرين .
وأن تحرق القلب ،
لأجل من يريدون الخداع .
فأنا أضىء قلبى بنيران أخرى . ولن تزيدنى شيئا .
ولن يقلل كلامك شيئا منى .
فظلمات لياليَّ الحيرى ،
بادية بين بسمات هذا الغروب الحزين .
وسوف ألقى ليلة مُرة من هذا الظلام الكئيب ،
ثم يضىء مصباح فوق قبرى .)

الشيطان : (لكن .. واأسفاه !
من يعتنق هذه الأفكار ،
يتعرض دوما للزلل .
وإن كان فى قلبك الكثير من الرحمة ،
فحماسك من أجل نفسك .

وقد ضاعفت قطعانك ،

وزدت أبقارك ،

حتى لايصيبك الفقر

عند الشيخوخة والعجز .)

فضحك " سريفيلى " من أقواله العابثة ، وقال :

(لكن من يجاهد من أجل الناس ،

لا يسعى لشأنه هكذا .

فيجب أن أبقى جائعا ،

وأن ألقى المشقة والحرمان ،

وأرضى بسوء هذا السجن العتيق ،

وأظل مضطربا فى الدنيا داخل جلد الموت ،

حتى ينسلخ عنى حب الذات ،

كما ينسلخ ضياء نهار مشرق عن قلب الليل .)

قال ذلك المحتال الذى كان يعرف كل ماجرى :

(لأجل ماذا ؟)

قال " سريفيلى " :

« في خلقي جنون ،

فإن لم يسترح الناس ،

فلا أعرف للراحة سبيلا .

وإن شكوت يوما من الفقر ،

كان ذلك من أجل لحظة حياة .

وإن يكن إنائي مكسورا ،

ومائدتي خالية من الخبز ، وكأسي الخشبية فارغة من العسل ،

فلا أريد أن أملأ إنائي أو مائدتي أو كأسي حبا في الجاه .

أو ليأتيني شرير ،

فتزوغ عيناه من كثرة ما يرى من طعام ،

في صحافي الفضية المنقوشة .

لكني أريد لعينيَّ أن تتوها في رؤية ملائكة السماء ،

أو أجعلهم يهبطون ،

إلى أرض الدنيا .

وفضلا عن ذلك فأنا أكره رؤية وجهك

بما فيه من احتيال وشر ،

وكثير من البقع .

تنفتح عيناى على قبر مشتعل حين ألقاك ،

وتخطر لى أفكار تذيب الفؤاد ،

ويموت إحساسى كل لحظة .

فهناك رباط بين وجوه الأشرار وخلقهم ، أعرفه جيدا في ظلام الليل

وكأنهم حاصل جمع لكل سيئات الدنيا .)

الشيطان ـ (كلماتك تصدمنى

كأن سحابا آخر ،

يمطر مع هذا السحاب .

ولابد أن أسعى لضوء مضيف آخر ،

وأن أخطو على الأرض ببطء في هذا الظلام .

حسرتي تزداد كل لحظة متسائلا : لم تنفر منى ؟

وابتعادك عني هم جديد يُضاف إلى همومى .

وسوف أسعى لأغير من طباعى ،

وربما أخفى قروني بشعرى الطويل .)

" سريفيلي " ـ (وماذا ستفعل

بالشفاه البارزة الملوثة بالدماء ؟

والدهون التى تملأ شعرك

المنعقد على جسدك القذر ،

كأنما يجدل صانعو الحبال

حبالهم ،

ثم يلقونها على كتفك

كأنهم يلقونها على أسطح الدكاكين .

فحين أذكر وجهك وخلقك ،

تصدم أُذنى أصوات مؤلمة لمخلوق ،

ويجد أنفى من جسدك ريح جسد ميت .

وحين أذكر أحقاد طبعك الجهنمى ،

أو شكل ضحكة مزيفة على وجهك ،

أغمض عينى حتى لا أرى الدنيا .

وبسب ما أذكر من أشياء مؤلمة ،

أدق عظام الأمانى الخفية ،

بمطرقة الألم !

وأطهر مسالك الحياة ،

من الأعين الدامية ،
كل لحظة دون تردد ولا شفقة .)

الشيطان ـ (سوف أخفى كل ماتقوله ،
مراعاة لخاطرك ،
لترضى .
لكن ليس هذا وقت هذه الأفكار ،
فالليل انتصف والدنيا ظلام .
ولن يدقق أحد فى شأننا أبدا .
فمن يمكن أن يعرف أنه ذات ليلة ،
حل مثلى ضيفا على شاعر مثلك ؟
والليل يغطى عيوب الناس ،
مثلما تختفى فيه الفضائل .)
فتنهد " سريفيلى " قائلا :
(إن هذا ليسوءنى ،
لكن ليس من أجل عيون الناس .
فهل يرتضى المرء مسلكه ،
من أجل كلام الناس ؟

وهل يشدو جميل الصوت ،

على فروع السرو ليمتعنا ؟

فى الدنيا التى أحيا فيها وحيدا أكابد ،

أشعل شمعاتى فى قلب الظلام ،

فإن أسقط ، أحترق فى دموعه .

واأسفاه ! مع أن عقلى قوى ،

فإن ذكريات الماضى أمام عينى ،

قد اصطفت تقيد قلبى بكل مكان عامر أو خرب .

وهل هناك من لا يشرد لبه ،

فى متعة الأيام الخوالى ؟

ويعبر فى خاطره قطار متعة

تلك الأيام ، مثل حبات مرة لفاكهة فجة ،

قد سقطت من فرع عال على التراب ؟

أيمكن أن يكون الناس بهذا السوء من أجل الحياة ؟

ومع أنهم يعرفون ، فهل يتعمدون

أن يبدوا وكأنهم ساهون ؟

ومن لاتأكله الحسرة حين يرى

على قارعة الطريق عشا على كف الرياح المزمجرة ؟

أو على التراب ريش حمامة وعظامها ؟
أو حين يُعلِّم طائرا (قمرى) أفراخهما الطيران ،
بينما طائر (قمرى) آخر قد فقد زوجه ينظر إليهما ؟
واأسفاه ! من كثرة الحسرات ، صار طبعى
طبع إنسان يسأم من كل مالديه ،
ويسعى دوما للحصول على كل ماهو بعيد عنه .
لقد رأيت المصابيح المضاءة ،
وقد انقلبت من سطح عال على التراب .
والأراضى الواسعة ،
تمزق صدورها
كأنما يفر كل شيء من كل شيء .
الإنسان من الإنسان ، والوحش من الوحش .
ويجرى كل كائن عساه ينال يوما مراده .
وكل شيء يكون حينا جميلا وحينا قبيحا .
وهناك معنى لشيء واحد فقط :
هو أن الكراهية موجودة فى كل زمان ، وفى هذه الدنيا
تقترن بلذة لايمكن لأحد تجاوزها .
فهل أمرك على عكس هذه الدنيا ؟

أم أنني أحب ما ينفر منه قلبي ،

وأعادى ما أحب ؟)

ورغم كل ذلك الكلام ، فقد دخل

المحتال بيت " سريفيلي " .

وكانت تلك أمنيته الوحيدة .

وبأسنانه نزع أظافره الملوثة بالدماء ،

وكالخناجر ،

خلف الأبواب ،

غرسها في أماكن خفية .

ولئلا يجد غريب سبيلا إلى ذلك البيت ،

وضع خلف الأبواب الأحجار والطين .

ولكي ينام في ذلك الدهليز الضيق ،

نزع شعر جسده

وأعد لنفسه فراشا للنوم .

حينئذ أظلم ذلك الدهليز وأقفر .

وخيّم الصمت ،

وبقيت فقط أصوات الرياح الصماء من بعيد .

الرياح من بعيد : هوهو !

وآهاتنا المسهدة ،

بقيت فى طريق الغابة ،

من أجل الذين

انقطع أملهم من ظلم الهجران .

وفى منخفضات الوديان ، تحتشد صفوف الأشباح المقلوبة ،

فتتبدل بسببها ظلمات الليل ، هوهو !

أما الطائر الهادئ ،

فقد كف عن الغناء ، وعينه على إشراقة الصباح .

وأما المتعبون ، فقد ناموا فى الطريق لايعرفون ،

ـ حين يحل الصباح بوقاره ، ويهل بوجهه ـ

إلى أى ناحية ،

يجب أن يتجهوا ؟

و" سريفيلى " فى وثاقه

جلس أمام النار ،

شاردا فى أفكاره التى تضعفه ولاتحقق له شيئا .

ومن عجزه ،

شعر أنه فقد القدرة على الاختيار .

يجمع الأعواد المحترقة معا ،

ومن الدخان المتصاعد منها ،

كان يرى شكل ذلك الطريد المحتال .

وحين ينصت لصوت الريح والأمطار ،

تبدو له كفتنة مؤذية للناس .

ويحاول الكلام ،

والشكاوى على شفتيه ،

لكن لايتأتى منه سوى السهو والنسيان .

كان يتمنى ساعة صفاء ،

يجلس فيها على شاطىء النهر ،

ويقص على الجميلات قصصا مختلفة .

كان يأمل فى صباح باسم ،

تتلون فيه قمة الجبل بلون قرمزى ،

وينثنى هو إلى الجسر .

حين يجرى النهر أمام عينيه هادئا ،

ذكرى تلك الأيام

يمكن تذكرها بسهولة ،

لولم يجد نفسه فى عذاب مشكلات جديدة .

واأسفاه !

وهو ـ بفطرته الريفية ـ

لايستقر فى مكان من فرط حماسه ونشاطه ،

لكنه تآلف مع ظلام تشاؤمه .

ولم يكن أحد يعلم ،

أن "سريفيلى" يعانى الآن أكثر

ـ من أكثر الأبطال شهرة ـ

من أشد الآلام فى الحياة .

وهو شارد فى أفكاره البعيدة ،

أخذ يمزق أربطة حذائه الجلدى بطرف سكين معدنى ،

يمزق الأربطة ويقذفها ،

فى ألسنة النارالمتصاعدة .

ونظرته إلى الموقد ،

تُبدى لعينيه الحادتين ،

من خلق ذاك اللعين ،

كل ماهو قبيح .

ومن تلك الليلة وهو يهرب من الناس ،
ويبتعد عن جمعهم .
وحتى يغير بيده مصيره ،
يذهب إلى الصحارى البعيدة الخالية لتلك الغابة الحزينة ،
ليجلس تحت شجرة التفاح المر ،
أو شجيرة القطن ممتدة الفروع كالمخمل على الحجر ،
ساكنا لساعات طويلة .
مذعورا ـ دون سبب ـ من هذه الحياة ،
سعيدا حين يفكر أنه مصدر الشقاء ،
منزعجا من ذاك السرور
الذى لا تبدو لمرارة أحزانه نهاية .
لم تعد له هذه الدنيا البادية للعيون ،
وإن أردت الصدق ، تساوت لديه محبة الناس وعدواتهم .
لقد طارعقله من الرأس ،
يقول حيرانا :

(ذات ليلة ،
دخل الشيطان بيتى ،
ونام حتى أشرق الصباح .

ثم خرج من بيتى .

لكن أظافر يديه وقدميه وشعر جسده ،

تحولت إلى حيات ،

ملأت القرية .

بينى وبين الشيطان حرب .)

١٩٤٠م

* * * *

الرباعيات(*)

لا تستقيم قوافيه ولا أوزانه ،
ولكنه ملأ الدنيا بضوضاء بدائعه !
فيا من يتأتى كل هذا من ضجيجك ،
أى أمل فيما يتأتى من خطأك ؟

لاوفاء لك فى قول أو فعل ،
ولا تلتفت إلى قلبى .
قلت : أين آتيك ؟ قلتُ :
دع العذر ، فأين لاتكون ؟

دققت بابه . قال : لم التبكير ؟

(*) ولم تخل أشعار شاعر إيرانى من بعض الرباعيات ، إلا أن رباعيات " نيما " ـ كقالب تقليدى ـ لم تكن فى مستوى أشعاره التجديدية السابقة وإنما كانت شعرا عاديا يمكن أن نجده فى ديوان أى شاعر دون وجه للتميز ، وكان هذا فى ذاته واحدا من الأسباب التى دفعته للتجديد ، يقول " نيما " فى مقدمة رباعياته :

(لو لم أنظم هذه الرباعيات ربما كنت قد هلكت . فعصرنا ليس عصرا للحرية ، إنه عصر المجازر وهو أسوأ من عصر المغول ، عصر لايدع سبيلا لفكر ، حتى المغول لم يكونوا كذلك . وأنا أودع الرباعيات أسرارى ولاأريد أن أفكر : لماذا ؟)

بعدت . فقال : لم التأخير ؟
وحين ضججت من جفائه ، قال :
إن كنت تحترق بناري ، فلم الدخان ؟

أنفقت عمرا في الأخذ والرد ،
وعمرا في الانتظار .
والباقي في التحسر عليك ،
فانظر أي عمر قضيت !

جلس ، كقمر استقر على الماء .
نهض ، فبقي انعكاس ضوئه على الماء .
ثم هجرني طويلا ،
حتى أنني أتلمس صورته في كل ماء .

كان الوقت ليلا ، وصورة القمر على الماء
ورأسي تضج سكرا
ولم أشك قط تلك الليلة ،
فقد زارني ، ولكن في المنام .

رحت إلى النرجس على الماء
وسألته مائة سؤال فأجابني إجابة واحدة
قلت : متى تزهر الورود ؟ قال :
حين يرى النهر النرجس في المنام .

يقال ، العمران من الماء والنار ،
وستكون حياتي بهما دراً لامعا .
والماء في دموع العينين والنار في صدرى ،
لكننى مسكين خرب .

قلت : حبيبى ، أنت عمرى . فأسرع .
قلت : أنت نصيبى . فراح في النوم .
قلت : ضاع قلبى في عشقك ،
أنت حبى . ضحك . وبقى العذاب !

قال البحر معاتبا الحباب :
لم الغرور ؟ أجابه الحباب :
صرت على الماء امتثالا لأمرك ،
فحين يأتي الرزق ، حاسب نفسك .

اشتعلت بى النار ، وصرت مسهدا ،
إن أكن بحرا ، فلن يقل مائى .
أنا تراب أعتاب حبيبى ، فإن تطيرنى الريح ،
فإليه كل لحظة . أدركنى يارب .

أموت حين أذكر اسمك على شفتى ،
ودونه فنهارى كالليل .
أنفقت عمرى مع اسمك وبدونه ،
متعبا كالمحموم .

هبت الريح وتساقطت الزهور وصفا الجو ،
فانهض ياغلام ونظف المكان .
سأل : من سيأتى ؟ قلت : ذاك الحبيب .
قال : لن يأتى ، فكف عن الكلام .

صبَّ الثمالة فى كل كأس ، خفية .
وأثار خيالا فى كل رأس ، خفية .
فعل ذلك ليهرب ،
فاحضروه إلىَّ يا رفاق ، فقد هرب .

حين احترقتُ ، سالت دموعى حتى أذيالى .
وحين تآلفتُ ، ذاب الماء وراح .
ومن احتراقى وتآلفى ،
نسجتُ خيطا ، فقطعه .

قال : ماذا أفعل مع شكواك الملتاعة ؟
قلت ماذا أفعل مع دلالك الفاتن ؟
فقد سلب نصف روحى أمس ،
فما أفعل لك اليوم بالنصف الباقى ؟

قلت : فلان لئيم كعدو .
نعم ، للكلام الطيب أثر .
ليس الفضل أن تصاحب حبيبا ،
بل الفضل أن تصاحب عدوك .

الشعر آية خيالنا الصحراوى .
والعشق ، آفة أصلنا البحرى .
قلت للأجل : ما حكمك فيهما ؟
قال ما يتفق وخلقنا فى الدنيا .

قلت : أنت ظالم ! قال : الظلم مذهبى .
قلت : أين كرمك ؟ قال : أنا فقير .
قلت : لا تسلبنى الروح بخلقك هذا ،
فضحك ، إذ كان قد فعلها منذ أمد .

قالت الزهرة للحديقة : السحاب ضيفى .
قال السحاب : الزهرة شمع ليلى .
وضحك وبكى ، فقالت الزهرة : هو
أيضا سر ضحكاتى الخفية .

قلت : أية ليلة هذى ؟ قال : من جديلتى .
قلت : أى طريق هذا ؟ قال : إنه حاجبى .
قلت : حين تكون معى فأى حزن ؟ قال :
نعم ، لكن قلبك غافل عن طبعى !

الكل يحملق فى وجهه الجميل .
وقد أنار بضيائه مائة بيت .
واأسفا ! قمرى الذى يضىء الدنيا ،
لماذا لم يضىء بيتنا ؟

القمر مضىء والكون هادىء .
والغدير ينساب خريره .
وأنا فقط صارت أذنى عينا ،
وهو فقط صارت عينه أذنا .

حين رأى القلب مافى أعماق عينيك ،
لجأ إلى جديلتيك .
ومع كل ماقلته وما سمعه منى ،
لم يعرف المسكين أنها الشباك .

ضحك وناولنى كأس الشاى ،
يعنى أنه لايُسكر .
غافلا عن أن يده البللورية ،
تُسكر كل ما تلمس !

قالت زهرة حمراء لأخرى صفراء : مع أن الأصفر جميل ،
إلا أنى سأمنحك من حمرتى لتتوردى .
فأجابتها الزهرة الصفراء : ما قلته حق ، لكنى

لا أحب الثوب المستعار .

قلت : لماذا يتوهج وجه الزهرة ؟

أهناك مأتعلم من رونقها ؟

سمعت الوردة وضحكت وقالت :

حين تحيا طيبا ، تكون فى احتراق !

ليس هناك من لايتكلم بلسانى ،

لكن سبيلى لم يسلكه أحد .

أسمع كلامى يردده الناس ،

ومع ذلك تقول : إن شعرى ليس ساحرا !

قال : تأمل ولكن بعين أذنك .

اسمع منى ولكن بأذن عقلك .

قلت : تسمع عينى وترى الأذن .

قال : ما تدركه ستنساه !

جاء وزين بيتى ، ورحل .

زادنى أنسا ، وإن سلبنى القلب ، ورحل .

كلما نظرت لطائر على السطح ،
وا أسفا ! طار عن سطحى ، ورحل .

جاء مع النار وذهب مع الريح .
أحزننا وذهب هو سعيدا .
كنا - أنا وأنت - هدفه من ذاك .
هيهات ! فقد نسى هذا أيضا .

جاء السحاب وغطى الجبل والصحراء ،
من أول الصحراء حتى البحر .
فأحزن قلبى حينها ، وبسهولة
أحزن كل الدنيا معى .

تسأل عن قلبى ؟ ذهب مع الريح .
تسأل عن شأنى ؟ لا أذكر .
تسأل عن الأمر الآن ؟ نعم
مع أننى حزين ، فإننى سعيد بحزنك .

تعارك جسدى مع الروح البارحة .

وشكى كل منهما الآخر .
قلبى المسكين سار نحوك ،
فسقط وتحطم وراح دمه أدراج الرياح .

تك تك . لم يدق الخفاش نافذتى ؟
هاجت الرياح ،
وأخرج البحر يدا من أكمامه
السوداء ليجرف كل حسن وقبيح .

يقال إن الأسد حين يُجرح ،
ينزوى فى مكان خفى ،
ويلعق جرحه بلسانه فيداويه .
فماذا يظن الناس بجرحى ؟

لم يطفئ مائى أية نار .
ولم يُدهش كأسى أى شخص .
واأسفا ! فقد سمع الناس كل ما قلت ،
لكن أنىَّ تعيه آذانهم !

أتى الماء ولم يرتو المرج .
حل الصباح ولم يستيقظ أحد .
واها ! فكيمياء فكرى وفكرك ،
لن تحول الإناء النحاسى إلى ذهب خالص .

حين يريد الحق أن ينتقم من ظالم ،
يلقي في نفسه بشيطان شرير ،
يوسوس له ليلا ونهارا :
أن يزداد ظلما للناس .

كل سيف في يد حامل الراية ،
صار رمزا لدفع الظلم .
واأسفا ! فلم تمر أيام حتى ،
صار أساسا للظلم .

لم تحترق كومة خشب دون دخان
ولم يجر غدير دون طين .
وكل ماهو موجود يفنى ،

ألن يفنى إذن كل ما لديك .

الجهلاء يسرقون ما يستر جسدى .
والمتعلمون ينهبون قوت فمى .
وحين لايجدونني ،
لايستطيعون سرقة أسلوبى .

استمع لنصيحتى يا بنى ،
ولاتضحك من أحمق قط .
فحين تمد يدك في مياه نتنة ،
ستلوثك حتما أقذارها .

يعيبه أن يسمع للخاصة ،
ويفخر أنه نسى كل ماسمع .
وقد خاض فى القيل والقال ،
ليغطى عجزه .

قلت : لماذا يثيرون الدخان على نارى ؟
قال : حتى يفيدوا هم من ذلك .

فالمحصول المتراكم لابد له ،
من دخان حتى لايراه لص .

سألت الغدير : ماذاك الخرير
لكل من لاموك ؟
قال : ثار جدال بينى وبين السيل ،
فلم أعرف ماذا قال وماذا سمع !

قالت الزهرة الحمراء للبنفسجية فى السوق :
أيشتريك أحد بوجهك الأزرق ؟
أجابت : ذاك ما يروجنى فى السوق ،
فوجهى أزرق ، أما وجهك ...فدام .

قلت : ماذا أفعل لأتقى الموج ؟
قال : احذر ذاك الماكر .
قلت : أين المفر ؟ قال : أدع يا " نيما "
يارب خلصنى من أذى الخلق .

قلت لسحاب الربيع : أيها السحاب

لم تمطر على الحطابين ؟
ضحك السحاب وبكى وقال : أيها الحزين
أمام عطائى يستوى الشوك والروض .

يامن تهلهل شعرى ،
ولاتعى منه شيئا
إما أن تستعير عينا ،
أو تكف عما هو أسوأ .

قلت للقلب : يامن أذنك على الجرس ،
لم تسرع صوب صوته ؟
قال : ألم تسمع أنه أملا فى الخلاص ،
يسعد الطائر حبيس القفص

مع الجهلاء كثيرى الكتابة ،
يارب ، ماذا يفعل المستنير ؟
إن أكتب : أفعى ، ينقش صورتها ،
فما يفعل كاتب الكلمة مع راسم صورتها ؟

قال سحاب الربيع للزهرة : يازينة الحديقة ،
من وسم جبينك بدمك ؟
قال الزهرة : حين توحد لسانى مع القلب ،
أضاء جبينى كالمصباح .

مزقت الزهرة أكمامها من السعادة ،
فسقطت سعادتها على التراب .
قلت لأستعير منها السعادة ،
قصدتها ، لكنها كانت قد هلكت .

نحوت بقلبى فى كل ناحية ،
وإن حصلت على شىء أم لا .
فإن لم تقبل بشعرى ،
فقد صغت شعر عصرى .

أموت مائة مرة بعد موت جسدى ،
ثم يبكى جسدى فى كفنى ،
لأننى لن أرى وجهك ثانية

ياقمرى الوجه ، ياوطنى ، وطنى !

علمته أسلوب كل كلام ،

وكيف ينطق كل حرف .

وحين تعلم وتكلم ،

كان أول ماقال : هجائى !

دق شيطان بابك ، اهرب منه !

فإنه لايدخل قلبك عبثا .

ألا أدلك على طريق السلامة :

خلص أذنيك وعينيك منه .

لا تقل شعرا مالم تتهيأ أدواته ،

وإن لم ينطق اللسان بما فى قلبك ، لاتقل .

فلابد أن يزينك كلامك ،

فإن لم يزينك بما فيك ، فلا تقل .

قيل لدجاجة : ياأسيرة البيت ،

لم أنت أسيرة الحب والماء ؟

فتأوهت وقالت : لأنى لاأستطيع الطيران ،

لابد أن أبقى فى هذه الخراب .

مررت بعين ماء فى الصحراء ،

فبللت شفتى وقلبى ملتاع .

فانظر ما حدث لى من قطرة ماء :

لقد سقطت فى بحر .

متفرقات

الأسطورة(*)

في الليل المظلم ، المجنون الذى
أسلم قلبه للشحوب ،
جلس فى واد خال بارد
مثل ساق نبتة ذابلة ،
ينسج قصة حزينة .
وظلت مضطربة معه ،
قصة الحبة والفخ .
ومن كل ماقيل ومالم يقل ،
بقيت رسالة من قلب راح .
قصة خيال مضطرب :
- (ياقلبى ، قلبى ، قلبى !
أيها الضعيف ، المضطرب ،
مع كل الطيبة والقدر
ماذا أفدت منك ،

(*) أخيرا نذكر بعضا من أشعاره التى نظمها فى بداية حياته ليتضح لنا الفارق الفنى الكبير ، ومدى التطور الذى أحدثه فى الشعر .

سوى دموع على وجنة حزينة ؟

ماذا وجدت أخيرا أيها القلب الضعيف

حين قطعت سبيل الخلاص ؟

أيها الطائر العابث ،

يامن حط على كل فرع

إلام تبقى حزينا كسيرا ؟

كنت تملك أيها القلب الخلاص

إن لم يخدعك الزمان ،

لكنك لم تر سوى نفسك

ففى كل لحظة ذريعة ،

حتى أنك أيها الثمل تعادينى ،

ومن شدة السُكر بالعشق

تصادق الأسطورة .

العالم يهرب منها دوما ،

فمالك تآلفت معها

إذ لم تجد سواك تبتليه .)

الأسطورة :

(لم ير أحد مبتلى مثله

في هذا الطريق المنزلق .

آه ! منذ أمد يحكون أن :

طائرا طار من أعلى الغصن

وبقي عشه .

لكن تلك الأعشاش كلها

تستسلم للرياح .

وسالكو هذا الطريق

ينشدون محزونين . . .

وكان هو من السالكين .

أعلى هذه المغارة الخربة

وتلك السماء العالية والنجوم

كنتما محزونين معا لأعوام

تتمزق منكما نياط القلب

هو يقبلك وأنت تقبله .)

العاشق :

(كنا محزونين معا

لأعوام كالمنبوذين ،

لكن الموجة التي سارت مضطربة

كانت تحمل قصتك إليه .

وكان يبتسم لك ، فى تلك الموجة .)

الأسطورة :

(لقد رأيت على تلك الموجة

المضطربة فارسا شجاعا .)

العاشق :

(لكننى وصلت إلى حمراء الوجنتين

جدائلها كالأحاجى ،

مضطربة كالدوامة .)

الأسطورة :

(حينئذ خفية ،

كنت أرسم صورته على الماء .)

العاشق :

(آه ! كنت أنا أقبِّل من بعيد

وجهه فى منامى - أى منام ! -

بأى أحداث ساحرة !

أيتها الأسطورة ، الأسطورة ، الأسطورة !

أنت قوس وأنا الرمح لك !

يا دواء القلب ، وترياق الألم

رفيقة بكاء الليالى !

ما شأنك مع ولهان مثلى ؟

ماأنت ! أيتها الخفية عن الأنظار !

يامن تقبعين عند رؤوس المعابر !

الشكوى دوما على شفاه الأبناء

وشكواك من الآباء !

فمن أنت ؟ ومن أمك ، ومن الأب ؟

حين تجاوزت سن المهد

كانت أمى تقص عليَّ حكايتك ،

وتحدثنى عن لونك ووجهك ،

وكانت العين تغفو عليك .

بعد أن تسلبينى العقل فأُفتن بك .

وحين شببت عن الطوق

ومع لهو الطفولة ،

حينما كان الليل يحل ،

عند عيون الماء والنهر

سرا ،كنت أسمع صوتك .

أيتها الأسطورة ! ألم تكونى أنت
- عندما كنت فى الصحارى ،
أجرى وحيدا ، كالمجنون ،
ملتاعا باكيا -
من يمسح دموعى ؟

وحين كنت ، نشوان ،
أنثر الجدائل فى الهواء
ألم تكونى معى ،
حزينة ملتاعة
تطبقين السماء على الأرض ؟

بجوار الخراف ، فى ليلة معتمة
حين سقطت ، مريضا شاحبا ،
ألم تكونى تلك الهيولا ،
- ذلك السواد المهيب ذو الشرر -
الذى صرخت خوفا منه ؟

عند ابتسام الربيع
جوار خضرة الغدران ،
تحت نور القمر المتألق

على سفوح الجبال ،

أينما أُقيم حفل ، كان لك .

كان البلبل الضعيف يئن

وعلى وجنة العشب ، يصب الليل نداه

و وجه ذاك القمر ، من دفء العشق ،

كان يحمر كزهرة الرمان

كنت تخطين القصة ......

أنت قصتي - أيتها الأسطورة ! -

فهل هي الاضطراب والحيرة ؟

أم التشتت والضياع ؟

أم الدموع سيلا ؟

أم شيطان مائج ؟

أأنت قلبي المفعم بالصراع

الذي يبقى مجهولا ضائعا ؟

أم أنت خلقي الذي لايسعى

لشهرة وتألق ؟

أم أنت حظي الذي هرب مني ؟

كل شخص طردك من جواره

غافلا عن أنك خالدة .

فمن أنت ؟ ـ يا طريدة كل مكان ـ

هل سبيلك إليَّ ، المودة ؟

أأنت قطرة دمع ، أم أنت حزن ؟

أذكر أننى فى ليلة مقمرة

جلست على قمة جبل ،

فغفت عيونى من وله القلب

وتخلص القلب من تشويش العيون ،

وهبت ريح باردة من أعلى الجبل

فقالت لى :

" أيها الطفل الحزين !

لم أنت بعيد عن بيتك ؟

ولم أنت تائه هنا ؟

أيها الطفل ! يامن فُتنت بالزهرة

أنت كالعشبة فى هذا الوادى الضيق . "

ووضعت يدها فى شعرى كالمشط ،

بنعومة وخفة ومودة

ولاطفتنى أنا المسكين المتعب

ولاعبتني لعب الأطفال ....

أيتها الأسطورة ! أكنت أنت تلك الريح الباردة ؟

ما أكثر الضحكات التي أرسلتها

على سوء طبعي وحسنه .

وماأكثر ما أتيت باكية ،

عليَّ وعلى قلبي ونصيبي .

أأنت وحش ، أم أنت ملاك ؟

أيتها المجهولة ! من أنت حتى تكوني

معي أنا المسكين في كل مكان ؟

أكل لحظة تضمينني إليك ،

فتزيدي من ذهاب عقلي ؟

أيتها الأسطورة ! تكلمي ، أجيبيني !)

الأسطورة :

(كف عن السؤال - أيها الولهان ! -

أدميت قلبي من كثرة ما قلت .

صدقني إنه الحزن .

فالأكثر حزنا ، من يكثر الكلام !

أيها العاشق ! إنك تعرفني :

أبتعدُ عن القلب الفارغ ،

أنا شريدة السماء .

أبقى بعد الزمان والمكان ،

ومهما أكن ، فأنا حضن العشاق :

أنا كل ما تقول ، وماتريد .

أنا وجود عتيق ،

مغيثة الحزانى المساكين .

الجدات يعطوننى

الأطفال الخائفين ، فى الليالى المظلمة .

أنا قصة لابداية لها ولانهاية .)

العاشق :

(أنت قصة ؟)

الأسطورة :

(نعم ، نعم

قصة العاشق المضطرب ،

اليائس المشتت ،

المسهد ليله حزنا

يعيش أعواما منزويا حزينا .

أنا قصة العشق المفعم بالخوف
وإن كنت مهيبة مثل شيطان الصحارى ،
وإن تسمينى عجائز القرى
غولا يفر من الآدميين ،
فأنا وليدة اضطراب الدنيا .
كنت قبلا فتاة ،
رقيقة جذابة .
فملأتُ العيون اضطرابا ،
كنت ساحرة .
جلست على مزار ،
وعودى فى يدى ،
وكأس خمر فى اليد الأخرى .
لم يعزف العود لحنا ، ثملا ،
وتقطر الدمع من عيونى السوداء
قطرة قطرة داميا .
عندها ، أظلمت الدنيا
وفى الأفق ، بدا سحاب دام .
كان بين الأرض والسماء

اختلاط الأصداء ،

وتصاعد الدخان من هذه الخيمة .

أقفل النوم عينىَّ

فسقط عودى والكأس من يدىَّ

تحطم العود وانكسر الكأس ،

فتخلصت من القلب وتخلص القلب منى ،

ذهبت ولم تعد ترانى .

ماأكثرالليالى الموحشة ،

التى تأتى بعد ذهاب السحاب .

قامة لاتعرف لمن هى ،

بصوت حزين وقلب ملتاع

همست باسمى فى أذنك ......

أيها العاشق ! أنا أيضا مجهولة

أنا ذلك الصوت الآتى من القلب ،

أنا صورة موتى الدنيا .

أنا لحظة تمر كالبرق .

أنا قطرة ساخنة لعين دامعة .

فى تلك الجبال ، ماذا تفعل

أيدى الناس ، فتتسخ بالطين ؟
لكن واأسفاه ! منذئذ
لم يحصلوا على شيء .
رغم مضى السنين .
وعلّ هارب هناك ،
أكل أوراق فرع .....
سُمعت أصوات أخرى ....
وظهر شكل مخروطى لبيت ...
وقطيع ماعز فى المرعى ....
بعدها ، راع كهل
يبحث عن بيت .
قصة جلية ، ضاع
فيها كل أثر ودليل ،
له مغزى أو معنى .
لكن من كان يعلم أن
بومة تنعق حزينة ؟
فقد تشقق بيت الشوق ،
ولم يبق منه سوى أثر على التراب ،

فبكى كل شيء ، عدا عين الشيطان !)

العاشق :

(أيتها الأسطورة ، حقراء

من أفسدوا الطريق إلى الروض

والحقير لاتؤلمه مائة عام من الطوفان .

بينما الزهرة ، تمرض من ريح عابرة

فلا تخف ما لديك من كلام .

فتكلمي بلسان قلبك ،

الذى لاينكره أحد .

وربما يحتال فيه ،

ويعيبه وهو يعرف حقيقته

من ينكر الحقائق من أجل كلام الناس .

فهذه ، لغة كسيرى القلوب ،

لا لغة طالبى الشهرة ،

قول لايؤثر فى أحد .

نحن من نحترق فى الدنيا

نتابع قولنا :

من سيكون فى هذه الأكواخ بعد ؟)

الأسطورة :

(لا أحد سواى ، أيها العاشق الثمل !

كان يرى ذاك الاضطراب ويسمع ذاك الصوت

من أعماق الأسطح المحطمة ،

على الجدران الباقية ....

فى كوخ خشبى بسيط ،

على أطراف خرابة ، أتذكر ؟

قروية عجوز

تغزل خيوط قطن ، وتبكى بحرقة ،

والليل مظلم ساكن ....

والرياح تولول فى الخارج

والنار تشتعل داخل الكوخ .

وفجأة دخلت فتاة من الباب

تدق على رأسها وتقول :

ـ " قلبى ، قلبى ، قلبى ! "

وتتأوه من أعماق قلبها المتعب .

وألقت بنفسها فى أحضان أمها باردة .

أتعلم ما أحرق قلب

هذه الفتاة المسكينة وأضعفه ؟

العشق المضنى ، أنا العشق !

حاصل الحياة ، أنا !

ضياء الدنيا ، أنا !

أنا ، الأسطورة ، قلوب العاشقين ،

إن يكن جسم و روح ، فأنا ، أنا !

أنا زهرة العشق وابنة الدموع !

أتذكر ذلك الخراب !

تلك الدينة في غابة (آليو) ،

حين كنت من التقليديين

ترسل القبلات لأخيار الجددين ؟

منذئذ كنت صديقى .)

العاشق :

(حينئذ ، حين بقى

مايشبه الغبار عن فارس ....)

الأسطورة :

(ذلك المسرع ، الذى صار

الطريق بعد عبوره

نهبا للصحراء الموحشة ....)

العاشق :

(لكنه ضاحكا ، ذاك الحبيب ،

كان ينشد منتشيا ، وسار ثملا .

وليعرف منافسه فى الثمالة ،

كان كأسه فى يده أينما ذهب .

أية ليلة ! القمر ضاحك ، والخميلة ناعسة !)

الأسطورة :

(آه أيها العاشق ! كان الوقت سحرا .

وصدر السماء منبسط منير .

وعبرت قافلة الطرب الطريق ،

لكن جرسها بقى شجيا .

وبردت نيرانها فى الموقد .)

العاشق :

(وقفت الجبال شامخة.

ومالت الوديان كاللصوص .)

الأسطورة :

(نعم أيها العاشق !ـ لقد

سقطت القلوب وشردت ،

وأذكر قصة ذلك :

أينما كانت فتنة وليل وحقد

وأفنى الناس بعضهم ،

كان على قمة جبال (كباجين)

شيء من نار فى أعمدة الدخان ،

ووُلد طفل ضعيف ......

ولنصير أصدقاء متآلفين ،

ألخص لك القصة .

فى ذلك الركن ، راعية ، مبكرا

منعت الرضاعة عن الوليد .)

العاشق :

(آه !

أى زمان ، أى زمان جميل !

كانت قصة قلب سعيد

عاد إلى بيت القلب ....)

الأسطورة :

(أيها العاشق ! كانت بومة ، تعرف

خراب القلب .)

العاشق :

(حقا أيتها الأسطورة ! بومة حزينة .

كل لحظة من الليل ، تذكرنى

بها ، بومة الباطل

وقد وقفت ، وكأن المحبوب

واقف بخراب (ناتل)

يده في يدى وعينه باكية .)

الأسطورة :

(جاء من المزار المقدس

أيها العاشق ! يبحث عن دواء .)

العاشق :

(جاء يردد

قصة من ذهبوا .

ليبحث عن حياة فى هذا الحزن .)

الأسطورة :

(جاء ليستعيد

أيها العاشق ! ما كان قد تركه .

لكن ما الفائدة ، ففى الصحراء

للهول أسنان مفتوحة

ولابد لهذا الكأس أن ينكسر .

والأفضل ـ يامن تنقش السحر !

أن تنقش رسما آخر يصلح ،

على هذا الحجاب ، نقشا لايزيدك حزنا .

يجلو السواد عن البياض .

ومامضى ، كعين عذبة

أكانت يوما كما هى الآن !

والحقيقة هنا ، فاغتنم الفرصة ،

والكنز فى البيت ، والقلب يعانى

فلماذا ؟ أليست الخميلة رائعة ؟

حين كانت الأشجار البرية

تلقى ظلالها على الأحجار ،

والعصافير فى الغابة البعيدة ،

تغرد معا فى تناغم

حين يغرد واحد منها .

فدع الشكوى ، وانهض وتأمل

كيف انقضى الشتاء .
وانبعثت الغابة والجبال .
وغادرت الدنيا ذاك السواد ،
وانطلقت ضاحكة كالبرق .
وذابت كتل الثلوج ،
وأبلقت قمم الجبال .
وغادر الرعاة مراقدهم ،
وانطلقوا سعداء
فقد حل وقت الرعى .
أيها العاشق ! انهض فقد حل الربيع
وفاضت العين من الجبل ،
وصارت زهور الصحراء كالنار ،
وجرى النهر الجاف متدفقا ،
وتلونت الصحراء بشتى الألوان .
وذاك الطائر يبنى عشه ،
مغردا على الأغصان .
يحمل أعواد القش بمنقاره ،
وينبت كل لحظة غصن أخضر .

والأطفال سعداء فرحون .)

العاشق :

(فى الطرقات والقرى

الذئاب تتلصص برؤوسها .)

الأسطورة :

(أيها العاشق ! ما هذا الكلام ؟ الآن

الذئب - وإن لم يبق طويلا -

يرقص فرحا بالربيع .

وقد أشرقت الشمس الذهبية ،

على ندى الصباح .

حبات الندى تتألق ،

مثل الماس ، أو السمكة فى الماء

تتعلق بالأمواج .

أنت أيضا - أيها المسكين ! - انطلق سعيدا

فالربيع مزدهر ،

والزمان يرقص ،

فإلام تبقى دامع العينين ؟

انطلق مقبلا ، فالزمان يتغير .

أبعد الماضى عن خاطرك .

وتأمل فى سفح هذا الجبل :

الخراف البيضاء والسوداء معا

ألحانها كقلب العاشق .

ووسط الخضرة ، هذه

الأزهار الرقيقة الباسمة

أزهار صغيرة ملونة ،

تتجمع فى باقات

لتكون هدية العشاق .

تحرك ، فهناك من

يسترق النظر إليك كل لحظة .

أيها العاشق ! إن كنت تحب السواد

فهاك عيناه السوداوان

اللتان تحكيان اضطراب القلب .)

العاشق :

(إليك عنى أيتها الأسطورة ! فهذا خداع .

ولانصيب للقلب من الوصال والسعادة .

واللقاء والهناء والوفاق ،

كلها خيالات وأوهام .

والغافل هو السعيد ، والعارف حزين !

لم تنفرج شفتا زهرتى ببسمة ،

ولم تُنبت الأمطار لى وردة .

ففى سوق البائعين

أعطيت كل شيء ، مقابل

هناء يوم مضى .....

وأسفاه ! واحسرتا !

فكل الفصول معتمة .

وحين أذكر الماضى

أرى عينا ، لكنها حيرى ،

مفعمة بالهموم .

أطاح الجهل بقلبى فضاع ،

وأنا ألهث وراءه .

لكننى من نشوة خمر الأمس ،

أسير نشوان ثملا .

أحتاج رشفة لأتحرر .)

الأسطورة :

(إلام تريق القطرات ،
أيها العاشق المسكين . !)
العاشق :
(إن لم أرقها ،
فكيف يتحرر القلب ؟
حتى أستطيع أن أنهض خفيفا ،
وأتأمل بساط الربيع .
الأسطورة :
(الآن ، انهض وتحرر
فهذه بداية الحياة ونهايتها .
ولاتذكر الماضى بعد ،
فلا شيء يستحق
أن تضعف هكذا .)
العاشق :
(لكن للأسف ! كالأفعى
ينشب هذا الألم أنيابه فى روحى ،
فألتف حول نفسى كالحية ،
حتى تضيق بالجسد عظامى .

فكيف أخدع وهذا حالى ؟

قلبى رسالة السماوات ،

ومدفن الآمال والأرواح .

ظاهره ضحكات الزمان ،

وباطنه دموع خافيات .

فكيف أحرره ؟ وأين المفر ؟

رفيقتى ! عاد السواد ،

يحملنى شئت أم أبيت .

إن تلتمع نجمة ،

فشعلة تنطفئ

وتزأر الرياح .

الآن تحت التلال ،

تختبىء الثعالب .

وقد بقيت الجبال والغابات ،

مرتعا لها .

وكل طائر نائم على فرع .)

الأسطورة :

(كل طائر انزوى فى ركن ،

وجعل الليل قلب العاشق ثملا .) . . .

العاشق :

(هذه الدنيا المتعبة ، أيتها الأسطورة !

أغمضت عيونها ، ونامت .

غاب عنها العقل وتلقفها الخيال .

فدعينى ، واتركى قلبى ،

فما أكثر ما رأى من كوابيس .

العاشق والعشق والمعشوق والعالم ،

كل ما رأى ، رآه نائما .

أنا العاشق ، أنا النائم ، أنا الغافل !

الزهرة ، بثوبها الرقيق

المفتونة بالبلبل المغرد .

ذبلت حزينة قبل أن تتفتح .

فقولى ! ما هذه الجلبة ، وما السر ؟

وما هذه الصراعات ؟

دعينى أيتها الأسطورة ! فإننى

أسأل هذا النجم عن آلاف الحكايات :

كيف تفتحت هذه الزهرة الحمراء ؟

ماذا حدث ؟ م تشكو الآن ؟

وكيف ذبلت من أنفاس الرياح ؟

ما رأيته ، كان حلما ،

أو نقشا على الماء .

العشق ، كان هذيان مريض ،

أو حباب خمر صافية .

رفيقتى ! أى زمان كان هذا ؟

على شاطئ خال ، كنا

نجرى سعداء .

مع أنفاس الصباح المنعشة ،

ننشد ألحانا مطربة .

لانحمل هم يوم فراق .

ترحل القبيلة معنا ،

نحمل عصينا متجاورين .

والجبال ، تلك الأبطال ،

ترفع رؤوسها متقابلة .

وقطعاننا تسبقنا .

تشتعل النيران حتى أنفاس الصباح .

والرياح ، تهب رقيقة تصفر .
كأنما ، في ذلك الوادى الضيق ،
البعض يسير ، ويبقى البعض .
تحت جدار من السرو والصفصاف
آه ، أيتها الأسطورة ! في أعماقى جنة
صارت خرابة في صدرى :
ماؤها ، من عين حزينة
ترابها ، من رمادى .
طالما ترينني ساكنا .
ماأكثر ما شاهدت إشراق الصباح ،
تضحك أزهاره ، وتزدهر الغابة .
وما أكثر الليالى التى اغتم قمرها ،
وصمتت أجراس قوافلها ،
وقد تعبت قدماى ، في الصحراء .
عيناى أعلى وجنتين ذابلتين
مع مصباح مُطفأ ،
مثل ملتاع في محراب
يسمع أنات خفية .

والجدار ، ثقيل ساكن .

تساقطت أضلاع الجبل ،
وأطلق السيل فجأة صيحته .
وفقدت الحمامة عشها
ووجد العصفور نفسه فى أرض خربة ،
ونسى أمر أليفه ....

من يمكن أن يحبنى
ولاينشد مرامه فى حبى ؟
كل شخص يسعى لصالحه ،
ولايقطف زهرة غير عطرة .
الحب دون نفع ، خيال !

من اكتسى الصوف أمدا
وعزف نغمات الخلود
كان عاشقا لحياته
غافلا ، فى ثوب الخرافة
كان يخدع نفسه .

ضحك العقل الذكى على
أن بعد هذه الدنيا دنيا .

فالإنسان ، ابن التراب الحقير
مقيد بعشق خفى ،
شغوف بحياة أخرى .
ألم ، كمئات الآلام
- إن أردت الصدق -
وبعد أن فنى جسد العانى ،
بقى منه لسان يحكى
قصة عشق آخر .
ياحافظ ! ماهذا الكيد والكذب
على لسان الخمر والكأس والساقى ؟
إن يبقى الأنين للأبد ، لاأصدق
أنه من أجل العشق الباقى
فأنا عاشق لما مضى !
أتعجب ! من أنا ومن أنت ؟
ومن أى دن عميق ثملنا ؟
ماأكثر ماكسرنا من قيود ،
لكن لم نتحرر من قيود الوهم
نضحك غافلين ، ونئن عبثا .

أيتها الأسطورة ! دعيني ودموعي
فقد اشتعلت نيران أحرقت روحي ،
ولم يعد هناك بد من البكاء .
فماذا أفعل ؟ فلم تعلمني الروح
سوى عبث القلب .)

الأسطورة :

(أيها العاشق : أكان هذا كلامك ؟
يمكنك أن تردد كلام كثيرين !
يمكنك أن تكون بقعة دخان ،
يتكرر رسمه في السماء ،
ويمكنك أن تبقى صامتا كالليل .
يمكنك أن تكون طائعا كالغلمان
سامعا مطيعا ، لكن
العشق يحلق كل لحظة
والعقل يرى الأحاجي كل يوم ،
والإنسان في هذا الصراع .
لكن ليس هناك سوى حقيقة هي :
نحن شركاء في هذا .

إن يتأتى من القلب مائة فعل ،
فظلها مايقع على الجدار
فيراه الناس .
انهض فليس لدينا
خبر عمن مضوا
فلنسعد ، لأنه بأيدينا
أن نخط سطورا جديدة فى هذه القصة ،
فالحسن والسيىء ، بأيدينا .
أنت تريدنى ، وأنا أريدك أيضا
فلم التكبر ، والسخرية والتدلل ؟
اركض بقدميك ، واعمل بيديك
أتريد أن تلعب معى ؟
أم أنك تسلينى ؟
أيتها الوردة المتفتحة توا ، إن
ضعفت وذبلت سريعا ،
فذاك من قوة الشباب
فما هو أكثر قوة ، أسرع موتا .
ومع مثل هؤلاء ، لىَّ شأن .

دققت بيدى دوما على قلوب
الناس فى هذى الدنيا العتيقة .
وقد فتحوا بابا لهذه الحديقة الآن ،
بعد أن كان مغلقا بحقول الشوك
فصار الربيع ملازما لك .
زهرتى النضرة ! الزهرة وإن تكن مختفية
فى أعماق فرع من الشوك
فسوف يعثر عليك ، عاشقك .
إذ لايقر قرار ، من عشقك ،
لكل طائر لا يعرفك .
البلبل المسكين يأتى صوبك ،
وكذا العاشق المبتلى .
طينتك هى كل حدث ،
وطالب الحدث يأتى إليك
فأنت عزاء العاشقين !)
العاشق :
(أيتها الأسطورة ! لاآمل
أن يختاروني ويحبوني . . .

فأنا ابن الجبل ، وناتج السحاب ،
والأفضل أن يدعونى على العشب
أعانق الربيع .
لن يدق أحد قلبى ،
فقلبى عش .
وإن لم يكن من ورائه طائل ،
فأنا أرى فيه ،
وأنا سعيد بذاك الخيال .)

الأسطورة :
(أيها العاشق ! أينما كان مخادع
فأنا أكثر خداعا منه !
ومهما يكن عتيا ،
فأنا أكثر كذبا .
طريدة العقلاء ، أليفتك ،
اتخذت من خلاء الجبال بيتا .)

العاشق :
(مثلى .)
الأسطورة :

(مثلك صامت من الألم .

دعني أخبرك بما أرى .)

العاشق :

(حتى تجدى قلبا متوهجا)

الأسطورة :

(ألمه سرى في العروق والجلد . . .

أيها العاشق ! مع كل هذا الكلام

تختبرك قطعة ذهب .

أى سعادة ؟ أى أذى ، أى هدف ؟

يصير هذا الفرع يوما بلا ثمر ،

لكنه اليوم ريان من هذا الغدير .

هناك حقيقة واحدة :

ما يجب أن يكون ، يكون !

وهناك خداع يسرى دوما :

حينما تقفل العيون ، يكون العشق !

لكننا ، هكذا نكون .)

العاشق :

(آه ! أيتها الأسطورة ! هذا صحيح

إن ينبع الخداع منا ، فهكذا نحن .
وإن يكن هناك أمل ،
فسنكون أكثر صفاء معا ،
متحابين متعاطفين .
أنت كذب ، كذب جميل .
وأنت حزن ، حزن عذب .
أفلس منى القلب ، والعشق ،
وسوف أستودعك كليهما .
ولتدعى لى ذاتى .
يامن أنت : الكذب ! الحزن ! الخير والشر !
من يقول لك : اذهبى من هنا ؟
من يقول لك : من هنا انطلقى
فتعلقى كزهرة بفرع ،
مثل ضوء قمر فى ساحة حديقة .
ياقلب العشاق ! أيتها الأسطورة !
يامن نقشت على وجه الزمان !
يامن عزفت على عودك
نغمات الخلود ،

أنت قبلة على شفاه العشاق .

لتختف خلف سحبى ،
حتى لايسمع صوتى
في السماء سوى الملائكة ،
ولايقرأ أحد ما كتبت
سوى قلب عاشق مضطرب .
فلتُجرى دموعه على وجنته ،
وتُسكنى آهتى قلبه .
وروحى المجهولة ، نفسه
فتهيج شجونه ،
وتتصاعد النيران من القلوب .
ها ! ولتأت من هذا الوادى الضيق
مرقد الليالى الفسيح ،
ولاسبيل لأحد إليه .
وهنا ، حيث كل وحيد ،
نتبادل همومنا .)

١٩٢٢م

أيها الليل(*)

أيها الليل المشئوم الموحش !
إلام تضرم النار فى روحى ؟
إما أن تقتلع عينى ،
أو ترفع الحجب عن وجهك
أو تدعنى أموت ،
فقد سئمت زمانى .

منذ أمد بسبب سوء الزمان ،
تسيل دموع عينى .
مر عمر فى حزن وألم ،
فكيف أقضى بقية عمرى ؟
لا يفارقنى سوء الحظ ،
ولا نهاية لك أيها الليل الطويل .

إلام تعادينى ؟
ألا يكفينى حزن الزمان ؟

(*) هذه القطعة من أولى القطع التى نظمها الشاعر فى بداية محاولاته التجديد .

تسلبنى القلب والاستقرار
ففى كل لحظة لى سبيل وقصة ،
كفاك فأنت فتنة شديدة ،
وأنت أصل الألم وسوء الحظ .
قصتك هذه معى ، لا قصة أفضل منها .
جيدة ولكنها من الألم ،
أنَت وبكت بحرقة ،
وتحطم قلبى من الاضطراب ،
فدعك من تلك القصة .
هناك ، حيث تساقط الزهر من فرعه ،
ودقت الرياح على الباب
وانصبَّت المياه أمواجا
وعلاها ضوء القمر ،
أتعلم أيها الليل الطويل المظلم ،
ماذا كان يخفى هناك ؟
كان هناك قلب دام ألما ،
كان هناك وجه مكدر حزنا ،
كان هناك رأس مفعم بالأمل

في أن يضم الحبيب حبيبه

فما كل ذاك الأنين الملتاع ،

أنين العشاق الحزانى ؟

ماذا تحت ظل تلك الأشجار

يخفى عن عيون الدنيا ؟

أهذه المصائب عجز البشر ،

أم أنها حقيقة الدنيا ؟

ضاع صبرى فى مسيرك ،

فما عاقبة ذلك ؟

ما أنت أيها الليل الحزين !

وماذا فى جعبتك بعد ؟

مر الوقت وما زلت هكذا ،

موجودا بشكل مخيف .

أأنت تاريخ الذاهبين ،

أم أنت مفتاح أسرار الموتى ؟

أأنت حامل مرآة الدهر ،

أم مسدل الحجب على قصص العشق ؟

أم صرت عدو روحى ؟

فدعك من هذه الأعاجيب ،

واتركنى فى حالى ،

بروحى الحزينة وقلبى الجريح .

دعنى أستغرق فى نومى ،

فمن كل ناحية تهب الرياح .

الوقت جميل هادئ ،

وقد صاح طائر السحر ،

وارتفعت الحجب ،

فإلام أراك ؟

منة الأدنياء

إقفال العين على القذى   وتقليم الظفر بمبرد من حديد
ورفع غشاوة الجهل المظلمة   عن أرواح فاسدة لكهول جهلاء
وإسماع أذن صماء تائهة   صوت أقدام وهمية
وجعل عين عمياء ترى   ذبابة تطير بعيدا
والطيران بالبدن دون قدم   فى جوف صخرة قاسية
ولاجناح   والزحف فى قلب نيران مشتعلة
واحتضان أسد مفترس   و الجرى على الأشواك
وحمل قمة جبل على الظهر   من حمل منة الأدنياء

١٩٢١

* * * *

الابـن(*)

لم يكن الابن يبر أمه ،

فشكته للحاكم .

قال الحاكم للابن : ما الأمر ؟

قال الابن : دعنى ، فلا شىء .

فقال له : إن أدعك أو لا ،

لم لاتبر أمك ؟

تملك مالا ؟ . . أملك .

لم لا تعطيها ؟ . . لاأريد .

غضب الحاكم حين سمع هذا ،

وأمر غلمانه

أن يربطوا ببطنه حجرا ثقيلا

ويأخذوه للسجن ،

فيسجن لتسعة أشهر ،

(*) ومن الأشعار التى صاغها على النمط التقليدى حكايات تصلح الأطفال .

وألايرفعوا الحجر عنه

حتى يتأذى منه .

ارتفع صوت الابن :

لم البقاء بهذا الحجر ...

فلا طاقة لى به ...

قال الحاكم : تأمل الأمر ،

أنت لا تحتمل بر والدتك

فكيف تحملت المسكينة

حملك تسعة أشهر

دون تذمر ؟

١٩٢٧م

* * * *

عبد الله بن طاهر والجارية

سمعت أن " طاهرا " أمر
بحبس أمير فى القصر .
فانزوى ذلك الأمير مثل الكهول ،
مهموما حزينا نادما .
ورغم شفاعة الشافعين ،
ظل غاضبا منه
فلم يعف عنه . ومرت الأيام
وضعف الرجل الأسير فى القيد .
وحين فاض به الكيل ،
احتال للأمر .
وكان فى قصره
جارية لبقة عاقلة جميلة ،
فأرسلها إلى " طاهر "
وقد غطت وجهها ،
فأخذت تحدثه وتقص عليه
بلفظ ساحر فتان .

فقال " طاهر " :

(ماقلته حق

لكن للذنب عقاب ،

فدعك مما قلت

لأنك مهما أحسنت ، فذنبه أكبر

وأعظم من أن نعفو عنه .)

قالت الجارية :

(سيدى ،

هناك شفيع أكبر من ذنبه)

قال " طاهر " :

(ماهو ؟)

قالت :

(وجهى) ورفعت النقاب .

فانبهر " طاهر " بعينيها الفاتنتين ،

وسُحر بشفتيها الجميلتين .

وقال :

(ما أعظمه من شفيع !)

وأمر غلمانه فجاءوا

بسيد تلك الفاتنة ،

وأغدق عليه من الكرم

ماعوضه عما أصابه من ظلم .

١٩٢٨م

* * * *

العين الصغيرة

انفجرت عين ماء من الحجر
مجلجلة ،مزهوة ، مسرعة ،
حينا مثل يد على فم كالصدف ،
وحينا كسهم ينطلق لهدف .
قالت :

أنا وحدى فى هذه المعركة ،
أنا تاج الروض والصحراء ،
حين أجرى ، أحتضن الخضرة
فتقبل رأسى والكتف .
وحين أنفلت من أحضانها ،
يُبدى القمر وجهه لى .
قطرة المطر تسقط على الأرض ،
فتنبت الجواهر المتألقة ،
حين تسرى فى أحضانى إلى آخر الطريق ،
وتتوارى خجلا .
السحاب ، يحمل مياهه منى ،

الروض ، يتزين بى ،
والزهرة ، بلونها وجمالها ،
تحيا بى .
تحت هذه القبة الزرقاء ،
من يجد لى مثيلا ؟)

هكذا صارت مغرورة ،
وسارت حتى ابتعدت .
ورأت بحرا هادرا ،
مخيفا ، مضطربا ،
فصرخت حتى أصمَّت الفلك ،
واسودت عينها ، وارتعدت ،
كأنها زُلزلت .
حين وصلت العين الصغيرة هناك ،
ورأت ذلك البحر الهادر ، أرادت أن تتراجع عن تلك الورطة ،
وتنقذ نفسها منها ،
لكنها ظلت ساكنة حيرى ،

صامتة عن ذاك الكلام .

والناس مثل تلك العين الفائرة ،
يُكثرون من الكلام عن أنفسهم
ويسوقون الكثير منه ،
فيحرقون أفئدة الأبرياء .
لكن حين يرفعون الحجب عن أنفسهم ،
ويتقدمون خطوات
وراء حجاب كل منهم ،
يزنون الأمور أكثر .
وحين يتقدمون أكثر ،
ويفقدون القلب والقالب ،
يرون كل ذلك عبثا .
وأن ماسمعوه من أنفسهم أو غيرهم ،
وما فعلوه من خير أو شر
طالت مدته أو قصرت ،
عرض ، سرعان مايتلاشى .

وأن ما يبقى هو القالب ،

وهو أيضا خرافة بلا طائل .

١٩٢٣م

* * * *

عنزة الملا " حسن "

عنزة الملا " حسن " الثرثارة ،

حين تترك القطيع عائدة إلى القرية ،

كانت تصحب معها

بضع عنزات إلى المنزل :

عنزة الجار ، عنزات أهل القرية ،

كلها نفع وكلها دون مقابل .

يفرح الملا وهو يحلبهن قائلا :

(مرحبا ، أيتها العنزة الذكية

التى تزيد نفعى مجانا !)

وحدث أن ضلت عنزة الملا يوما

وراحت عند أهل القرية .

وطاف الملا متحيرا

بالقرية بيتا بيتا ،

وبحث فى كل حفرة

وكل دهليز ، وفي كل غابة وكل جبل ،

ولم يجد عنزته .

فغضب وأقسم قائلا :

(إن أجد تلك الخائنة ،

لأمزقنها إربا .)

وفجأة رأى على جانب

عنزته ترعى .

فأخذها وقيدها بحبل ، وأوسعها ضربا قائلا :

(عديمة المروءة والحياء !

مع كل ما أمنحك من علف وماء

يكون جزائي

أن يشرب أهل القرية لبنك ؟)

فأجابته العنزة قائلة :

(لبن عنزات الناس لأيام

ألا يساوى لبني ليوم واحد ؟)

إما أن تتعفف عن أكل حقوق الآخرين ،

أو تتغاضى عن أكل الآخرين لحقك .

١٩٢٣م

* * * *

الزهرة مبكرة النمو

تلك الزهرة مبكرة النمو ، حين تفتحت
كانت وحيدة على شاطئ النهر .
قال القروى الكهل :
(واأسفا ! لقد نموت وحدك مبكرا ،
وتفتحت وحدك الآن
زهرتى الجميلة ، لكن
لايعرف الأعمى الأبيض من الأزرق .)
- (لن يقلل ذلك من شأنى) قالت له الزهرة ،
(لم آت عبثا ،
والعيب فيمن نام ونهض
متأخرا ولم يلتفت إلىَّ .)
فمن لايعرف قيمة الوقت ،
فبم يحظى تحت هذه القبة اللازوردية ؟

١٩٢٤م

* * * *

الثعلب والديك

كان يمر فى طريق المقابر ،

ثعلب لئيم ماكر .

رأى ديكا جميلا ،

على فرع شجرة عالية .

سمينا غافلاعن العدا ،

ساذجا لايعرف الكيد والريا .

وللوصول إليه ،

ارتعش قلب الثعلب . لكن كيف ؟

المخلب قصير ، والهدف عال .

المعدة خاوية ، والرزق بعيد المنال !

فأعمل حيلته ، وانطلق

بالدعاء والتضرع .

فسأله الديك :

(من أنت ؟)

قال :

(أنا مؤمن ، أتضرع لله

أطلب الغفران للموتى ،

وأداوى الأحياء .)

قال :

(بحق الله أيها المؤمن ،

خلصنى من شر العدو .

فقد قالت أمى : إن عدوا

يتعقبنى فى كل مكان .)

فتأوه الثعلب وقال :

(ليسوء حظ العدو !

اهبط ، لنناجى الله معا .)

فهبط الديك ....

وتحت أسنان العدو قال :

(أيها المؤمن ، أين تضرعك ؟

وأين وعدك بمداواتى ؟ أين ؟)

قال :

(دواؤك في جوفي ،

ووعدي على شفتي .)

كل من يثق فيمن لايعرف ،

يجني الحرمان ، بدلا من الدواء .

١٩٢٤م

* * * *

دودة القز

إلام تبقين محاطة بشرنقة ؟

ـ سأل طائر دودة الحرير ـ

إلام تنزوين عن الناس ؟

إلام تبقين وحيدة حبيسة جسدك ؟

أفكر في الخلاص ـ أجابت الدودة ـ

فقد انحنيت من البقاء في الشرنقة ،

وسأمت من طول بقائي

على هذا الوضع كالفطر الحقير ،

بينما قريناتي صرن فراشات

وخرجن من هذا الحبس ، وصرن مرئيات ،

أو أحرقهن صاحبهن مع أخريات ،

ولم يبق سواى حبيسا .

وحيدة حتى يخلصني الموت ،

أو تنبت أجنحتي فأطير .

فما أصابك أنت ياربيب البيت !

ألا تحاول ، ألا تطير ؟

لماذا أنت مقيد ؟ وبأى شيء تُقيد ؟

وإلام تبقى أسيرا حبيس العدو ؟

١٩٢٩م

* * * *

بشرى

أيها الظالم ! استيقظ
فقد مضى ظلام قرون ،
وانقضى نحس هذا الزمان
فاستبشر كل التعساء .
نام سوء الحظ ، واندهش
أن المخادع قد نام .
فانهضوا سريعا والتمسوا وسيلة
لتجتثوه من الأساس .
فحركة اليوم تحمي الضعفاء .
وتصيح أينما تذهب :
(يا أسرى الفقر والتعاسة ،
كم جرى عليكم من ظلم ،
وأرعبتكم الخرافات !
واغوثاه من هذه المدينة وهذه الفعال !
إلام الصمت والضعف والخنوع
والعبودية واليأس ؟

احرثوا الأرض ،

لنعمرها من جديد ،

ونكسوها بلونها .

فإما الموت أو النصر ، وليكن ما يكون

إما أن نموت جميعا

أو نحيا أحرارا ....)

ولنفكر فى العظمة ،

إنه وقت الحركة ، فلنسير .

١٩٢٦م

* * * *

ذكرى وطني(*)

يامن تناديني ، مر عامان
وأنا بعيد عنك .
قلبي يفر مني ،
ويهجرني إليك .

أنا هنا في منازل المدينة ، أسير
مثل طائر في قفص
كأنني لص مذنب ،
محكوم عليه بالحبس .

بل أسوأ من اللص ،
أُفشي كل مساوئهم ،
مثل طائر ، في كل ناحية
قد تكلمت ، فسموني المشاكس .

(*) كثيراً ما تغنى الشاعر بحب وطنه ، وكان يعني لديه مسقط رأسه (يوش) .

أخشى كل جدار
فما يفعل شاعر مع خوفه ؟
شاعر أسير هكذا ،
لايبرع إلا فى البكاء .
وهذا كله لايهم يا من تنادينى ،
بل البعد عنك هو الأصعب .
فقد سلبنى حماسى ،
فما هذا : أهو الحظ ، أم الموت ؟

حين يحل الربيع
تكسوك الأزاهير ،
ويطير إليك
كل طائر ، بلبلا كان أو عصفورا .

أيها الجبل السعيد فى وطنى الحبيب !
أنت مأوى الفكر الوحيد

يامن تعلوك سماء ،

محجوبة بالسحاب .

مع فكرى الثاقب ،

ابتعد الناس عنى .

فلم أبقى حزينا ،

لا أغنى كبلبل أو عصفور ؟

أيها الجبل ، مع كل نعم الوجود

فى هذه الوليمة العامة ،

لم لايفيد من وجهك

شاعر عاجز يائس ؟

البعاد نصيبى

والحرمان من كل سعادة .

وطنى : انظر ، يمينا ويسارا ،

ماذا يخفى وينتظر !

أحب وطنى دوما

مع بعدى عنه .

فلا أصابه سوء

ولافتنة ، ولامشى إليه قدم من المدينة .

١٩٢٦م

* * * *

ذكرى

في أحضان هذه الغابة المخيفة … والقمة التي تطاول السماء

هنا كان مهدي … حيث ولدتني أمي

وهنا بدأ طالعي

حين وُلد طفل ضعيف … ربته أمه عبثا

جاء العشق وسكنه … فاضطرب من الرأس للقدم

وناداه القلب : انهض

هنا سرت أولى خطواتي … وصاحبت الحملان

والسحاب والزهور والجبل … وصوت أجراس المواشي

يمتزج بخرير المياه

هنا كل شيء بيتي … بيت قلبي المليء بالخرافات

قلبي الضعيف المشئوم … الذي أضاع بشؤمه عشي

حيث أيام الطفولة

لاتفارق مخيلتي ، فهناك … المرأة العجوز جارتنا

كانت تقص عليّ كل ليلة … حكايات تعجب الأطفال

حتى يغلبني النوم

وأنهض من نومي … كل يوم عند الفجر

فقطيع أغنامنا … تحرك وسار

تتقدم الماعز وتتبعها الحملان

وأخـرج رأسي من تحت غطائهـا　　　فـــأرى الصـــحـــراء

وقـد تتـابعت فـيـهـا الجـبـال　　　فى حلقـات كـأمـواج البـحـر

تتعالى أمام القطيع

وتخـــتلط أصـــوات الرعـــاة　　　بجــرس العنزة الكبـــيـــرة

وأصـــوات الطيـــور الصـــغـــيـــرة　　　مع صـــوت الديك الرخـــيـم

وهم يطيرون خارج أعشاشهم

وفى مــعــركـة الضــوضــاء هذه　　　أقــفــز فــرحــا ســعــيــدا

خاليا من التفكير فى الأمس والغد　　　أو صـــراعـــات الزمـــان

أبتسم راضيا

والــقــلــب لاه بــالــلــعــب　　　فـــجـــأة ســـمـــعت صـــوتا

وكـان صـيـاح أطفـال القـرية :　　　(هـا، عـــزيـزنـا، أين أنـت

نحن فى انتظارك)

ودون أن أطعـم شـــيـــئـــا　　　ولا أرتدى غطاء رأس ولاأنتعل حذاء

وبثـــوب بســـيـط　　　والجـرس بيـدى، أقـفـز مـعـهم

من البيت إلى الجبل

وأمى تقول: طفلى العزيز ، لتتسرح!　　　وأبـى يبـتـسـم لـى

وأنا أشعث الشعر مترنما بالشعر　　　كنت أتوه فى حـضن السـحـاب

والدنيا تلتمع كأنجم

هـناك جـــاء الـعـــشـق　　　وأبعـــدنى عن لعب الأطفـــال

فـهـربت الضـحـكة من ثغـرى　　　وهـجـــر الســـرور قلبى

وانسكبت الدموع عند الفراق

أيها العشق ، أيها الأمل، والأماني ... لا تتـــعـــبـــوا في قلبي
إلام تبـــقـــون في قلبي ... رأيـتـم مـــــا حـل بـي

ألن تغادروني بعد

يالهــو الطفــولة البــعــيــد ... يامن مــررت بســرعــة البــرق
ياطالـعي الـســـيئ ، ألـم ... تـكن مـــوتـي المفــــاجئ؟

أيامي الخوالي: أين أنت؟

لتـعــودي إليّ، فــمن البــداية ... قـــــــــــــدُرت لـي
و وَسم وجه نهاري وجديلة ليلي ... بـك أيــهــــــــا المـاضـي

وبسواد جدائلك

مـــامــضي من عــمـــري ... أضــــعــــتــــه هبـــاء
فـــيـــاذكـــرني العـــشق ... قــــــد مـت من أجـلـك

فقد جُبلت على حزنك

فــعــودي إليّ، وكــوني مــعي ... حـــتي تسلبي عــيـنى النوم
وامـنـحـي زمـــــاني الأمـل ... فــــلا يكن منك الفـــراق

عودي . فالحزن يريد حزنًا!

١٩٢٣م

المستسلم

صرت وحدى واستسلمت ،
كفرع بين الأمواج .
الأيام الصعبة المؤلمة ،
أغارت على أوراقى ،
فبقيت عاريا .

وحيدا مبتلى ،
خالى الوفاض .
بينما اغتنت الدنيا بى ،
فلص فوضى الزمان ،
لم يدع لى شيئا .

راحت زهرتى اليانعة ،
وبعُد عنى موطنى ،
وكل أسرارى الخفية .
أرأيت ياقلبى
كيف يفكر بى الزمان ؟

منذ بعدت عن وطنى ،

لمّ أستقر لحظة .

وسعيت إلى الألم ،

وحولت رونقى إلى قهر

وبقيت فى شك .

أيتها الأمواج الهادرة ،

احمليني إلى أبعد

الأماكن الخفية .

فاليائس فى انزوائه الحزين ،

يجد فى البعاد خلاصه .

١٩٢٦م

* * * *

الذئب(*)

في الشتاء ، حين يكتسي الجبل
بغطاء من الثلوج
حينها ، لايسمع أحد حرفا
من أحد .

في ذاك الموسم ، يكتسي كل شيء بالبياض
ومن الحب ، تيأس طيور الصحراء .
والقطعان ، تختبيء في الحظائر ،
وتخبو مكائد الذئاب .
وأعلى القمم ، ذئب مفترس
ربما يكمن للقطيع .
يُرى حينا ، وحينا يزحف
وقد أغلق عينيه احتيالا .

(*) قد تبدو بعض أشعار الشاعر في الوصف مختلفة عن أساليب الوصف التي اعتادها شعراء الفارسية لكنها تظل أقل جودة من الأشعار الجديدة.

ذاك المحتال ، يدبر حيلة

ليفترس

وفى غفلة من الكلب والراعى

يهبط إلى القطيع .

* * * *

وهكذا الأرباب أعلى الإيوان ،

يتربصون كالذئاب

يأكلون ، يتقلبون ، يتصنعون النوم

وقلوبهم مليئة بالحقد خالية من العطف .

يتربصون بكم من أعلى ،

حين تعملون وتحصدون .

أيها الزراع الغافلون ،

هذا الذئب الكامن سيهبط !

١٩٢٦م

* * * *

الأسد

حل الليل ، أوان زئيرى
وقت عملى وطوافى .
الدنيا لاتسعنى
وحين أقطع تلك الغابة ،
يحرم النوم .
أخرج بجسدى الأصفر من عرينى ،
أزأر زئيرا مخيفا .
تتشقق منه الجبال ،
وترتعد الأنهار
ولايسعد أحد .
حتى لايُقال : نام الأسد ،
ولم تنفتح عيناه الليلة ،
فيُخشى هجومى .
ويكون الاستعداد للهرب
حين أخطو .
أنا الأسد ، ملك الكائنات

رأس المهاجمين .

منذ ولدتنى أمى ،

أزأر ، وعلمنى زئيرى

ألا أئن .

نهضت ، فنهضت فى الحال .

قامت من مكانها ، فقمت مثلها .

تبخترت بقوة ، وأنا على أثرها .

وتعلمت منها ،

فتبخترت مثلها .

وأظهرت قبضتى الفولاذية

وأعددتها ليوم النزال .

والتمعت عينى الغضبى ،

لتدل على قلبى الطاهر

وتعرف : من أنا .

لا أطأ صدر الخصم بوحشية ،

ولاأستدير ولا أنحنى .

وأمى العطوف لعقلها ،

حين أرادت أن تجعلنى جسورا

أبعدتني عنها .

أطلقتني لأهاجم وحدى ،

وأتغلب وأنتصر .

وعند الإعصار وسقوط الثلج ،

لم تكن تحميني بجدار وسقف

لهذا أيضا .

وعند الهجوم

لم تكن تساعدني ، أمي .

وحين صرت وحيدا ، صرت جسورا

قاهرا متفردا ،

صرت أسدا .

طعامي أينما أريد ،

منامي حيثما أهوى .

راحتي في أي غابة ، لا أخشى كيد عدو .

أي خشية ؟

يرتعدون خوف هجومي ،

وخوف قبضتي الفولاذية .

لاشيء يعوقني : لاماء ولاجبل ولانار ،

لكنى لا أحب الماء والجبل والنار .
أين الخصم ؟
من العدو الذى يواجهنى ؟
أين الظفر الذى يهرب منى ؟
لقد منحنى الخالق الكثير ،
وجعل الظفر فى كل إصبع لى
وجعل له شأنا .
أتجاوز هذا المعبر ،
لأرى ماذا بعده .
وإن أعبر الوادى ،
أرى كل شىء
ولكن الأفضل :
أن أسلك الطريق ، مع أنه مظلم
ملىء بالشوك ضيق .
إذ يعجبنى الظلام ،
ففى وقت العراك
أبقى مختفيا .
والآن ، خوفا منى

ترتعد الدنيا والأرض والزمان .

ويختفى الجميع فى الشقوق ،

وترتعد أجساد الكائنات الضعيفة

رهبة منى .

١٩٢٢م

* * * *

الفضاء الرحب

أيها الفضاء الرحب الفسيح
أى أسرار تضم !
قلبك دفتر غير مقروء ،
فما أكثر ماتضم من أحاجى !
إن تبدى لنا شكلك ،
لكن لاشكل لك !
تكمن منذ الأزل ،
وتخفى قصصا !
حينا بالضحك ، تنثر ورودا
وحينا بالبكا ، تبلل وجنات !
قاسيت من أفعال الزمان ،
لذلك لك عينان حمراوان !
عاينت صولات " دارا "(*) وجولاته ،
وعلمت ما ملك الإسكندر !

(*) دارا : هو أحد ملوك الكيانيين ، ويذكرون أنه كان أخا للإسكندر ، وهو واحد من أهم أبطال الملاحم الإيرانية مثل شاهنامة الفردوسي واسكندر نامه لنظامي الكنجوي.

لنا أجساد ضعيفة نحيفة ،

ولك جسد قوى !

كل مايحدثه الزمان ،

تصوره مرآتك .

وكل ما يفعله " نيما " من حسن وقبيح ،

لديك نقش منه خفى .

١٩٣١م

الصباح

حين أصحو صباحا   من النوم
من خلوتي أرمق   الدنيا بنظرة
أو أنظر إلى الأمواج   أو إلى الجبل

السحاب كفراش   أعلى الجبل
والغابة تحممت   تحت السحاب
كوجه الأحبة   فاتنة ساحرة

وفى القرية   تصاعدت همهمات
وأعلاها الغربان   اصطفت مئات
وهب الناس من نومهم   شاءوا أم أبوا.

وعلى طول الطريق   تلونت الأزهار
وعلى كل فرع زهرة الشقائق   مثل كأس من صبغة
والطريق أعلى الخضرة   كالجسر على الماء

والسمك يتقافز   ثم يختفى فى الماء
وفى ا لغابة خنزيز   يسرع بالفرار
والصياد من ناحية   يسرع خلفه .

والليل في أذن النهار يودع أسطورته
وقروي يسوق بقرته للبيت
وأعلى شجرة الكمثرى غراب في عشه.

أن تثقل الدنيا أو تتمايل بدلال
فيد أقوى ترفع الحجاب
وفي الأركان الخفية ما أكثر الأشياء.

تعالت همهمات من أنحاء الأرض
والفلك نشيطا أنطق التراب
كل شغل بعمله وكل أنطلق من مكمنه.

إلا أنا لا آلف أحدا
بعيد عن الجميع وأبعد وأبعد
أزداد قهرا للعدو وانتصارا للضعيف.

وحدي منزويا أحرس الجميع
أحزن : لم صارت الدنيا
مأوى للبهائم ووكرا للصوص!

١٩٣١م

* * * *

الدخان

أعلى قريتنا ،
يتصاعد دخان من كوة .
كأنه حلقات سلسلة ،
تقيد جسدا رقيقا .
يوسع الطريق بصدره ،
ويواجه خيالا بجسده .
يفتت ما بقلبه ،
ويتصل بقلبى .
ثم يرفع قامته ،
ويبسط جناحيه كغراب ،
ويسلم للرياح خبرا
ثم يُمحى ، كفكر عتيق .

١٩٣٤م

* * * *

المؤلف فى سطور :

نيما يوشيج :

- ولد سنة ١٨٩٦م فى إحدى قرى إيران، وتوفى سنة ١٩٥٩م.

- إبداعاته الشعرية عديدة منها :

* قصة اى رنگ پريده؛ أى قصة الشاحب ، وهى أولى أعماله. نظمها عام ١٩٢١م.

* خانواده اى سرباز؛ أى أسرة الجندى . نظمها عام ١٩٢٦م.

* آب در خوابگاه مورچگان؛ أى الماء فى مرقد النميلات .

* قلم انذار؛ أى نقش القلم.

* شهر شب وشهر صبح؛ أى مدينة الليل ومدينة الصباح، وهى آخر مجموعاته.

- وله أيضًا إبداعات قصصية، ومؤلفات.

المترجمة فى سطور:

رملة محمود غانم :

الأستاذ بكلية الآداب جامعة عين شمس وهى خريجة الكلية نفسها، وحاصلة على الدكتوراه عام ١٩٨١ وتعمل بقسم اللغات الشرقية وآدابها فرع اللغة الفارسية منذ عام ١٩٧٤ حتى الآن. وقد تخصصت فى الأدب الفارسى الحديث والمعاصر فقدمت رسالة الماجستير عن منظومة (كارنامه أى زندان) لملك الشعراء "بهار"، ثم رسالة الدكتوراه عن الاتجاه التجديدى فى الشعر الفارسى الحديث ورائده "نيما يوشيج". وهى من المهتمين بالعلوم والفنون الأدبية الحديثة فتناولت بالدراسة : " نيما يوشيج " كاتبا للقصة، و " بديع الزمان فروز انفر "شاعرا، وفى أدب الأطفال قدمت دراسة بعنوان « قصص من كليلة ودمنة » تدور حول تبسيط أعمال الكبار والأطفال ، وفى الأدب الشعبى دراسة حول (الموروث الشعبى فى أدب يوشيج). وفى قراءة جديدة لفكر القدماء تناولت "عمر الخيام ؛ تحت عنوان (عمر الخيام المفترى عليه) . وفى النقد الحديث قدمت دراسة عن (الرمز اللوانى فى الشعر نيما يوشيج) . كما قدمت عدة دراسات فى الأدب المقارن هى: (المزدوج والمثنوى بين العرب والفارسية)، (فى رثاء الزوجة بين الخاقانى وجرير)، فن الحبسيات بين الخاقانى وأبى فراس الحمدانى) ، (المؤثرات الفارسية فى شعر بشار بن برد)، (رمز الناقوس بين السياب ونيما يوشيج) ، (القصة الشعرية بين الملك والأمير)، و(بين دار الفنون ومدرسة الألسن). وذلك بالإضافة إلى العديد من الترجمات والمقالات ذات الصلة بالتخصص، والمشاركة فى المؤتمرات والجمعيات العلمية .

المراجع فى سطور:

أ.د بديع محمد جمعة

- أستاذ اللغة الفارسية وآدابها بكلية الآداب - جامعة عين شمس.
- من مواليد ١٩٣٦ (شرويدة - مركز الزقازيق).
- تولى رئاسة قسم اللغات الشرقية دورتين ت: ١٩٨٥-١٩٨٧، ١٩٩٢-١٩٩٥.
- عضو فى المجالس القومية المتخصصة (لجنة الآداب).
- عضو فى المجلس الأعلى للثقافة (لجنة الترجمة).

من أهم مؤلفاته :

١- ترجمة منطق الطير لفريد الدين العطار (عن الفارسية).

٢- بروين اعتصامى: صوت المرأة الشرقية فى إيران .

٣- دراسات فى الأدب المقارن.

٤- من قضايا الشعر الفارسى فى النصف الأول من القرن العشرين.

٥- من روائع الأدب الفارسى.

٦- فينوس وأدونيس: دراسة مقارنة.

٧- الشاه عباس الكبير.

٨- قواعد اللغة الفارسية.

٩- من وحى الشرق : مجموعة مقالات .

التصحيح اللغوى : **عبد الرحمن حجازى .**

الإشـراف الفنى : **حسـن كامـل .**

نيما يوشيج

يضم هذا الكتاب بين دفتيه سطوراً من روائع الشعر الفارسى مترجمة إلى العربية للشاعر الإيرانى "نيما يوشيج" (1896 - 1959)، وهو رائد الشعر الجديد فى إيران، وما زال أستاذاً لأجيال متتالية من الشعراء الذين أدركوا ما أراده للشعر من رؤية جديدة تطلبت نسيجاً جديداً، فجعل التعبير والشكل يتبعان الشعور وليس العكس. وفى سطوره الشعرية يصور أحوال قومه ويستنهضهم ويتوحد مع المظلومين منهم، ويبث فيهم أملاً فى الحرية يشعر بوجوده فى كل شىء حوله، ويقدم صوراً للصراع بين الخير والشر ولوحات وصفية للكون مرسومة بلغة شعرية صافية تحمل القارئ ليحلق مع الشاعر فى آفاق خيال لامتناهية، وقد تأتى سطوره فى غلالة من الرمز أحياناً، لكنها ذات دلالات تنم عن أحاسيس عميقة لأنه عاش وأبدع أشعاره من أجل قومه.

تصميم الغلاف: عمرو الكفراوى